

مُقَدِّمَةٌ

الحمدلله وصلى الله وسلم على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهداه ...

أما بعد: فإن الله -عَزَّوَجَلَّ- أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على جميع الأديان، وَأَيَّدَهُ بالحجج القاهرة والبراهين الساطعة والأدلة الظاهرة التي من أعظمها القرآن، وَتَكَفَّلَ -سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ- بحفظ هذا الكتاب الكريم، وأسند إلى نبيه -صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ- مهمة التبليغ للقرآن والبيان، فقال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [النحل]، فَقَامَ -صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ- بهذه المهمة أحسن قيام، وأرشد الخلق إلى الطريق الموصلة إلى الجنان، وَحَذَّرَهُم من سلوك طرق الغِوَايَة والخسران، وبيّن لهم سبل الشيطان، فقامت به الحجة على الأنام، وتمت به نعمة الإسلام، قال تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: 3]، وقد كان بيانه -صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ- وَسُنَّتُهُ وحياً من الله -عَزَّوَجَلَّ-، قال تعالى: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾﴾ [النجم: 3-4]، فالله قد أرسله بالكتاب والسنة جميعاً، كما قال سبحانه: ﴿وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَآ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْحِكْمَةِ يَعِظُكُم بِهِۦ﴾ [البقرة: 231]، وقال -صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ-: **(ألا إني أوتيت القرآن ومثله معه)**.

وإن دراسة علم الكتاب والسنة الذي بعث به محمد عليه الصلاة والسلام عبادة وقربة من أعظم القربات، وأشرفه وأعظمه العلم بمسائل أصول الدين والسنة والتي اعتنى بها العلماء والأئمة فألفوا فيها باختصار واقتضاب كما صنفوا في أبوابها بتوسع وإسهاب لعلمهم بأنه من اعتقدها نجا في الدنيا ويوم الحساب فرحمهم الله وجعلهم ممن قال فيهم: ﴿وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴿٢٥﴾﴾ [ص].

ومن هؤلاء الأئمة الذين اعتنوا بالتأليف في أصول السنة الإمام ابن أبي زمنين المالكي وقد امتاز كتابه بعدة خصائص منها:

الخاصية الأولى: أن المؤلف من أئمة المالكية وقد قرر معتقد أهل السنة والجماعة في كتابه، وهذا يعطيك إشارة إلى أن الإمام مالك وأصحابه وأئمة مذهبه الكبار كانوا على عقيدة السلف الصالح، وفي هذا رد على أهل البدع والأهواء الذين يلصقون أنفسهم بهؤلاء الأئمة ويقولون: نحن مالكية.

الخاصية الثانية: أن المؤلف سرد أبواب الكتاب وكأنه يرد على مذاهب أهل البدع كالخوارج والمتكلمين وغيرهم الذين خالفوا معتقد أهل السنة في كثير من الأبواب خاصة فيما يتعلق بمبحث الإيمان والأسماء والصفات.

نبذة عن الكتاب:

كما أسلفنا أن هذا الكتاب قرر فيه مؤلفه عقيدة السلف الصالح وقد جعله على أبواب بدأ فيه بالكلام على لزوم السنة، ثم ذكر أبواباً في الإيمان بأسماء الله وصفاته وأتبعه بما يتفرع عنه كالإيمان بأن القرآن كلام الله غير مخلوق والإيمان بالكرسي وبالحجب وبالنزول.

ثم ذكر أبواباً في الإيمان باليوم الآخر مفتتحاً ذلك بالكلام عن الإيمان بقبض ملك الموت الأنفس، ثم سؤال الملكين والإيمان بعذاب القبر، ثم انتقل ليذكر بعض الأمور الأخروية كالإيمان بالحوض والميزان والصراط والشفاعة وخروج أقوام من النار. وبعد هذه الأبواب أخذ يتكلم عن بعض الأمور التي تحصل قبل يوم القيامة وهي علامات وأشراط دالة على قربه كطلوع الشمس من مغربها وخروج الدجال ونزول عيسى وقتله للدجال.

ثم ذكر بعدها ركناً من أركان الإيمان الستة وهو الإيمان بالقدر وأتبعه بالكلام عن معنى الإيمان وزيادته ونقصانه وبعض الأبواب الأخرى المتفرعة عن باب الإيمان. ثم

أخذ في الكلام عن محبة الصحابة وتقديم الخلفاء الراشدين بالترتيب على غيرهم وكذلك السمع والطاعة للولاة وأبواب أخرى متفرعة عنه.

ثم ختم الكتاب بالنهي عن مجالسة أهل البدع والأهواء وحكم أهل العلم عليهم، وكأنه يشير إلى أن أخطر الأمور التي تضلك عن هذه الأصول العظيمة هي مجالسة أهل البدع والأهواء الذين انحرفوا عن الصراط المستقيم وخالفوا أصول السنة وضلوا ضلالاً بعيداً وحذر الأئمة العلماء منهم تحذيراً شديداً.

ترجمة المؤلف[1]

اسمه ونسبه:

محمد بن عبد الله بن عيسى ابن أبي زَمَنِين المري الألبيري الأندلسي. وكنيته: أبوعبدالله.

مولده:

ولد آخر – وقيل: أول – سنة أربع وعشرين وثلاث مئة هجريا .

شيوخه:

1- عبد الله بن عيسى ابن أبي زَمَنِين (أبوه).

2- إسحاق بن إبراهيم بن مسرّة.

3- وهب بن مسرّة الحجازي.

4- ابن الجزار القروي.

5- أحمد بن حزم.

6- سعيد بن فحلون.

[1]- انظر ترتيب المدارك للقاضي عياض(183/7) الوافي بالوفيات للصفدي(3/ 260) طبقات المفسرين للداودي (2/ 165) سير أعلام النبلاد للذهبي (188/17) الديباج المذهب لابن فرحون(232/2) شجرة النور الزكية لمحمد مخلوف (150/1)

7- أبان بن عيسى بن محمد.

8- أحمد بن مطرف الأزدي. وغيرهم.

تلامذته:

لما كان هذا الإمام صاحب منزلة رفيعة وله شأنه في العلم قصده طلاب العلم من بقاع كثيرة، ومنهم:

1- أبو زكريا القليعي.

2- أبو عمر ابن الحذاء.

3- هشام بن سوار.

4- أبو عمرو الداني.

5- أبو عبد الله ابن الحصار. وغيرهم.

عقيدته وثناء العلماء عليه:

لا شك أن هذا الإمام كان على عقيدة السلف الصالح ولا أدل على ذلك من هذا الكتاب الذي بين أيدينا؛ فقد قرر فيه معتقد أهل السنة والجماعة في كثير من أبواب الاعتقاد ولذلك أثنى عليه ابن مفرج بلزومه آثار السلف -كما سيأتي-وقال عنه الصفدي: (كان عارفاً بمذهب مالك، متفننا في الأدب والشعر، مقتفياً لآثار السلف).

وكذلك ثناء الأئمة عليه يدل على حسن ما كان عليه من سلامة العقيدة وصحة المنهج وقد نقل عنه شيخ الإسلام اين تيمية وقال فيه: (الإمام المشهور من أئمة المالكية ...)، كما نقل عنه الإمام ابن القيم فقال: (الإمام أبي عبدالله محمد بن أبي زمنين المالكي المشهور ...)، وقال ابن عفيف: (كان من كبار المحدثين والفقهاء الراسخين في العلم)،وقال ابن مفرج: (كان من أجلّ أهل وقته حفظاً للرأي ومعرفة بالحديث، واختلاف العلماء، وافتناناً في الأدب والأخبار، وقرض الشعر، إلى زهد وورع واقتفاء

لآثار السلف، وكثرة العمل والبكاء والصدقة والمواساة بماله وبجاهه. وبيان ولهجة، وما رأيت قبله ولا بعده مثله)، وقال الخولاني: (كان رجلاً زاهداً صالحاً من أهل الحفظ والعلم، آخذاً في المسائل، قائماً بها، متقشفاً واعظاً له أشعار حسان في الزهد والحكم، له رواية واسعة، وكان حسن التأليف، مليح التصنيف، مفيد الكتب في كل فن).

مؤلفاته:كان هذا الإمام من المكثرين في التصنيف وله عدة مؤلفات تشهد بإمامته وجلالته، منها:

1- المقرّب في اختصار المدونة.

2- المنتخب في الأحكام.

3- المهذب في اختصار شرح ابن مزين للموطأ.

4- آداب الإسلام.

5- تفسير القرآن.

6- حياة القلوب في الزهد والرقائق.

7- المشتمل في علم الوثائق.

8- مختصر تفسير ابن سلام.

9- منتخب الدعوة.

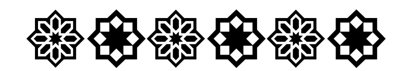
10- المعرب في المدونة وشرح مشكلها والتفقه في نكت منها مع تحرير للفظها.

وغيرها.

وفاته: أكثر من ترجم له ذكروا أنه توفي بالألبيرة ودفن فيها وذلك في ربيع الآخر سنة (399 هـ).

فرحم الله هذا الإمام القدوة الزاهد ناصر السنة وقامع البدعة الذي ورّث لنا هذا الكتاب المبارك الذي نقدمه لجيل المستقبل ،آملين أن يتخرجوا وينفعوا المسلمين ويكونوا دعاة خير مصلحين مباركين على هذه الدولة بل على الأمة الإسلامية كلها.

واللّه من وراء القصد.



الدرس الأول
باب في الحض على لزوم السنة وإتباع الأئمة

اِعْلَمْ رَحِمَكَ اَللَّهُ أَنَّ اَلسُّنَّةَ دَلِيلُ اَلْقُرْآنِ، وَأَنَّهَا لَا تُدْرَكُ بِالْقِيَاسِ وَلَا تُؤْخَذُ بِالْعُقُولِ، وَإِنَّمَا هِيَ فِي اَلِاتِّبَاعِ لِلْأَئِمَّةِ وَلِمَا مَشَى عَلَيْهِ جُمْهُورُ هَذِهِ اَلْأُمَّةِ، وَقَدْ ذَكَرَ اَللَّهُ -عَزَّوَجَلَّ- أَقْوَامًا أَحْسَنَ اَلثَّنَاءَ عَلَيْهِمْ فَقَالَ: ﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ ۝١٧ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ﴾ الزمر17-18].

وأمر عباده فقال :﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ۝١٥٣﴾ [الأنعام].

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: خَطَّ لَنَا رَسُولُ اَللَّهِ - صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- خَطًّا، ثُمَّ قَالَ: "هَذَا سَبِيلُ اَللَّهِ"، ثُمَّ خَطَّ خُطُوطًا عَنْ يَمِينِهِ وَعَنْ شِمَالِهِ وَقَالَ: "هَذِهِ سُبُلٌ عَلَى كُلِّ سَبِيلٍ مِنْهَا شَيْطَانٌ يَدْعُو إِلَيْهِ"، وَقَرَأَ ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ..﴾ اَلْآيَة (1/ 36). حديث صحيح[1]

اِبْنُ مَهْدِيٍّ قَالَ: وَحَدَّثَنِي مَنْصُورُ بْنُ سَعْدٍ قَالَ: سَمِعْتُ اَلْحَسَنَ يُحَدِّثُ عَنْ اَلنَّبِيِّ - صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ: مَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي[2].

حديث مرسل

يَحْيَى قَالَ: وَحَدَّثَنِي حَفْصُ بْنُ عُمَرَ بْنِ ثَابِتِ بْنِ قَيْسٍ، عَنْ خَالِدِ بْنِ مَعْدَانَ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَمْرٍو السُّلَمِيِّ، عَنْ الْعِرْبَاضِ بْنِ سَارِيَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اَللَّهِ - صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: كُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ[3]

---

[1] - أخرجه أحمد في" المسند" (4142،4437).

[2]- حديث مرسل أخرجه أبوعمرو الداني في " الرسالة الوافية" (رقم 215) عن ابن أبي زمنين بسنده ومتنه.

[3]- رواه أبو داود (4607).

إسناد المصنف ضعيف والحديث صحيح

اِبْنُ مَهْدِيٍّ قَالَ: وَحَدَّثَنَا سُفْيَانُ اَلثَّوْرِيُّ، عَنْ حَمَّادِ بْنِ زَيْدٍ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ اِبْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: "اِتَّبِعُوا وَلَا تَبْتَدِعُوا فَقَدْ كُفِيتُمْ". صحيح.[1]

الشـــــرح :

حديث ابن مسعود -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- كما رأيت أيها الطالب النجيب بالسند المتصل إلى النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، والذي بين فيه النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أن طريق الحق مستقيمة لا عوج فيها،وأن من خالف طريق الحق المستقيم من الطرق التي هي عبارة عن البدع والانحرافات والضلالات، التي من سلكها خرج عن الصراط المستقيم بقدر جريمته، فقد يخرج خروجا كليا عن الصراط المستقيم وقد يخرج خروجا جزئيا ببعض الأمور، والحاصل أن الحديث يدل دلالة واضحة على التحذير والترهيب من العدول عن الصراط المستقيم إلى طرق الأهواء والضلالات والبدع، التي يدعو إليها أهل الغي من شياطين الإنس والجن.

فعن جابر -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- أن عمر بن الخطاب أتى النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بكتاب أصابه من بعض أهل الكتاب، فقرأه على النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فغضب،فقال : " أمُتَهَوِّكون فيها يا ابن الخطاب، والذي نفسي بيده لقد جِئتُــكُم بها بيــضاءَ نقية..."[2]

وعن عمر بن الخطاب -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- أنه قال في خطبته :" أيها الناس قد سُنت لكم السُّنن، وفُرضت لكم الفرائض، وتركتم على الواضحة إلا أن تضلوا بالناس يمينا وشمالا،وضرب بإحدى يديه على الأخرى...الأثر"[3]

---

[1]- رواه المروزي في " السنة" (78).

[2]- رواه الإمام أحمد في "المسند" (15156)،وابن أبي عاصم في "السنة" (50)، وغيرهما

[3]- رواه الإمام مالك في"الموطأ" (2383)

فهذا عمر -رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ- قال أن طرق الشريعة وأحكامها وفرائضها قد سنت ووُضحت فلا تضلوا بالناس يمينا وشمالا،فصراط الله واضح لا غبش فيه، ولا اعوجاج يعتريه، وهذا مصداق قول النبي - صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ - : " لقد جئتكم بها بيضاء نقية..".

مسألة: معنى الصراط والسنة

والصراط: هو الطريق، ويقال بالسين، والصراط المستقيم هو طريق الحق، وهو الإسلام والتوحيد والاستقامة على ما كان عليه الرسول - صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ- وأصحابه - رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ - أجمعين.

والسنة: تطلق ويراد بها الشرع المطهر الذي جاء به نبينا محمد - صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ- ، وتطلق ويراد بها أقوال النبي - صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ- وأفعاله وتقريراته ومعناهما واحد.

فيجب على كل مسلم اتباع ما جاء به النبي - صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ- ؛لأنه جاء به من عند الله والله أمرنا باتباعه فقال في كتابه الكريم : ﴿ٱتَّبِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُمۡ وَلَا تَتَّبِعُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَۗ قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ ٣﴾ [الأعراف] ،وقال أيضا : ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾ النساء: 80].

وقال -عَزَّوَجَلَّ- : ﴿قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡ﴾ [آل عمران: 31].

وقال تعالى : ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ٧﴾ [الحشر].

وقال -جَلَّوَعَلَا- : ﴿لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ ٱللَّهَ وَٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا ٢١﴾ [الأحزاب].

وعن أبي هريرة -رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ - ،أن رسول الله - صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ- قال :" كلُّ أمتي يدخلونَ الجنةَ إلاَّ من أبى " قالوا : يا رسول الله ومن يأْبى ؟ قال : " من أطاعني دخل الجنةَ، ومن عصاني فقد أبى "[1].

فمن زهد في السنة ورغب عنها ولم يعمل بها فليس على طريقة محمد - صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ- وأتباعه، لأن النبي - صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ- قال : " فمن رغب عن سنتي ، فليس منِّي " والذي يرغب عن سنة النبي الكريم والصراط المستقيم والنور المبين يكونوا مآله إلى الضلال والبدع والمحدثات والعياذ بالله.

وهذا ما ذكره الإمام ابن أبي زمنين بعد أن ذكر وجوب اتباع السنة حذر من ركوب البدع والمحدثات فأورد حديث العرباض بن سارية -رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ - وفيه قول النبي - صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ-: " وكلُّ بدعةٍ ضلالة " ليشعرك أيها الطالب للحق أن من أعرض عن اتباع السنة أبتلي بركوب البدع والمحدثات، وأن الذي يعرض عن اتباع الحق وقبوله يبتليه الله تعاليبقبول الباطل والضلال قال تعالى ﴿فَلَمَّا زَاغُوٓاْ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡۚ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ ۝٥﴾ [الصف].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رَحِمَهُٱللَّهُ- : " وكذلك من أعرض عن اتباع الحق الذي يعلمه تبعاً لهواه فإن ذلك يورثه الجهل والضلال حتى يعمى قلبه عن الحق الواضح "[2].

وليشعرك أيضا أن الخير بحذافيره في اتباع السنة، سواء كانت واجبة أو مستحبة، والشر بحذافيره في البدع المضلة ، سواء ما كان منها مخرجا من الملة وما كان منها مخرجا

---

[1]- رواه البخاري (7280)

[2] - "مجموع الفتاوى" (10/10)

عن منهج الحق الذي جاء به الرسول عليه الصلاة والسلام، فوجب ترك البدع التي كلها شر مستطير، ولا يستطيع على الأخذ بالسنة إلا من سعى في تحصيلها والعلم بها، ولا يستطيع أن يجتنب البدع أحد إلا بعد أن يعلمها بأدلتها أو يتبع العلماء العاملين بالسنة والتاركين للبدع كعوام الناس الذين هم تبع لعلمائهم، وهذا لا يتأتى إلا ببذل الجهد في طلب العلم على أيدي أهله حتى يستطيع الإنسان التمييز بين الحق والباطل والهدى والضلال والسنة والبدعة والخير والشر والطاعة والمعصية.

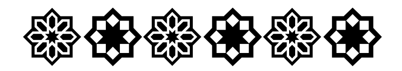
التقويم

س1- ما الصراط المستقيم ؟

س2-اذكر الأدلة الدالة على وجوب التمسك بالكتاب والسنة؟

س3- إن الذي يرد الحق الذي يعلمه اتباعا لهواه يبتلى باتباع الباطل ناقش ذلك.

س4- ماذا تعني السنة إذا أطلقت ؟



الدرس الثاني
باب الإيمان بصفات اللّه وأسمائه

قالَ مُحَمَّدٌ: وَاعْلَمْ أَنَّ أَهْلَ الْعِلْمِ بِاللَّهِ وَبِمَا جَاءَتْ بِهِ أَنْبِيَاؤُهُ وَرُسُلُهُ يَرَوْنَ الْجَهْلَ بِمَا لَمْ يُخْبِرْ بِهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى عَنْ نَفْسِهِ عِلْمًا، وَالْعَجْزَ عَمَّا لَمْ يَدْعُ إليه إِيمَانًا، وَأَنَّهُمْ إِنَّمَا يَنْتَهُونَ مِنْ وَصْفِهِ بِصِفَاتِهِ وَأَسْمَائِهِ إِلَى حَيْثُ انْتَهَى فِي كِتَابِهِ، وَعَلَى لِسَانِ نَبِيِّهِ، وَقَدْ قَالَ: وَهُوَ أَصْدَقُ الْقَائِلِينَ :

﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ لَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٨﴾﴾ [القصص].

وقال: ﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَٰدَةً قُلِ ٱللَّهُ﴾ [الأنعام: 19].

وَقَالَ: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ﴾ آل عمران: 28].

وَقَالَ: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى﴾ الحجر: 29].

وَقَالَ: ﴿وَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ [الطور:48].

وَقَالَ ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِىٓ ﴿٣٩﴾﴾ [طه]

وَقَالَ: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا۟ بِمَا قَالُوا۟ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ [المائدة: 64].

وقَالَ: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ﴾[الزمر: 67].

وَقَالَ: ﴿قَالَ لَا تَخَافَآ إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴿٤٦﴾﴾ [طه].

وَقَالَ ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴿١٦٤﴾﴾ [النساء].

وَقَالَ: ﴿۞ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [النور: 35].

وقَالَ: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ﴾ [البقرة: 255].

وَقَالَ: ﴿هُوَ ٱلۡأَوَّلُ وَٱلۡأٓخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلۡبَاطِنُۖ﴾ [الحديد: 3].

مِثْلُ هَذَا فِي اَلْقُرْآنِ كَثِيرٌ فَهُوَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى نُورُ اَلسَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، كَمَا أَخْبَرَ عَنْ نَفْسِهِ، وَلَهُ وَجْهٌ وَنَفْسٌ وَغَيْرُ ذَلِكَ كَمَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ، وشيءٌ وَيَسْمَعُ وَيَرَى وَيَتَكَلَّمُ، اَلْأَوَّلُ وَلَا شَيْءَ قَبْلَهُ، وَالْآخِرُ اَلْبَاقِي إِلَى غَيْرِ نِهَايَةٍ لَا شَيْءَ بَعْدَهُ، وَالظَّاهِرُ اَلْعَالِي فَوْقَ كُلِّ شَيْءٍ مِمَّا خَلَقَ وَالْبَاطِنُ بَطَنَ عِلْمُهُ بِخَلْقِهِ تَعَالَى: ﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ ۝٢٩﴾ البقرة: 29] ، الحَيُّ القَيُّومُ، لَا تأخذه سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ.

الشـــــرح

في هذا الباب العظيم بيان أن الله تبارك وتعالى له الأسماء الحسنى والصفات العليا جاءت بها نصوص الكتاب والسنة، وأنه لا يوصف سبحانه إلا بما وصف به نفسه في كتابه أو وصفه به رسوله – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – في سنته، وكذلك الأسماء كالصفات توقيفية.

فصل: قواعد في الأسماء والصفات

وهناك قواعد مهمة تتعلق بالأسماء والصفات ينبغي على الطالب معرفتها:

القاعدة الأولى: أن أسماء الله توقيفية

أي أنه يجب الوقوف في أسماء الله على ما ورد به الدليل من الكتاب والسنة فلا ينفي ما سمى الله به نفسه ولا يُسمّى إلا بما سمّى به نفسه أو سمّاه رسوله – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ –.

فمثلاً لا يسمّى الله بالعارف لأنه لم يرد في الكتاب والسنة؛ والذي ورد في الكتاب والسنة تسميته تعالى بالعالم لكماله فالعلم والمعرفة لا يستويان فلا يقال في الله " عارف" نَصّ الأئمة على ذلك، لأن المعرفة في اللغة تستدعي قبلها جهلاً بالمعروف، وذلك بخلاف العلم، فإنه لا يستدعي جهلاً قبله، وقد عد بعض العلماء كالإمام البغوي وشيخ الإسلام ابن تيمية وابن حجر أن من الإلحاد في أسماء الله تسميته بما لم يُسمّ به نفسَه ولم

يسمه رسوله - صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -، قال شيخ الإسلام -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- : " القول الشامل في جميع باب أسماء الله وصفاته أن يوصف الله بما وصف به نفسه أو وصفه به رسوله وبما وصفه به السابقون الأولون لا يتجاوز القرآن والسنة"[1]. وقال تلميذه ابن القيم -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- : " ما يطلق على الله في باب الأسماء توقيفي "[2].

القاعدة الثانية : أسماء الله كلها حسنى، أي بالغة في الحسن غايته؛ لأنها متضمنة لصفات كاملة لا نقص فيها بوجه من الوجوه قال الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [الأعراف: 180].

مثال ذلك:﴿ٱلرَّحْمَٰنُ ۝١﴾ [الرحمن].

فهو اسم من أسماء الله تعالى، دال على صفة عظيمة هي الرحمة الواسعة. ومن ثم نعرف أنه ليس من أسماء الله: "الدهر"؛ لأنه لا يتضمن معنى يبلغ غاية الحسن، فأما قوله - صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -:(لا تسبوا الدهر، فإن الله هو الدهر)فمعناه: مالك الدهر المتصرف فيه، بدليل قوله في الرواية الثانية عن الله تعالى: "بيدي الأمر أقلب الليل والنهار[3].

القاعدة الثالثة : أنه لا يشتق لله أسماء من صفاته وأفعاله كقوله تعالى : ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ۝٢٢﴾ [الفجر].

وقوله : ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ﴾ [الأنعام: 54].

وقوله : ﴿وَٱللَّهُ يَقْضِى بِٱلْحَقِّ﴾ [غافر: 20].

فلا يجوز أن يسمى الله بالجائي ولا بالكاتب ولا بالقاضي وما أشبه ذلك، قال العلامة ابن القيم -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- : " لا يلزم من الإخبار عنه بالفعل مقيدا أن يشتق له منه

---

[1]- " مجموع الفتاوى" (26/5)

[2]- " بدائع الفوائد" (162/1)

[3] - رواهمسلم،(2246).

اسم مطلق كما غلط فيه بعض المتأخرين فجعل من أسمائه الحسنى المضل الفاتن الماكر تعالى الله عن قوله فإن هذه الأسماء لم يطلق عليه سبحانه منها إلا أفعال مخصوصة معينة فلا يجوز أن يسمى بأسمائها المطلقة والله أعلم "[1].

القاعدة الرابعة: أسماء الله غير محصورة بعدد معين لقوله - صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ- في الحديث المشهور: "أسألك اللهم بكل اسم هو لك، سميت به نفسك، أو أنزلته في كتابك، أو علمته أحداً من خلقك، أو استأثرت به في علم الغيب عندك"[2]، وما استأثر به في علم الغيب عنده لا يمكن حصره ولا الإحاطة به.

والجمع بين هذا وبين قوله في الحديث الصحيح: "إن لله تسعة وتسعين اسماً من أحصاها دخل الجنة"[3]: أن معنى هذا الحديث: إن من أسماء الله تسعة وتسعين اسماً من أحصاها دخل الجنة. وليس المراد حصر أسمائه تعالى بهذا العدد، ونظير هذا أن تقول: عندي مائة درهم أعددتها للصدقة. فلا ينافي أن يكون عندك دراهم أخرى أعددتها لغير الصدقة.

القاعدة الخامـــــــسة: أسماء الله لا تثبت بالعقل، وإنما تثبت بالشرع فهي توقيفية، يتوقف إثباتها على ما جاء عن الشرع فلا يزاد فيها ولا ينقص؛ لأن العقل لا يمكنه إدراك ما يستحقه تعالى من الأسماء، فوجب الوقوف في ذلك على الشرع؛ ولأن تسميته بما لم يسم به نفسه، أو إنكار ما سمى به نفسه جناية في حقه تعالى، فوجب سلوك الأدب في ذلك.

---

[1]- " بدائع الفوائد" (162/1)

[2] - رواه أحمد (391/1، 452)،وابن حبانرقم (2372)،صححه الألباني في "الصحيحة" رقم (199).

[3]- رواه البخاري، (6410)،ومسلم، (2677)،وابن ماجه، (3860)

القاعدة الســـــــادسة: كل اسم من أسماء الله فإنه يدل على ذات الله، وعلى الصفة التي تضمنها، وعلى الأثر المترتب عليه إن كان متعدياً، ولا يتم الإيمان بالاسم إلا بإثبات ذلك كله.

مثال ذلك في غير المتعدي: "العظيم" فلا يتم الإيمان به حتى نؤمن بإثباته اسماً من أسماء الله دالاً على ذاته تعالى، وعلى ما تضمنه من الصفة وهي العظمة.

ومثال ذلك في المتعدي: "الرحمن"، فلا يتم الإيمان به حتى نؤمن بإثباته اسماً من أسماء الله دالاً على ذاته تعالى، وعلى ما تضمنه من الصفة وهي الرحمة وعلى ما ترتب عليه من أثر وهو أنه يرحم من يشاء.

ثم أورد الإمام ابن أبي زمنين جملة من أسماء الله وصفاته، وقد أمر الله تبارك وتعالى العباد أن يدعوه بأسمائه الحسنى وصفاته العليا في قوله: { وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا }[1]، ونهى عن الإلحاد الذي هو الميل في هذا الباب العظيم إما بالجحد والإنكار لأسماء الله وصفاته كما فعلت الجهمية والمعتزلة، وإما بالتأويل المذموم كما فعلت الأشاعرة ومن سلك مسلكهم وكلاهما إلحاد.

فصل: توحيد الأسماء والصفات

فالمقصود أن من أنواع التوحيد توحيد الأسماء والصفات، وهو أن يوصف الله بما وصف به نفسه في كتابه أو وصفه به رسوله -صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ- في سنته، وكذلك إثبات الأسماء أن نثبت لله -عَزَّوَجَلَّ- الأسماء الحسنى التي جاءت في القرآن الكريم وفي السنة المطهرة ولا يجوز لأحد أن يسمي الله باسم أو بصفة ما وردت في القرآن الكريم والسنة المطهرة؛ لأن هذا الباب توقيفيٌّ، لا يقال فيه إلا بما جاء ذكره في القرآن والسنة.

---

[1] - [سورة الأعراف آية 180]

ثم ضرب الإمام ابن أبي زمنين أمثلة فيها إثبات صفات الله تبارك وتعالى فقال: وقد قال تعالى وهو أصدق القائلين : ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ [القصص: 88]،فإن هذه الآية الكريمة فيها إثبات صفة الوجه لله -عَزَّوَجَلَّ- صفة ذاتية تليق بعظمة الله وجلاله من غير تشبيه ولا تعطيل ولا تأويل مذموم

وقال الله تعالى : ﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ﴾ [الأنعام: 19]

فمن أسماء الله الشهيد، وهو الرقيب على عباده،والمطلع على ظواهرهم وبواطنهم،لا يعزب عنه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء ولا أصغر من ذلك ولا أكبر، أحاط بكل شيء علما وأحصى كل شيء عددا.

وفي قوله تعالى :﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ ﴿٢٨﴾﴾ [آل عمران]، إثبات صفة النفس لله تبارك وتعالى ومثل ذلك قول الله -عَزَّوَجَلَّ- بما أخبر به عن نبيه عيسى : ﴿تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ﴾ [المائدة: 116] ،صفة ذاتية تليق بعظمة الله وجلاله.

وفي قوله سبحانه : ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي﴾ [الحجر: 29]إثبات صفة الروح، ولا فرق بينها وبين إثبات صفة النفس، بل كل الآيات الثلاث بمعنى واحد، وهو إثبات صفة النفس لله صفة ذاتية تليق بعظمته وكماله.

وفي قوله سبحانه : ﴿فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ [الطور: 48].إثبات صفة العينين لله تبارك وتعالى، وجاءت بلفظ الجمع هنا ﴿ بِأَعْيُنِنَا﴾ للمشاكلة بين المضاف والمضاف إليه، وإلا فإن لله -عَزَّوَجَلَّ- عينين اثنتين تليق بعظمته وجلاله، دلَّ على ذلك قول النبي - صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- في وصف الدجال: " إِنَّهُ أَعْوَرُ، وَإِنَّ رَبَّكُمْ لَيْسَ بِأَعْوَرَ "[1]والعور فقد إحدى العينين، فدلّ الحديث على أن الله -عَزَّوَجَلَّ-موصوفٌ بصفة العينين صفة ذاتية تليق بعظمته وجلاله، ثم ذكر ابن

[1]- رواه البخاري، (7131) ومسلم، (2933)

أبي زمنين قول الله تعالى :{﴿وَلِتُصۡنَعَ عَلَىٰ عَيۡنِيٓ ٣٩﴾ [طه]جاء لفظ العين التي هي صفة لله تبارك وتعالى مفرداً، ووجه مجيئه مفرداً لأن الاسم المفرد المضاف يعم، يشمل الواحد والاثنين والجماعة، وكذلك المشاكلة بين المضاف والمضاف إليه، فـــ(عين) مضاف وياء المتكلم مضاف إليه.

وفي قولـــه –عَزَّوَجَلَّ– : ﴿وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغۡلُولَةٌۚ غُلَّتۡ أَيۡدِيهِمۡ وَلُعِنُواْ بِمَا قَالُواْۘ بَلۡ يَدَاهُ مَبۡسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيۡفَ يَشَآءُ﴾ المائدة: 64].في الآية الكريمة إثبات صفة اليدين لله –عَزَّوَجَلَّ– صفة ذاتية ذات كمال وجلال تليق بعظمة الله وجلاله لا تشبيه ولا تمثيل ولا تحريف ولا تأويل ولا تعطيل،بل كما قال الله تعالى :﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ١١﴾ [الشورى]

وذلك دليل على أن لله يدين اثنتين تليق بعظمته وجلاله، ولفظ اليد أيضاً جاء تارةً بلفظ الإفراد وتارةً بلفظ التثنية وتارةً بلفظ الجمع.

والحـاصـــل: أن لله يدين اثنتين والجمع بين هذه الألفاظ أن ورود اليد بلفظ الإفراد كما في قوله تعالى: ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِي بِيَدِهِ ٱلۡمُلۡكُ﴾ [الملك: 1] ،فإن لفظ اليد هنا مفرد مضاف والمفرد المضاف يعم الواحد والاثنين والجماعة، وفي قوله { يـــــداه } تثنيه وأن لله يدين اثنتين، وفي قوله –عَزَّوَجَلَّ– ﴿أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّا خَلَقۡنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتۡ أَيۡدِينَآ﴾ [يس: 71]

جاءت مجموعة للمشاكلة بين المضاف والمضاف إليه كالقول في { بأعيننا } فأيدي مضاف و(نا) مضاف إليه وهو للمتكلم المعظِّم نفسه وهو الله تبارك وتعالى، والصفة أن لله يدين اثنتين صفة ذاتية تليق بعظمة الله وجلاله.

وفي قوله –عَزَّوَجَلَّ– : ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦ وَٱلۡأَرۡضُ جَمِيعٗا قَبۡضَتُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ﴾ [الزمر:67] ، فيها دليل على الله تبارك وتعالى له يـــدان اثنتان، كما سلف في الآيات المتقدمة، وأن يده توصف بأنها يمين، وكما قال النبي – صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ– عن آدم – عَلَيۡهِٱلسَّلَامُ – : " وكلتا

يديْ ربي يمينٌ مباركةٌ"[1]، لا تشبه صفة المخلوق وإنما هي صفة كمالٍ وجلالٍ تليق بعظمة الله وجلاله.

وفي قوله -عَزَّوَجَلَّ- : ﴿إِنَّنِي مَعَكُمَآ﴾ [طه:46]، أي قال لموسى وهارون عليهما السلام عندما أرسلهما إلى فرعون الطاغية قال الله تعالى لهما : ﴿ إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسۡمَعُ وَأَرَىٰ ﴾ [طه:46]ليذهب ما بهما من خوف، فقوله: ﴿ مَعَكُمَآ ﴾ إثبات صفة المعية الخاصة لله -عَزَّوَجَلَّ- أي معية الحفظ والكلاءة والرعاية، أي معكما بحفظي لكما ورعايتي، وفي قوله: ﴿ أَسۡمَعُ ﴾ إثبات صفة السمع لله تبارك وتعالى، صفة ذاتية تليق بعظمة الله وجلاله؛ كما قال الله -عَزَّوَجَلَّ- : ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ١١﴾ [الشورى] ، وجاء هنا بلفظ الفعل المضارع، ﴿ وَأَرَىٰ ﴾ إثبات صفة البصر لله -عَزَّوَجَلَّ- صفة ذاتية تليق بعظمة الله وجلاله، فمن صفاته السمع ومن صفاته البصر، قال -عَزَّوَجَلَّ- ﴿ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ١١﴾ وغيرها من الآيات.

وفي قول الله -عَزَّوَجَلَّ- : ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا ١٦٤﴾ [النساء].

إثبات صفة الكلام لله -عَزَّوَجَلَّ- صفة ذاتية باعتبار اتصاف الله به أزلاً وأبداً، وصفة فعلية باعتبار تنزله بمشيئة الله واختياره، لأنه سبحانه يتكلم متى شاء بما شاء ومع من شاء في الدنيا والآخرة.

وقوله تعالى :﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ [النور: 35]، أي: هو المنوِّر للسماوات والأرض لا غيره، وفي الحديث : " حجابُهُ النور، لو كشفه لأحرقت سُبُحاتِ وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه"[2]

---

[1]- رواه الترمذي (3368)، وابن خزيمة في التوحيد (160/1)، وابن حبان في الصحيح (6167) وحسنه الألباني في الصحيحة (3136).

[2]- رواه مسلم (179)

وفي قوله تعالى : ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ﴾ [البقرة: 255] ، أي أن من الأسماء الحسنى : الله، لفظ الجلالة علمٌ على ذات الله المقدسة، وكل الأسماء تابعة للفظ الجلالة، أي يُنعت بها فتقول: الله الرحمن الرحيم السميع العليم إلى غير ذلك، فما جاء بعده من أسماء الله فهو نعتٌ له وهو أعرفُ المعارف وهو مشتق لا جامد، وفي قوله: ﴿ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ﴾ اسمان كريمان دلّ الأول على إثبات صفة الحياة لله صفة ذاتية تليق بعظمة الله وجلاله، ودلّ الثاني على إثبات صفة القيومية أي: أن الله قائمٌ بذاته مقيمٌ لغيره من مخلوقاته، فهو الغني وهم الفقراء إليه، وهو الحي الذي لا يموت والقائم بجميع شؤون مخلوقاته الدينية و الدنيوية، وذلك من صفات الكمال التي دلّ عليها هـــذان الاسمان الكريمان: الحــي القــيوم.

ثم نفــى عن نفسه صفة النقص في قوله: ﴿لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ﴾ [البقرة: 255].

ومعنــى السِّنِة: مبــادئ النوم، فالله منزَّهٌ أن تأخذه سِنَةٌ، لأنه لا ينام ولا ينبغي له أن ينام، بيده القسط يرفعه ويخفضه، يُرفع إليه عمل الليل قبل عمل النهار وعمل النهار قبل عمل الليل.

فنفى الله عن نفسه السِّنَة والنوم؛ لأن النوم يحتاج إليه الضعيف من مخلوقاته، وهو سبحانه لا ينام لأنه مالك الملك والشهيد الرقيب والمحيط بكل شيء فلا ينام ولا ينبغي له أن ينام بيده القسط يرفعه ويخفضه.

وقوله: ﴿هُوَ ٱلۡأَوَّلُ وَٱلۡأٓخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلۡبَاطِنُۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ ٣﴾ [الحديد]. هذه أسماء من أسماء الله الحسنى، الأول الذي ليس قبله شيء، وفي الحديث: " كَانَ اللَّهُ وَلَمْ يَكُنْ شَيْءٌ قَبْلَهُ"[1]

---

(1) - رواه البخاري (7418)

أي ليس لأوليته بداية، والآخر الذي هو بعد كل شيء وليس لآخريته نهاية، والظاهر الذي هو فوق كل شيء وعليٌّ على كل شيء علو الذات وعلو القهر والغلبة وعلو الشأن والعظمة، والباطن الذي ليس دونه شيءٌ، أي الباطن المُطَّلع على خفايا الأمور جميعها، قليلها وكثيرها، أقوالها وأفعالها وأعمالها، وقد جاء تفسير هذه الأسماء الحسنى عن النبي - صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ- في الدعاء المأثور: " اللهمَّ أنت الأول فليس قبلك شيءٌ، وأنت الآخر فليس بعدك شيءٌ، وأنت الظاهر فليس فوقك شيءٌ، وأنت الباطنُ فليس دونكَ شيءٌ، اقْضِ عنَّا الدَّيْنَ وأغننا من الفقر".

ثمرات الإيمان بالأسماء والصفات

أولًا : تحقيق ما أوجب الله – جل وعلا – من الإيمان به ، فالله – جل وعلا – أمرنا بالإيمان به ، فمن آمن بالأسماء والصفات جميعًا – كما أخبر الله – جل وعلا – بها ، وأخبر بها نبيه – صلى الله عليه وسلم – فقد حقق هذا الإيمان

ثانياً : عبادة الله وحده لا شريك له ، فالإيمان بالأسماء والصفات يقود إلى توحيد الله – جل وعلا – حق توحيده ، وأن يُعبد وحده لا شريك له .

ثالثاً : المؤمن بالأسماء والصفات ، يَلين لسانه بحسن الثناء على الله ، ومَن أَكْثر الثناءَ على الله – جل وعلا – قَرُب منه ، وأحس في قلبه اللذة والحلاوة لمناجاته .

رابعاً : أنه يفتح لك باب السؤال ، والدعاء الحسن لله – جل وعلا – في مطالبك ، لأن الله يقول ﴿ وَلِلّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا ﴾ [الأعراف : 180] ، فإذا سألت الله بما يناسب مطلوبك ، من أسمائه وصفاته ، تكون قد توسلت إلى الله – جل وعلا – بأعظم وسيلة ، لأن أعظم ما يُتوسل به إلى الله – جل وعلا – هو أن يُتوسل إليه – جل وعلا – بالله .

خامساً : العلم بالكتاب والسنة ، وهي أعظم العلوم ،فالكتاب والسنة أكثر ما فيه وصف لله – جل وعلا – وبيان ما يستحقه سبحانه ، وبيان ما له – جل وعلا – ولذلك تجد أن أكثر الآيات

مختومة بأسماء الله وصفاته ، فإذا لم يكن عندك علم بالأسماء والصفات التي ينتج عنها الإيمان ، فسيكون هناك نقص في معرفة الآيات ، وبالتالي سيكون هناك نقص في معرفتك بالقرآن و معرفتك بالسنة ، وهكذا .

خامسا : التدبر في ملكوت الله – جل وعلا – ، فإذا عظُم العلم بالأسماء والصفات ، نظرت إلى الملكوت بنظرة أخرى ، نظرت إلى مخلوقات الله تعالى على أنها كلها تدل على الله – جل وعلا . –

التقويم

س1–هناك أمور ينبغي معرفتها حول أسماء الله الحسنى اذكرها باختصار.

س2– ما معنـى توحيد الأسماء والصفات؟

س3– الله –عَزَّوَجَلَّ– موصوف بصفة العينين واليدين نـــــــاقش ذلك.

س4– كيف ردَّ أهل السنة والجماعة على من نفـــــــــى الصفات أو أوّلها ؟

س5– صفة الكلام لله –عَزَّوَجَلَّ– صفة ذاتية فعلية ناقش ذلك من خلال ما درست؟

الدرس الثالث
باب في اَلْإِيمَان بِأَنَّ اَلْقُرْآنَ كَلَامُ اَللَّهِ

قَالَ مُحَمَّدٌ: وَمِنْ قَوْلِ أَهْلِ اَلسُّنَّةِ: أَنَّ اَلْقُرْآنَ كَلَامُ اَللهِ وَتَنْزِيلُهُ، لَيْسَ بِخَالِقٍ وَلَا مَخْلُوقٍ، مِنْهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى بَدَأَ، وَإِلَيْهِ يَعُودُ.

وَحَدَّثَنِي وَهْبٌ عَنْ اِبْنِ وَضَّاحٍ، عَنْ زُهَيْرِ بْنِ عَبَّادٍ، عَنْ عَبَّادٍ قَالَ: كَانَ كُلُّ مَنْ أَدْرَكْتُهُ مِنَ اَلْمَشَايِخِ: مَالِكُ بْنُ أَنَسٍ وَسُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ، وَفُضَيْلُ بْنُ عِيَاضٍ، وَعِيسَى بْنُ يُونُسَ، وعَبْدُ الله بْنُ اَلْمُبَارَكِ، وَوَكِيعُ بْنُ اَلْجَرَّاحِ وَغَيْرُهُمْ مِمَّنْ أَدْرَكْتُ مِنْ فُقَهَاءِ اَلْأَمْصَارِ: مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ وَالْعِرَاقِ وَالشَّامِ وَمِصْرَ وَغَيْرِهَا يَقُولُونَ: اَلْقُرْآنُ كَلَامُ اَللهِ لَيْسَ بِخَالِقٍ وَلَا مَخْلُوقٍ، وَلَا يَنْفَعُهُ عِلْمٌ حَتَّى يَعْلَمَ وَيُؤْمِنَ أَنَّ اَلْقُرْآنَ كَلَامُ اَللهِ لَيْسَ بِخَالِقٍ وَلَا مَخْلُوقٍ.

قَالَ اِبْنُ وَضَّاحٍ: وَلَا يَسَعُ أَحَدًا أَنْ يَقُولَ: كَلَامُ اَللهِ قَطُّ حَتَّى يَقُولَ: لَيْسَ بِخَالِقٍ وَلَا مَخْلُوقٍ وَلَا يَنْفَعُهُ عِلْمٌ حَتَّى يَعْلَمَ وَيُوقِنَ أَنَّ اَلْقُرْآنَ كَلَامُ اَللهِ لَيْسَ بِخَالِقٍ وَلَا مَخْلُوقٍ، مِنْهُ -عَزَّوَجَلَّ- بَدَأَ وَإِلَيْهِ يَعُودُ، وَمَنْ قَالَ بِغَيْرِ هَذَا فَقَدْ كَفَرَ بِاَللَّهِ اَلْعَظِيمِ.

وَقَالَ مَسْلَمَةُ بْنُ اَلْقَاسِمِ -رَحِمَهُٱللَّهُ-: كَلَامُ اَللهِ -عَزَّوَجَلَّ- مُنَزَّلٌ مَفْرُوقٌ لَيسَ بِخَالِقٍ وَلَا مَخْلُوقٍ، لَا تَدْخُلُ فِيهِ أَلْفَاظُنَا وَإِنَّ تِلَاوَتَنَا لَهُ غَيْرُ مَخْلُوقَةٍ؛ لِأَنَّ اَلتِّلَاوَةَ هِيَ اَلْقُرْآنُ بِعَيْنِهِ، فَمَنْ زَعَمَ أَنَّ اَلتِّلَاوَةَ مَخْلُوقَةٌ فَقَدْ زَعَمَ اَلْقُرْآنَ مَخْلُوقًا، وَمَنْ زَعَمَ أَنَّ اَلْقُرْآنَ مَخْلُوقٌ، فَقَدْ زَعَمَ أَنَّ عِلْمَ اَللهِ مَخْلُوقٌ، وَمَنْ زَعَمَ أَنَّ عِلْمَ اَللهِ مَخْلُوقٌ فَهُوَ كَافِرٌ.

الشـــــــرح

هذه الآثار التي أورده الإمام ابن أبي زمنين فيها بيان فساد معتقد أهل البدع والضلال في كلام عموماً، وفي القرآن الكريم خصوصاً.

فصل: عقيدة أهل السنة والجماعة في القرآن

فأهل السنة والجماعة يعتقدون أن القرآن العظيم كلام الله لفظه ومعانيه، فلا يقال اللفظ دون المعنى كما هو قول المعتزلة ولا المعنى دون اللفظ كما هو قول الكلابية الضلال ومن تابعهم على باطلهم، فأهل السنة والجماعة يقولون ويعتقدون أن القرآن كلام الله منزلٌ غير مخلوقٍ منه بدأ وإليه يعود، تكلم الله به حقيقة بحرف وصوت، فألفاظه ومعانيه عين كلام الله سمعه جبريل من الله والنبي سمعه من جبريل والصحابة سمعوه من النبي - صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ -، فهو المكتوب بالمصاحف المحفوظ بالصدور المتْلُو بالألسنة، قال الحافظ ابن القيم :

وكذلك القـــــــــــرآن عـــــين كلامه الـــمسموع منه حقيقة ببيان

هـــو قـــول ربـــــي كلـــه لا لفظـاً ومعنـى مـا همـا خلقـان

تنزيـــــل رب العالمـــين ووحيه اللفـــــظ والمعنى بـلا روغـــان

مسألــة: حكم من قال أن القرآن مخلوق

قال الإمام يحيى بن خلف المُقرئ: " كنت عند مـــالك بن أنس، فأتاه رجلٌ فقال : يا أبا عبدالله ما تقول فيمن يقول القــرآن مخلوق؟ فقال: " كافرٌ زنديقٌ اقتلوه "[1]

وقال الشافعـــي -رَحِمَهُٱللَّهُ-: " ما لقيتُ أحداً _ يعني من شيوخه _ إلا قال : من قال في القرآن أنه مخلوق فهو كـــافر"[2]، وقال الإمام البخاري: " من قال القرآن مخلوق فهو كافرٌ خارجٌ من الإسلام "[3]

---

[1] - " الأسماء والصفات" للبيهقي (ص:318)

[2]- "الأسماء والصفات" للبيهقي (ص :340)

[3]- " خلق أفعال العباد " (ص : 33)

إذن : من صرّح بأن القرآن مخلوق فقد كذّب القرآن، ومن كذّب القرآن فهو كافر، وذلك بعد إقامة الحجة عليه من الكتاب والسنة، وإزالة كل شبهة هو متشبث بها في دعواه، وأقوال السلف واضحة وصريحة فيمن يقول: القرآن مخلوق؛ إذ إنهم يحكمون على من يقول هذه المقولة المبتدعة بأنه كافر خارج من ملة الإسلام، ولا يشك أحدٌ في كفرهم بعد إقامة البراهين على بطلان معتقدهم، فالله تعالى أخبرنا بأنه كلامه وأنه منزل وهؤلاء المبتدعة يقولون: مخلوق! تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً، قال تعالى : ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الإسراء: 82]

وقال سبحانه: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ۝٢﴾ [يوسف].

وقال تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ التوبة: 6].

وقوله تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا۟ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ [الفتح: 15].

فهذا ما قرره السلف بخلاف الفرق الهالكة الضالة،

مسألة: حكم من توقف في القرآن هل هو مخلوق أم ليس بمخلوق

ومنهم الواقفة الذين وقفوا، وقالوا: لا نقول: مخلوق، ولا نقول: غير مخلوق، فهم جهمية، بل هم شرٌّ من الجهمية كما قال الإمام أحمد -رَحِمَهُ ٱللَّهُ-.

وكذلك لا يقال " لفظي بالقرآن مخلوق" فهذه المقولة من الألفاظ المبتدعة التي لم ينطق بها سلفيٌّ لا من المتقدمين ولا من المتأخرين، قال ابن بطة العكبري: " من قال: لفظي بالقرآن مخلوق؛ فهو ضال مضل جهمي، ومن قال: لفظي بالقرآن غير مخلوق؛ فهو مبتدع، لا يكلم حتى يرجع عن بدعته، ويتوب عن مقالته، فهذا مذهبنا، اتبعنا فيه أئمتنا، واقتدينا بشيوخنا.."[1]

---

[1]- " الإبانة " (347/3) .

إذن : فلا حاجة لأحدٍ إلى أن يقول: (لفظي بالقرآن مخلوق) أو (القرآن بلفظي مخلوق) كل هذا من معتقد الجهمية وأقوال أهل الأهواء والبدع، فأخف شيء في حق قائل هذه العبارة أنه مبتدع ضال؛ لأنهم يريدون أن يقولوا: القرآن مخلوق؛ فأخذوا يتحايلون بهذه العبارات المشكلة على الناس؛ ولكنها على طلاب العلم ليست مشكلة؛ لأن طلاب العلم تتبعوا ألفاظ السلف؛ فإذا هي بارزة واضحة: بأن القرآن كلام الله منزل غير مخلوق منه بدأ وإليه يعود، تكلم الله به حقيقة بحرف وصوت، وهو المتعبد بتلاوته، المفتتح بالحمد لله رب العالمين والمختوم بالمعوذتين، كله كلام الله حروفه وألفاظه ومعانيه، كلها كلام الله -عَزَّوَجَلَّ-.

فمن خرج عن هذا المعتقد وهذا اللفظ الصريح فهو من أهل الأهواء والبدع، وهو ضال مضل على غير السبيل القويم والصراط المستقيم.

التقويم

س1 - ما هي عقيدة أهل السنة والجماعة في القرآن الكريم ؟

س2 - بماذا حكم أئمة الإسلام على من قال " القرآن مخلوق" ؟

س3 - من هم الواقفة؟ وما حكمهم؟ وما حكم من يقول " لفظي بالقرآن مخلوق"؟

الدرس الرابع
باب فِي اَلْإِيمَان بالْعَرْش

قَالَ مُحَمَّدٌ: وَمِنْ قَوْلِ أَهْلِ اَلسُّنَّةِ: أَنَّ اَللَّ -عَزَّوَجَلَّ- خَلَقَ اَلْعَرْشَ وَاخْتَصَّهُ بِالْعُلُوِّ وَالارْتِفَاعِ فَوْقَ جَمِيعِ مَا خَلَقَ، ثُمَّ اِسْتَوَى عَلَيْهِ كَيْفَ شَاءَ، كَمَا أَخْبَرَ عَنْ نَفْسِهِ فِي قَوْلِهِ ﴿ ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا وَمَا تَحۡتَ ٱلثَّرَىٰ ۝٦ ﴾[طه].

وَفِي قَوْلِهِ: ﴿ يَعۡلَمُ مَا يَلِجُ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا يَخۡرُجُ مِنۡهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعۡرُجُ فِيهَاۚ وَهُوَ ٱلرَّحِيمُ ٱلۡغَفُورُ ۝٢ ﴾ [سبأ]

فَسُبْحَانَ مَنْ بَعُدَ فَلَا يُرَى، وَقَرُبَ بِعِلْمِهِ وَقُدْرَتِهِ فَسَمِعَ اَلنَّجْوَى.

قَالَ أَسَدٌ: حَدَّثَنَا عَبْدُ الرحمن بْنُ أَبِي اَلزِّنَادِ عَنْ مُوسَى، عَنْ عُقْبَةَ قَالَ: أَخْبَرَنِي مُحَمَّدُ بْنُ اَلْمُنْكَدِرِ أَنَّ رَسُولَ اَللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ: أُذِنَ لِي أَنْ أُحَدِّثَ عَنْ مَلَكٍ مِنْ حَمَلَةِ اَلْعَرْشِ، بَيْنَ شَحْمَةِ أُذُنِهِ وَعَاتِقِهِ تخْفِقُ اَلطَّيْرِ سَبْعَمِائَةِ عَامٍ

حديث صحيح بغير هذا الإسناد

أَسَدٌ قَالَ: حَدَّثَنَا اَلرَّبِيعُ بْنُ عَبْد الله اَلْبَصْرِيُّ قَالَ: سَمِعْتُ اَلْحَسَنَ يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اَللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: مَسِيرَةُ مَا بَيْنَ هَذِهِ اَلْأَرْضِ إِلَى سَمَاءِ اَلدُّنْيَا خَمْسِمِائَةِ عَامٍ، وَمَسِيرَةُ مَا بَيْنَ هَذِهِ اَلسَّمَاءِ اَلدُّنْيَا إِلَى اَلسَّمَاءِ اَلثَّانِيَةِ مَسِيرَةُ خَمْسِمِائَةِ عَامٍ، فَكَذَلِكَ إِلَى السَّمَاءِ السَّابِعَةِ إِلَى العَرْشِ كَمَا بَيْنَ سَمَاءَيْنِ

صحيح إلى الحسن البصري

وَحَدَّثَنِي أَبِي عن عَلِيّ بْن اَلْحَسَنِ عَنْ أَبِي دَاوُدَ، عَنْ يَحْيَى بْنِ سَلَامٍ قَالَ: حَدَّثَنِي اَلْمُعَلَّى بْنُ هِلَالٍ عَنْ عَمَّارٍ اَلدُّهْنِيِّ عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، عَنْ اِبْنِ عَبَّاسٍ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ:إِنَّ

الكُرْسِيَّ الَّذِي وَسِعَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ مَوْضِعُ الْقَدَمَيْنِ، وَلَا يَعْلَمُ قَدْرَ الْعَرْشِ إِلَّا الَّذِي خَلَقَه

حديث صحيح بغير هذا الإسناد

اسَدُ بْنُ مُوسَى وَقَالَ: حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ سَلَمَةَ عَنْ عَاصِمٍ، عَنْ زِرٍّ أَنَّ عَبْدَ اللهِ بْنَ مَسْعُودٍ قَالَ: "مَا بَيْنَ سَمَاءِ الدُّنْيَا وَالَّتِي يَلِيهَا مَسِيرَةُ خَمْسِمِائَةِ عَامٍ، وَبَيْنَ كُلِّ سَمَاءَيْنِ مَسِيرَةُ خَمْسِمِائَةِ عَامٍ، وَبَيْنَ السَّمَاءِ السَّابِعَةِ وَبَيْنَ الْكُرْسِيِّ خَمْسِمِائَةِ عَامٍ، وَبَيْنَ الْكُرْسِيِّ وَالْمَاءِ مَسِيرَةُ خَمْسِمِائَةِ عَامٍ، وَالْعَرْشُ فَوْقَ الْمَاءِ، وَاللهُ فَوْقَ الْعَرْشِ، وَهُوَ يَعْلَمُ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ".

صحح إسناده الذهبي

الشـــرح

فدرسنا اليوم مهم جداً؛ لأنه يتعلق بمسألة عظيمة ضلت فيها أفهام وزلت فيها أقدام، وهو الإيمان بالعرش عرش الرحمن.

فصل: العرش، معناه ووصفه

والعرش: هو سرير الملك وهو ثابت بالكتاب والسنة فقد قال الله تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾ ، ووصفه الله بأنه فقال :{ ذُو ٱلْعَرْشِ ٱلْمَجِيدُ }[1] ووصفه بأنه كريم عظيم فقال محكم التنزيل :﴿قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبْعِ وَرَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ۝٨٦ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ۝٨٧﴾ [المؤمنون]

، وقال :{ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْكَرِيمِ}[2] ، وجاء في السنة النبوية الصحيحة بأن له قوائم،وأنه سقف

---

(1) - [سورة البروج آية 15]

(2) - [سورة المؤمنون آية 117]

الفردوس،وأنه عظيم وذو وزن ثقيل؛ فقد روى البخاري ومسلم من حديث ابن عباس - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - أن النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - كان يدعو عند الكرب يقول:(لا إله إلا الله العظيم الحليم،لا إله إلا الله رب السموات والأرض ورب العرش العظيم) والدليل على ثِقل وزن العرش قوله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : (سبحان الله وبحمده عدد خلقه وزِنَةَ عرشه ورضا نفسه ومداد كلماته) قال العلامة ابن القيم في كتابه "المنار المُنيف ص:28": "فيه إثبات العرش، وإضافته إلى الرب سبحانه وتعالى، وأنه أثقل المخلوقات على الإطلاق، إذ لو كان شيءٌ أثقل منه لوزن به التسبيح ، وهذا يردُّ على من يقول: إن العرش ليس بثقيلٍ ولا خفيفٍ، وهذا لم يعرف العرش، ولا قَدَرَهُ حق قَدْرِهِ".

وهذه الآثار التي أوردها الإمام ابن أبي زمنين المالكي، الذي يستفاد منها أن الله تبارك وتعالى كان ولا شيء معه وكان عرشه على الماء، فقد ثبت في الحديث الصحيح عن عمران بن حصين - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - أن النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قال : " كانَ اللهُ ولَمْ يَكُنْ شيءٌ غيرهُ، وكانَ عرشهُ على الماءِ، وكَتبَ في الذكر كلَّ شيءٍ، وخلق السموات والأرضَ "[1]، أي: خلق العرش قبل المخلوقات وكان عرشه على الماء، وأول المخلوقات بعد خلق العرش القلم لقول النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: " إنَّ أولَ ما خلقَ اللهُ القلمَ، فقال له: اكتُبْ، قال: ربِّ وماذا أكتب؟ قال: اكتب مقادير كلِّ شيءٍ حتى تقوم الساعةُ"[2]، وهذه الأولية أوليةٌ مقيدة بما بعد خلق الماء والعرش، وخلق العرش أولية مطلقة، فوجب الإيمان بأن الله تبارك وتعالى خلق العرش على الماء واستوى عليه استواء يليق بعظمته وجلاله.

---

[1]- رواه البخاري (3191)

[2]- رواه أبو داود (4700)، وابن أبي عاصم في السنة برقم (102)

فصل: ثبوت صفة الاستواء في القرآن

ودلّ على ثبوت صفة الاستـــواء الفعلية آيات من القرآن الكريم ذكرها الله -عَزَّوَجَلَّ- في سبعة مواضع في القرآن، وهي :

الأول: قولـــه تعـــالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [الأعراف: 54].

، الثـــاني: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۖ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِۦ﴾ [يونس: 3].

الثالث: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۖ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [الرعد: 2].

الرابع: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه]. ، الخامس: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۚ ٱلرَّحْمَٰنُ فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا ۝٥٩﴾ [الفرقان: 59].

السادس: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ مَا لَكُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِىٍّ وَلَا شَفِيعٍ ۚ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ۝٤﴾ [السجدة].

السابع: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [الحديد: 4].

من صفات الله الفعليَّة استواؤه على عرشه، ومذهب السَّلف فيه وفي سائر الصفات إثبات الجميع على ما يليق بالله من غير تكييف أو تمثيل، ومن غير تحريف أو تعطيل، مع فهم المعنى والجهل بالكيفية، كما قال الإمام مالك -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- وقد سُئل عن كيفية الاستواء قال: "الاستواءُ معلومٌ، والكيف مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة". وقد أجمع السلف على إثبات صفة استوى الله على عرشه، قال شيخ الإسلام: " إن الذين نقلوا إجماع السلف أو إجماع أهل السنة أو إجماع الصحابة والتابعين على أن الله

فوق العرش بائن من خلقه لا يُحصيهم إلا الله، وما زال علماء السلف يُثبتون المباينة ويردون قول الجهمية بنفيها"[1]

قال ابن كثير -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- في تفسيره عند تفسير آية الاستواء على العرش من سورة الأعراف، قال: "وأمَّا قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ﴾، فللنَّاس في هذا المقام مقالاتٌ كثيرةٌ جدًّا ليس هذا موضع بسطها، وإنَّما نسلُكُ في هذا المقام مذهب السَّلف الصالح: مالك والأوزاعي والثوري والليث بن سعد والشافعي وأحمد وإسحاق بن راهويه وغيرهم من أئمَّة المسلمين قديماً وحديثاً، وهو إمرارُها كما جاءت من غير تكييف ولا تشبيه ولا تعطيل، والظاهر المتبادر إلى أذهان الْمُشبِّهين منفيٌّ عن الله؛ فإنَّ اللهَ لا يُشبهه شيءٌ من خلقه، وليس كمثله شيءٌ وهو السميع البصير، بل الأمر كما قال الأئمَّة: منهم نُعيم بن حماد الخزاعي شيخ البخاري، قال: مَن شبَّه اللهَ بخلقه كفر، ومن جحدَ ما وصفَ اللهُ به نفسَه فقد كفر، وليس فيما وصف الله به نفسَه ولا رسولُه تشبيه، فمَن أثبت لله تعالى ما وردت به الآياتُ الصريحةُ والأخبارُ الصحيحةُ على الوجه الذي يليق بجلال الله، ونفى عن الله تعالى النقائصَ، فقد سلك سبيل الهُدى".

مسألة: من جحد صفة الاستواء من أهل البدع

صفة استوى الله على عرشه جحدها أهل البدع، وجحدهم لها إما بإنكارها كما فعلت الجهمية والمعتزلة، أنكروا صفات الله -عَزَّوَجَلَّ-، ومن أنكر صفات الله التي جاء بها القرآن والسنة فقد كذب القرآن ومن كذب القرآن فقد كفر، وهؤلاء قد خالفوا الكتاب والسنة حيث أولوا _ الاستواء_ بالاستلاء فقالوا : ﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥ ﴾

[1]- " بيان تلبيس الجهمية" (69/5)

أي: استولى، وفسَروه بالاستيلاء والهيمنة والسيطرة ونحو ذلك من التأويل الفاسد، كالمعتزلة والأشاعرة ومن لف لفهم.

مسألة: معنى الاستواء

وأما أهل السنة والجماعة ففسروه بمعناه الحق قالوا: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾ علا وارتفع استواءً يليق بعظمته وجلاله لا تشبيه ولا تمثيل ولا تحريف ولا تأويل ولا تعطيل بل كما قال الله –عَزَّوَجَلَّ– : ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ۝١١﴾ [الشورى] ، إذن: من معاني الاستواء: الارتفاع، والعلو، والاستقرار.

مسألة: ما الفرق بين العلو والاستواء

الأول: العلو صفة ذاتية لا تنفك عن الله –عَزَّوَجَلَّ–، والا ستواء صفة فعلية، يفعله متى شاء وكيف شاء؛ ولهذا جاءت معطوفة بــ(ثم) في جميع المواضع {ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ}، إلا في سورة طه: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾ لم يكن معطوفاً على شيء، لكن في الجمل المتعاطفة من آي التنزيل الكريم جاءت بحرف العطف (ثم).

الثـاني: العُلوُّ دلَّ عليه الكتاب والسنة والإجماع والعقل والفطرة، فالعقلاء مُقرُّون بأن الله فوقهم، العقل السليم والفطرة السليمة مجبولة علة هذا؛ فما من داعٍ يدعو ربه إلا وهو يرفع يديه؛ لما تقرر عنده أن الله فوق كل شيء، بل حتى صغار الأولاد والبنات من المسلمين إذا كرب الواحد منهم يرفع رأسه يقول: يـــارب.

وأما الاستواء فقد ثبت بالكتاب والسنة، بالكتاب لفظاً وبالسنة معنىً والإجماع انعقد على ذلك، روى البيهقي بسنده عن الإمام الأوزاعي رحمه أنه قال: " كنا والتابعون متوافرون نقول:إن الله تعالى ذكره فوق عرشه؛ ونؤمن بما وردت السنة به من صفاته –

جَلَّوَعَلَا-"[1]، وقد حكى الإجماع كثير من أئمة السلف لا يحصيهم إلا الله كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رَحِمَهُ ٱللَّهُ-.

الثالث: العلو يعلمه خواص الناس وعوامهم، علمه خواص الناس بما آتاهم الله من علم الشريعة، وعوامُّهم بما سمعوا وعقلوا وجُبلت عليه فطرُهم.

أما الاستواء فلا يعلمه إلا خواص من الناس: وهم أهل العلم، فهم الذين يعلِّمونه ويقرونه في الناس.

والكرسي ذكره الله تبارك وتعالى في القرآن وجاء ذكره في الحديث الذي أورده الإمام ابن أبي زمنين، وهو من مخلوقات الله العظيمة وهو بين يدي العرش، قال ابن عباس:" هو موضع القدمين للجبار الباري تبارك وتعالى"[2] كما يليق بعظمته وجلاله، وهذا هو التفسير الحق بخلاف من فسَّر الكرسي بالعلم، وقالوا في تفسير قول الله تعالى : ﴿وَسِعَ كُرۡسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ﴾ [البقرة: 255].

أي: وسع علمه، وهو تفسير مرجوح، والراجح تفسير الكرسي بأنه موضع القدمين أي للجبار تبارك وتعالى، قال أبو منصور الأزهري: " والصحيح عن ابن عباسٍ في الكرسي ما رواه الثوري وغيره عن عمارٍ الدهني عن مسلم البَطين عن سعيد بن جبير عن ابن عباسٍ أنه قال: الكرسي موضع القدمين، وأما العرش فإنه لا يُقدر قدره، وهذه

---

[1]- " الأسماء والصفات" (865)

[2]- أخرجه عبدالله بن الإمام أحمد في "السنة"(586)، وابن أبي شيبة في كتاب العرش(61)،وابن خزيمة في التوحيد(ص:248) وغيرهم،وقال الإمام الألباني في " مختصر العلو" (ص102) رقم (45) : إسناده صحيح،رجاله كلهم ثقات.

روايةٌ اتفق أهل العلم على صحتها، والذي رُوي عن ابن عباس في الكرسي أنه العلم، فليس مما يُثبته أهل المعرفة"[1].

❁❁❁❁❁❁

التقويم

س1-ما معنى العرش؟

س2-خلق الله العرش قبل جميع المخلوقات اذكر الدليل ؟

س3- وُصف عرش الرحمن بصفات عظيمة جاءت في الكتاب والسنة اذكرها ؟

س4- ما معنى الاستواء؟ واذكر الأدلة على استواء الله تعالى فوق عرشه؟

س5- اذكر الفروق بين العلو والاســـــتواء ؟

س6- قال تعالى :"﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾

ما معنى الكرسي؟ وهل يصح أن يفسر بالعلم؟ اذكر الأدلة على ذلك ؟

---

[1]- "تهذيب اللغة" (33/10).

الدرس الخامس
باب اَلْإِيمَان بِالْحُجُبِ

قال محمدٌ_ ابن أبي زمنين_ ومن قول أهل السنة: إن الله -عَزَّوَجَلَّ- بائِنٌ من خلقه، مُحتجبٌ عنهم بالحجب، فتعالى الله عما يقول الظالمون، ﴿كَبُرَتۡ كَلِمَةٗ تَخۡرُجُ مِنۡ أَفۡوَٰهِهِمۡۚ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبٗا ۝٥﴾ [الكهف].

أَسَدٌ قَالَ: حَدَّثَنِي وَكِيعُ بْنُ اَلْجَرَّاحِ عَنْ سُفْيَانَ اَلثَّوْرِيِّ، عَنْ عُبَيْدٍ اَلْمُكْتِبِ، عَنْ مُجَاهِدٍ، عَنْ اِبْنِ عُمَرَ قَالَ: "اِحْتَجَبَ اَللَّهُ مِنْ خَلْقِهِ بِأَرْبَعٍ: نَارٍ، وَظُلْمَةٍ، وَنُورٍ، وَظُلْمَةٍ"

حديث صحيح

أَسَدٌ قَالَ: وَحَدَّثَنَا هُشَيْمُ بْنُ بَشِيرٍ قَالَ: أَخْبَرَنَا يُونُسُ بْنُ عُبَيْدٍ عَنْ مُجَاهِدٍ قَالَ: "بَيْنَ اَلْمَلَائِكَةِ وَبَيْنَ اَلْعَرْشِ سَبْعُونَ حِجَابًا مِنْ نَارٍ، وَسَبْعُونَ حِجَابًا مِنْ ظُلْمَةٍ، وَحِجَابٌ مِنْ نُورٍ، وَحِجَابٌ مِنْ ظُلْمَةٍ".

صحيح عن مجاهد

الشـــرح

قال الإمام ابن أبي زمنين -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- :ومن قول أهل السنة: إن الله -عَزَّوَجَلَّ- بائِنٌ من خلقه مُحتجبٌ عنهم بالحجب، لا كما زعمت الجهمية والمعتزلة الذين انكروا ما جاء في النصوص الشرعية من ذكر احتجابه سبحانه عن خلقه في الدنيا ولهذا قال بعدها (

فتعالى الله عما يقول الظالمون) أي الجهمية والمعتزلة ثم بين عظم خطر الافتراء على الله سبحانه فقال ﴿ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ ۚ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ۝٥ ﴾ [الكهف].

فهذا بيانٌ لمعتقد أهل السنة والجماعة سلفاً وخلفاً، إذ إنهم يثبتون لله تبارك وتعالى جميع صفات كماله، ومنها علوه، واستواؤه على عرشه، ليس فيه شيءٌ من مخلوقاته، ولا هو في شيء من مخلوقاته، تنزّه وتقدّس عما يعتقده الظالمون، ويقولونه من الشرك وبدع التحريف والتشبيه والتعطيل، والتأويل المذموم، تعالى عن ذلك كله علوا كبيراً.

فصل: ثبوت الحجب بالكتاب والسنة والإجماع

فالحجب ثابتة بالكتاب والسنة واجماع السلف،قال تعالى:﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآيِ حِجَابٍ﴾ [الشورى: 51].

وقد جاء في الحديث الصحيح أن النبي – صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – قال: " حجابه النور لو كشفه لأحرقت سُبُحات وجهه ما انتهى إليه بصره"[1]. ففي هذا الحديث:

1_ إثبات صفة الوجه لله–جَلَّ وَعَلَا– يليق بعظمته وجلاله وكماله.

2_ وفيه أن الله تعالى لا يراه أحدٌ في الدنيا؛ لأنه احتجب عن خلقه سبحانه وتعالى بالنار أو النور، ولو كشف الحجاب لاحترق الخلق ولما استطاعوا أن يثبتوا لرؤية الله –عَزَّوَجَلَّ– في الدنيا، ولهذا لما كلمَ اللهُ موسى بدون واسطة من وراء حجاب طمع موسى – عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ – في الرؤية فقال : ﴿رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرْ﴾ [الأعراف: 143].

قال الله: ﴿لَن تَرَىٰنِي﴾ أي: لا تستطيع ولا تتحمل الرؤية، ولكن انظر إلى الجبل وهو جبل صخر عظيم، فقال: ﴿فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ﴾ أي: إن ثبت الجبل فأنت تستطيع أن تراني، وإلا فلا، فلما تجلى الله للجبل دُكَّ الجبل وساح وخرَّ موسى صعقاً، أي: أُغمي

---

[1]- رواه مسلم (179)

عليه، فلما أفاق موسى قال: سبحانك تبت إليك وأنا أول المؤمنين بأنه لا يراك بشرٌ في الدنيا إلا مات، ولا جبل إلا دُكَّ؛ ولذلك لا يستطيع أحد أن يرى الله في الدنيا لا من الأنبياء ولا من الملائكة ولا من غيرهم، فقد احتجب الله من خلقه بالنار أو النور، وجاء في الأثر الذي ذكره الإمام ابن أبي زمنين أنه احتجب من خلقه بنار ونور وظلمة، فلا يستطيع أحدٌ أن يرى الله ولا يستطيع أحدٌ أن يتحمل رؤية الله في الدنيا، ولكن يوم القيامة يُنشئ الله المؤمنين نشأةً قوية يتحملون فيها رؤية الله، فينظر المؤمنون إلى ربهم يوم القيامة، كما قال الله -عَزَّوَجَلَّ- : ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ ﴿٢٤﴾﴾ [القيامة].

، وقال - صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- : " إنكم سترون ربكم كما ترون هذا القمر لا تُضامون في رؤيته"[1].

مسألة: من هم المنكرون للحجب من أهل البدع نأ

وهذا ما يعتقده أهل السنة والجماعة أن لله حجباً خلافاً للجهمية الضالة "التي لا تثبت له حجباً أصلاً؛ لأنه عندهم ليس فوق العرش"[2]، قال الإمام الدارمي -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- بعد ذكر الأدلة على الحجب :" من يُقدر قدر هذه الحجب التي احتجب الجبار بها، ومن يعلم كيف هي غيرُ الذي ﴿أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴿١٢﴾﴾ [الطلاق].

﴿وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا ﴿٢٨﴾﴾ [الجن].

ففي هذا أيضاً دليل أن بائنٌ من خلقه، محتجبٌ عنهم، لا يستطيع جبريلُ مع قُربه إليه الدُّنوَّ من تلك الحجب، وليس كما يقول هؤلاء الزائغة: إنه معهم في كل مكان!،ولو كان كذلك، ما كان للحجب هناك معنىً؛لأن الذي هو في كل مكان لا يحتجب بشيءٍ من

---

[1]- رواه البخاري(4851) ومسلم (633)

[2]- " مجموع الفتاوى" (10/6)

شيءٍ، فكيف يحتجب من هو خارجُ الحجاب كما هو من ورائه،فليس لقول الله –عَزَّوَجَلَّ-: ﴿مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ﴾ [الشورى: 51].

عند القوم مصداقٌ،والآثار التي عن رسول الله - صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- في نزول الرب تبارك وتعالى تدلُ على أن الله –عَزَّوَجَلَّ- فوق السماوات على عرشه،بائنٌ من خلقه"[1].



التقويم

س1–اذكر الأدلة من الكتاب والسنة على إثبات الحجب لله تعالى ؟

س2– في إثبات للحجب لله –عَزَّوَجَلَّ- دليل على أنه لا يستطيع أحد أن يراه في الدنيا ناقش ذلك من خلال الشرح؟

س3– اذكر كلام الإمام الدارمي في رده على الجهمية التي أنكرت الحجب ؟



[1] " الرد على الجهمية" (ص:99-100)

الدرس السادس
باب فِي اَلْإِيمَان بالنُّزُول

قَالَ مُحَمَّدٌ: وَمِنْ قَوْلِ أَهْلِ اَلسُّنَّةِ: أَنَّ اَللَّهَ -عَزَّوَجَلَّ- يَنْزِلُ إِلَى [سَماءِ اَلسَّمَاءِ] اَلدُّنْيَا، وَيُؤْمِنُونَ بِذَلِكَ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَحُدُّوا فِيهِ حَدًّا.

وَحدَّثَنِي سَعِيدُ بْنُ فَحْلُونَ، عَنْ اَلْعَكِّي، عَنْ اِبْنِ بُكَيْرٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا مَالِكٌ، عَنْ اِبْنِ شِهَابٍ، عَنْ أَبِي عَبْد الله اَلْأَغَرِّ، وَعَنْ أَبِي سَلَمَةَ بْنِ عبد الرحمن، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اَللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ: "يَنْزِلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى سَمَاءِ اَلدُّنْيَا حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اَللَّيْلِ اَلْآخِرُ، فَيَقُولُ: مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ، وَمَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ، وَمَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ"حديث صحيح

وَحَدَّثَنِي إِسْحَاقُ عَنْ أَحْمَدَ بْنِ خَالِدٍ، عَنْ اِبْنِ أَبِي شَيْبَةَ قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ بِشْرٍ قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرٍو، عَنْ أَبِي سَلَمَةَ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اَللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: "يَنْزِلُ اَللَّهُ إِلَى سَمَاءِ اَلدُّنْيَا بِنِصْفِ اَللَّيْلِ اَلْآخِرِ، أَوْ ثُلُثِ اَلْآخِرِ، فَيَقُولُ: مَنْ ذَا اَلَّذِي يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ، مَنْ ذَا اَلَّذِي يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ، مَنْ ذَا اَلَّذِي يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ، حَتَّى يَطْلُعَ اَلْفَجْرُ أَوْ يَنْصَرِفَ اَلْقَارِئُ مِنْ صَلَاةِ اَلصُّبْحِ " حديث صحيح

وَأَخْبَرَنِي وَهْبٌ عَنْ اِبْنِ وَضَّاحٍ، عَنْ زُهَيْرِ بْنِ عُبَادَةَ قَالَ: كُلُّ مَنْ أَدْرَكْتُ مِنْ اَلْمَشَايِخِ: مَالِكٍ وَسُفْيَانَ وَفُضَيْلِ بْنِ عِيَاضٍ وَعِيسَى وَابْنِ اَلْمُبَارَكِ وَوَكِيعٍ كَانُوا يَقُولُونَ: اَلنُّزُولُ حَقٌّ.

قَالَ مُحَمَّدٌ: وَهَذَا اَلْحَدِيثُ بَيَّنَ أَنَّ اَللَّهَ -عَزَّوَجَلَّ- عَلَى عَرْشِهِ فِي اَلسَّمَاءِ دُونَ اَلْأَرْضِ، وَهُوَ أَيْضًا بَيِّنٌ فِي كِتَابِ اَللَّهِ، وَفِي غَيْرِ مَا حَدِيثٍ عَنْ رَسُولِ اَللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-.

قَالَ اَللَّهُ -عَزَّوَجَلَّ- ﴿يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ﴾ [السجدة: 5].

، وقَالَ ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يَخۡسِفَ بِكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ ﴿١٦﴾﴾ [الملك].

وَقَالَ : ﴿أَمۡ أَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يُرۡسِلَ عَلَيۡكُمۡ حَاصِبٗاۖ فَسَتَعۡلَمُونَ كَيۡفَ نَذِيرِ ﴿١٧﴾﴾ [الملك].

وَقَالَ: ﴿إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلۡعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرۡفَعُهُۥ﴾ [فاطر: 10].

وَقَالَ ﴿وَهُوَ ٱلۡقَاهِرُ فَوۡقَ عِبَادِهِۦ﴾ [الأنعام: 18].

وَقَالَ: ﴿يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ﴾ [آل عمران: 55].

وَقَالَ: ﴿بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيۡهِ﴾ [النساء: 158].

حَدَّثَنِي سَعِيدُ بْنُ فَحْلُونَ عَنْ العَكِّيِّ، عَنْ أَبِي بُكَيْرٍ قَالَ: حَدَّثَنَا مَالِكٌ، عَنْ هِلَالِ بْنِ أُسَامَةَ، عَنْ عَطَاءِ بْنِ يَسَارٍ، عَنْ عُمَرَ بْنِ اَلْحَكَمِ أَنَّهُ قَالَ أَتَيْتُ رَسُولَ اَللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اَللَّهِ إِنَّ جَارِيَةً لِي كَانَتْ تَرْعَى غَنَمًا لِي فَجِئْتُهَا وَقَدْ فُقِدَتْ شَاةٌ مِنْ اَلْغَنَمِ فَسَأَلْتُهَا عَنْهَا فَقَالَتْ: أَكَلَهَا اَلذِّئْبُ فَأَسِفْتُ عَلَيْهَا وَكُنْتُ مِنْ بَنِي آدَمَ فَلَطَمْتُ وَجْهَهَا، وَعَلَيَّ رَقَبَةٌ أَفَأُعْتِقُهَا؟ قَالَ لَهَا رَسُولُ اَللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: أَيْنَ اَللَّهُ؟ فَقَالَتْ: فِي اَلسَّمَاءِ فَقَالَ: مَنْ أَنَا؟ قَالَتْ: رَسُولُ اَللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فَقَالَ رَسُولُ اَللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: أَعْتِقْهَا

قَالَ مُحَمَّدٌ: وَالْحَدِيثُ مِثْلُ هَذَا كَثِيرٌ جِدًّا فَسُبْحَانَ اَللَّهِ مَنْ عِلْمُهُ بِمَا فِي اَلْأَرْضِ كَعِلْمِهِ بِمَا فِي اَلسَّمَاءِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ اَلْعَلِيُّ اَلْعَظِيمُ.حديث صحيح بغير هذا الإسناد

الشـــــرح

أورد الإمام ابن أبي زمنين هذه النصوص من الآيات والأحاديث؛ لإثبات صفة النزول لله -عَزَّ وَجَلَّ- فقال: "وَمِنْ قَوْلِ أَهْلِ اَلسُّنَّةِ: أَنَّ اَللَّهَ -عَزَّ وَجَلَّ- يَنْزِلُ إِلَى سَمَاءِ اَلدُّنْيَا، وَيُؤْمِنُونَ بِذَلِكَ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَحُدُّوا فِيهِ حَدًّا"

فقوله: (ينزل ربنا) أي: نزولًا يليق بجلاله نؤمن به، ولا نشبهه بنزول المخلوق؛ لأنه سبحانه {ليس كمثله شيء}. (إلى سماء الدنيا) أي: السماء الدنيا من إضافة الموصوف إلى

صفته، (حين يبقى ثلث الليل الآخر) برفع الآخر صفة لثلث، وفي هذا تعيين لوقت النزول الإلهي. قوله: (فأستجيب له) أي: أجيب دعوته.

ومن فوائد هذا الحديث:

1_أن فيه ثبوت النزول الإلهي، وهو من الصفات الفعلية التي يثبتها أهل السنة والجماعة السابقون واللاحقون على الوجه اللائق بعظمة الله -عَزَّوَجَلَّ-.

2_ والنزول حقيقة نؤمن به، ولا نتعرض لكيفيته؛ إذ أهل السنة يُفوضون كيفية الصفات، ويردون علمها إلى الله تبارك وتعالى؛ لأن معرفة كيفية الصفات من العلم الذي استأثر الله به روى الخطيب البغدادي بسنده أن أبا جعفر الترمذي سأله سائلٌ عن حديث النبي - صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ -:" ينزل ربنا إلى سماء الدنيا"؟ قال : فالنزول كيف يكون؟ يبقى فوقه علوٌّ؟ فقال أبو جعفرٍ الترمذي: " النزول معقولٌ، والكيف مجهولٌ، والإيمانُ به واجبٌ، والسؤالُ عنه بدعةٌ"[1] وهذا ما كان عليه الإمام مَالِكٍ وَسُفْيَانَ وَالفُضَيْلِ بْنِ عِيَاضٍ وَعِيسَى وَابْنِ اَلْمُبَارَكِ وَوَكِيعٍ كلهم يَقُولُونَ: اَلنُّزُولُ حَقٌّ.

3_ وفي الحديث أيضًا إثبات العلو لله تعالى؛ فإن النزول يكون من العلو.

4_ وفيه الرد على من أوّل الحديث بأن معناه نزولرحمته أو أمره. لأن الأصل الحقيقة وعدم الحذف. ولأنه قال: (من يدعوني فأستجيب له) فهل يعقل أن تقول رحمته أو أمره هذا المقال؟!.

[1]- " تاريخ بغداد" (382/1)

قال الحافظ عبد الغني المقدسي:" وتواترت الأخبار وصحت الآثار بأن الله -عَزَّوَجَلَّ- ينزل كل ليلة إلى سماء الدنيا، فيجب الإيمان به، والتسليم له، وترك الاعتراض عليه، وإمراره من غير تكييف، ولا تمثيل، ولا تأويل، ولا تنزيه ينفي حقيقة النزول"[1].

الأسئلة

س1- ما الدليل على نزول الله -عَزَّوَجَلَّ- إلى سماء الدنيا ؟

س2- ما الفوائد المستفادة من حديث النزول؟

س3- اذكر حديث الجارية .



---

[1]- " الاقتصاد في الاعتقاد" (ص:29)

الدرس السابع
باب فِي اَلْإِيمَان بِأَنَّ اَللَّهَ يُحَاسِبُ عِبَادَهُ

قالَ مُحَمَّدٌ: وَمِنْ قَوْلِ أَهْلِ اَلسُّنَّةِ أَنَّ اَللَّهَ -عَزَّوَجَلَّ- يُحَاسِبُ عِبَادَهُ يَوْمَ اَلْقِيَامَةِ وَيَسْأَلُهُمْ مُشَافَهَةً مِنْهُ إِلَيْهِمْ، وَقَالَ -عَزَّوَجَلَّ- ﴿يَوْمَ يَجْمَعُ ٱللَّهُ ٱلرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَآ أُجِبْتُمْ﴾ [المائدة: 109]

وَقَالَ: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ﴾ [النساء: 41].

وَقَالَ ﴿فَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلْمُرْسَلِينَ ۝٦﴾ [الأعراف: 6].

وَقَالَ: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ ٱلْحَٰسِبِينَ ۝٦٢﴾ [الأنعام].

وَقَالَ ﴿إِنْ حِسَابُهُمْ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّي ۖ لَوْ تَشْعُرُونَ ۝١١٣﴾ [الشعراء].

وَهَلْ يُحَاسِبُ اَلْعِبَادَ إِلَّا اَلَّذِي خَلَقَهُمْ وَتَعَبَّدَهُمْ وَأَحْصَى أَعْمَالَهُمْ وَحَفِظَهَا عَلَيْهِمْ حَتَّى يَسْأَلَهُمْ عَنْهَا، فَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ اَلْعَلِيُّ اَلْقَدِيرُ)) .

وَقَدْ حَدَّثَنِي وَهْبٌ عَنْ اِبْنِ وَضَّاحٍ، عَنْ اِبْنِ أَبِي شَيْبَةَ قَالَ: حَدَّثَنَا يَزِيدُ بْنُ هَارُونَ قَالَ: حَدَّثَنَا هَمَّامُ بْنُ يَحْيَى عَنْ قَتَادَةَ، عَنْ صَفْوَانَ بْنِ مُحْرِزٍ قَالَ: بَيْنَمَا أَنَا آخِذٌ بِيَدِ اِبْنِ عُمَرَ إِذْ عَرَضَ لَهُ رَجُلٌ فَقَالَ: يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ كَيْفَ سَمِعْتَ رَسُولَ اَللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فِي اَلنَّجْوَى؟ قَالَ سَمِعْتُه يَقُولُ: إِنَّ اَللَّهَ -عَزَّوَجَلَّ- يُدْنِي اَلْمُؤْمِنَ مِنْهُ يَوْمَ اَلْقِيَامَةِ حَتَّى يَضَعَ عَلَيْهِ كَنَفَهُ وَيَسْتُرُهُ مِنَ اَلنَّاسِ، فَيَقُولُ عَبْدِي أَتَعْرِفُ ذَنْبَ كَذَا؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ يَا رَبِّ، أَتَعْرِفُ ذَنْبَ كَذَا؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ يَا رَبِّ، أَتَعْرِفُ ذَنْبَ كَذَا؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ يَا رَبِّ، حَتَّى إِذَا قَرَّرَهُ بِذُنُوبِهِ وَرَأَى فِي نَفْسِهِ أَنَّهُ قَدْ هَلَكَ، قَالَ: إِنِّي قَدْ سَتَرْتُهَا عَلَيْكَ فِي اَلدُّنْيَا، وَأَنَا أَغْفِرُهَا لَكَ اَلْيَوْمَ، ثُمَّ يُعْطَى كِتَابَ حَسَنَاتِهِ، وَأَمَّا اَلْكُفَّارُ وَالْمُنَافِقُونَ فَإِنَّهُ يُنَادَى عَلَى رُؤُوسِ اَلْأَشْهَادِ هَؤُلَاءِ اَلَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ اَللَّهِ عَلَى اَلظَّالِمِينَ

حديث صحيح

اِبْنُ شَيْبَةَ قَالَ: حَدَّثَنَا وَكِيعٌ عَنْ اَلْأَعْمَشِ، عَنْ خَيْثَمَةَ، عَن عَدِيٍّ اِبْنِ حَاتِمٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اَللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا سَيُكَلِّمُهُ اَللَّهُ لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ تُرْجُمَانٌ"

حديث صحيح

الشـــــرح

قال المصنف -رَحِمَهُ اللَّهُ- : " وَمِنْ قَوْلِ أَهْلِ اَلسُّنَّةِ أَنَّ اَللَّهَ -عَزَّ وَجَلَّ- يُحَاسِبُ عِبَادَهُ يَوْمَ اَلْقِيَامَةِ وَيَسْأَلُهُمْ مُشَافَهَةً مِنْهُ إِلَيْهِمْ" فقوله : " يسألهم مشافهة" فكلمة " مشافهة" لم ترد عن السلف فلا يُعبَّر بها، بل تترك مثل هذه التعبيرات ؛ لعدم الورود، فيقتصر على الوارد كما هو منهج أهل السنة والجماعة.

والإيمان بمحاسبة الله للخلائق فرض من الفرائض من جحده كفر،لأن الله أخبرنا به في القرآن الكريم، وأخبرنا به النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- في السنة المطهرة، فيجب أن تؤمن بأن الخلائق يحاسبون على أعمالهم ، وقد سمى الله يوم القيامة يوم الحساب ؛ لأنه اليوم الذي يحاسب الإنسان فيه على عمله .

فصل: حساب المؤمنين والكافرين

ولكن هل الحساب حساب مناقشة كما يحاسب التاجر تاجرًا آخر بالدرهم والدينار؟

الجواب : لا ، لكنه حساب فضل وإحسان وكرم بالنسبة للمؤمنين فإن الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى -يحاسب المؤمن فيخلو به ويضع كنفه عليه أي ستره ويقرره بذنوبه فيقول له : عملت كذا في يوم كذا حتى يقر ويعترف ، فإذا أقر واعترف قال الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- له : " إني قد سترتها عليك في الدنيا وأنا أغفرها لك اليوم " .

أما الكفار والعياذ بالله فإنهم لا يحاسبون هذا الحساب بل يقررون بأعمالهم ويقول : عملتم كذا وكذا فإذا أنكروا تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم ، وأرجلهم بما كانوا يعملون ، حتى الجلود فإنها تشهد فيقولون لجلودهم : ﴿لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا﴾ فصلت: 21]

قالوا : ﴿قَالُوٓاْ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِيٓ أَنطَقَ كُلَّ شَيۡءٖۚ وَهُوَ خَلَقَكُمۡ أَوَّلَ مَرَّةٖ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ٢١ وَمَا كُنتُمۡ تَسۡتَتِرُونَ أَن يَشۡهَدَ عَلَيۡكُمۡ سَمۡعُكُمۡ وَلَآ أَبۡصَٰرُكُمۡ وَلَا جُلُودُكُمۡ وَلَٰكِن ظَنَنتُمۡ أَنَّ ٱللَّهَ لَا يَعۡلَمُ كَثِيرٗا مِّمَّا تَعۡمَلُونَ ٢٢ وَذَٰلِكُمۡ ظَنُّكُمُ ٱلَّذِي ظَنَنتُم بِرَبِّكُمۡ أَرۡدَىٰكُمۡ فَأَصۡبَحۡتُم مِّنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٢٣ فَإِن يَصۡبِرُواْ فَٱلنَّارُ مَثۡوٗى لَّهُمۡۖ وَإِن يَسۡتَعۡتِبُواْ فَمَا هُم مِّنَ ٱلۡمُعۡتَبِينَ ٢٤﴾ [فصلت]

يقرر الكفار بأعمالهم ويُخزون بها والعياذ بالله وينادى على رؤوس الأشهاد : ﴿هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَىٰ رَبِّهِمۡۚ أَلَا لَعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ١٨﴾ [هود].

فانظر الفرق بين حساب المؤمن وحساب الكفار .

مسألة :هل ينجو من الحساب أحدٌ ؟

الجواب : نعم ينجو منه خلق لا يحصيهم إلا الله قال النبي ، - صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- : "إن أمته عرضت عليه وإن منهم سبعين ألفًا يدخلون الجنة بلا حساب ولا عذاب وهم الذي لا يسترقون ، ولا يكتوون ، ولا يتطيرون ، وعلى ربهم يتوكلون "[1] وعن أبي أمامة -رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ - أن النبي - صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قال:" وعدني ربي أن يدخلَ الجنة من أمتي سبـعين ألفاً لا حساب عليهم ولا عذاب مع كل ألفٍ سبـعون ألفاً وثلاثُ حثياتٍ من حثيات ربي"[2]

(1)- رواه البخاري ومسلم

(2)- رواه أحمد(30/1) والترمذي (2437) وابن ماجه(4286) وصححه الإمام الألباني في "المشكاة" (5556)

فصل: الدور الثلاثة

الله -جَلَّوَعَلَا- جعل الدور ثلاثة:

دار الدنيا: دار عمل ولا حساب.

ودار البرزخ: دار حساب وهي أول منازل الآخرة، وهي إما نعيم وإما جحيم.

ودار الآخــــرة: دار حساب وجزاءٍ على الأعمال، وكل مكلف لا بد من محاسبته إلا أن الله رحم المؤمنين من كل أمة من أمم الأرض، لأنهم آمنوا به وبرسله وكتبه واليوم الآخر والقدر خيره وشره، واجتنبوا كبائر الذنوب فرحمهم وسترهم في الدنيا والآخرة، قال - صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ-: " يدنو أحدكم من ربه حتى يضعَ كنفه عليه، فيقول: عمِلت كذا وكذا؟ فيقول: نعم، ويقول: عَمِلْتَ كذا وكذا، فيقول: نعم، فيُقرره، ثم يقول: إني سترت عليك في الدنيا، فأنا أغفرها لك اليوم "[1] ففي هذا الحديث فوائد:

1_ إثبات صفات الكلام لله -عَزَّوَجَلَّ- ، وأنه بصوت مسموع مفهوم.

2_ أن الله -عَزَّوَجَلَّ- ستير يستر على عبده المؤمن في الدنيا والآخرة.

3_ تقرير الذنوب، حيث إن العبد المؤمن يقر ويعترف بذنوبه وهذا من فضل الله عليه.

4_ غفران الله لذنوب عباده المؤمنين .

❁❁❁❁❁❁

---

(1)- رواه البخاري (6070) ومسلم (2768)

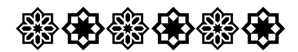
التقويم

س1- ما حكم من أنكر الحساب ؟ وما الفرق بين محاسبة الله للمؤمنين وبين محاسبته للكافرين؟

س2- هل ينجو من الحساب أحد؟

س3- جعل الله الدور ثلاث. اذكرها؟

س4- هل وردت كلمة " إن الله سيسأل عباده مشافهة " عن السلف؟



الدرس الثامن
باب فِي اَلْإِيمَان بالنَّظَر إِلَى اَللَّهِ -عَزَّوَجَلَّ-

قَالَ مُحَمَّدٌ: وَمِنْ قَوْلِ أَهْلِ اَلسُّنَّةِ: إِنَّ اَلْمُؤْمِنِينَ يَرَوْنَ رَبَّهُمْ فِي اَلْآخِرَةِ وَأَنَّهُ يَحْتَجِبُ عَنْ اَلْكُفَّارِ وَالْمُشْرِكِينَ فَلَا يَرَوْنَهُ، وَقَالَ -عَزَّوَجَلَّ- ﴿۞لِّلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ ٱلۡحُسۡنَىٰ وَزِيَادَةٞۖ﴾ [يونس: 26].

وَقَالَ ﴿وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٖ نَّاضِرَةٌ ٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٞ ٢٣﴾ [القيامة].

وَقَالَ ﴿كَلَّآ إِنَّهُمۡ عَن رَّبِّهِمۡ يَوۡمَئِذٖ لَّمَحۡجُوبُونَ ١٥﴾ [المطففين].

فَسُبْحَانَ مَنْ لَا تُدْرِكُهُ اَلْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ اَلْأَبْصَارَ وَهُوَ اَللَّطِيفُ اَلْخَبِيرُ.

وَحَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ عبد الله، عَنْ اِبْنِ وَضَّاحٍ، عَنْ مُوسَى بْنِ مُعَاوِيَةَ، عَنْ وَكِيعِ بْنِ اَلْجَرَّاحِ، عَنْ إِسْمَاعِيلَ بْنِ أَبِي خَالِدٍ، عَنْ قَيْسِ بْنِ أَبِي حَازِمٍ، عَنْ جَرِيرِ بْنِ عَبْد الله الْبَجَلِيِّ قَالَ: كُنَّا عِنْدَ رَسُولِ اَللَّهِ -صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ- لَيْلَةَ اَلْبَدْرِ فَقَالَ:" هَلْ تَرَوْنَ هَذَا اَلْقَمَرَ؟ قُلْنَا: نَعَمْ، قَالَ: هَكَذَا تَرَوْنَ رَبَّكُمْ يَوْمَ اَلْقِيَامَةِ لَا تُضَامُّون فِي رُؤْيَتِهِ" حديث صحيح .

اِبْنُ وَضَّاحٍ قَالَ: وَحَدَّثَنِي إِبْرَاهِيمُ بْنُ نُوحٍ اَلْمَوْصِلِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا يَزِيدُ بْنُ هَارُونَ عَنْ حَمَّادِ بْنِ سَلَمَةَ، عَنْ ثَابِتٍ الْبُنَانِيِّ، عَنْ عبد الرحمن بْنِ أَبِي لَيْلَى، عَنْ صُهَيْبٍ، عَنْ اَلنَّبِيِّ -صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ- قَالَ: "إِذَا دَخَلَ أَهْلُ اَلْجَنَّةِ نُودُوا يَا أَهْلَ اَلْجَنَّةِ إِنَّ لَكُمْ مَوْعِدًا قَالُوا: وَمَا هُوَ؟ أَلَمْ يُبَيِّضْ وُجُوهَنَا وَيُدْخِلْنَا اَلْجَنَّةَ وَيُنْجِنَا مِنْ اَلنَّارِ؟ قَالَ: فَيُكْشَفُ اَلْحِجَابُ فَيَظْهَرُ فَيَنْظُرُونَ إِلَيْهِ، فَوَاَللَّهِ مَا أَعْطَاهُمْ اَللَّهُ شَيْئًا أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنْهُ، ثُمَّ تَلَا هَذِهِ اَلْآيَةَ: ﴿۞لِّلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ ٱلۡحُسۡنَىٰ وَزِيَادَةٞۖ﴾ حديث صحيح .

الشـــرح

أراد المصنف بيان أن نصوص رؤية المؤمنين لربهم واردة في الكتاب والسنة ولا يجحد ذلك وينكره إلا ضال مضل، قال الله -عَزَّوَجَلَّ- : ﴿وُجُوهٌ يَوۡمَئِذٖ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٞ ۝٢٣﴾ [القيامة]. أي: وجوه حسنة ومضيئة أكرمهم الله -عَزَّوَجَلَّ- بالحسن والبهجة والسرور على وجوههم، ومعنى إلى ربها ناظرة: أي إلى الله -عَزَّوَجَلَّ-، تنظر إلى الله حقيقة، لأنه يتجلى سبحانه يوم القيامة لعباده المؤمنين، فيرونه في عرصات القيامة، ويرونه في الجنة، فإذا رأوه صارت رؤية الرب الكريم من أكبر النعيم وأعظمه، والذين يتمتعون به، ينسون المآكل والمشارب والمساكن وكل شيء بالنظر إلى وجه -عَزَّوَجَلَّ-.

فصل: ثبوت الرؤية في الآخرة بالكتال والسنة والإجماع

فرؤية الله في الآخرة ثابتة بالكتاب والسنة وإجماع السلف. وقال: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمۡ عَن رَّبِّهِمۡ يَوۡمَئِذٖ لَّمَحۡجُوبُونَ ۝١٥﴾ [المطففين]. قال العلماء:" فلما حجب الفجار عن رؤيته دل على أن الأبرار يرونه وإلا لم يكن بينهما فرق ".

وقال النبي - صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ-: "'إنكم سترون ربكم كما ترون القمر لا تضامون في رؤيته"[1] متفق عليه. وهذا التشبيه للرؤية بالرؤية لا للمرئي بالمرئي؛ لأن الله ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ﴾ [الشورى: 11].

ولا شبيه له ولا نظير. وقال - صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ- :إِذَا دَخَلَ أَهْلُ اَلْجَنَّةِ نُودُوا يَا أَهْلَ اَلْجَنَّةِ إِنَّ لَكُمْ مَوْعِدًا قَالُوا: وَمَا هُوَ؟ أَلَمْ يُبَيِّضْ وُجُوهَنَا وَيُدْخِلْنَا اَلْجَنَّةَ وَيُنْجِنَا مِنْ اَلنَّارِ؟ قَالَ: فَيُكْشَفُ اَلْحِجَابُ فَيَظْهَرُ فَيَنْظُرُونَ إِلَيْهِ، فَوَاَللَّهِ مَا أَعْطَاهُمْ اَللَّهُ شَيْئًا أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنْهُ، ثُمَّ تَلَا هَذِهِ اَلْآيَةَ﴿۞لِّلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ ٱلۡحُسۡنَىٰ وَزِيَادَةٞۖ﴾"

وقد أجمع السلف على رؤية المؤمنين لله تعالى دون الكفار بدليل آية سورة المطففين.

---

[1]- رواه البخاري (573)، ومسلم (633)

يرون الله تعالى في عرصات القيامة وبعد دخول الجنة كما يشاء الله تعالى، وهي رؤية حقيقية تليق بالله وعظمته وجلاله.

فصل: أقسام الناس في الرؤية

وقد ذكر أهل العلم بالتتبع أن الناس في الرؤية على ثلاثة أقسام :

* القسم الأول: نفوا رؤية المؤمنين عن ربهم –عَزَّوَجَلَّ– في الدنيا والآخرة، وهؤلاء هم أهل الاعتزال والخوارج، ويحتجون بما لا يصلح لهم دليل، يحتجون بقول الله تعالى : ﴿لَّا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ ۖ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾﴾ [الأنعام]

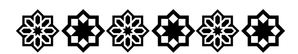
والمعنى كما ذكره ابن عباس وغيره ﴿لَّا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾ أي: لا تحيط بالله تبارك وتعالى؛ لأن الله لا يحيط به شيءٌ من مخلوقاته بل هو المحيط بجميع مخلوقاته، فنفي الإحاطة لا يلزم منه نفي الرؤية بل رؤية المؤمنين لربهم ثابتة بنصوص الكتاب والسنة وإجماع السلف، فبطل احتجاج المعتزلة والخوارج بهذه الآية.

* القسم الثاني: أثبتوا الرؤية في الدنيا والآخرة لبعض الناس، وهم غلاة التصوف من عبدة القبور والأضرحة، ممن يدّعون أنهم على الحقيقة وبقية الناس على الشريعة! وكأنهم يستهينون بشريعة النبي – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ –، ويحتقرون أهلها لا سيما أهل الحديث منهم، وهؤلاء ضُلال لا خير فيهم.

* القسم الثالث: وسط وهم الذين يثبتون رؤية المؤمنين لربهم في الجنة وينفون الرؤية في الدنيا، ففي الدينا لا يراه أحد من خلقه والأدلة على ذلك كثيرة،فلما قال موسى – عَلَيْهِ السَّلَامُ – : ﴿قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ ۚ قَالَ لَن تَرَانِي﴾ [الأعراف: 143].

أي: في الدنيا، فالآية صريحة بأنه لا يراه أحد في الدنيا لضعف البشر ةضعف قواهم، إذ إن الله لما تجلى للجبل جعله دكاً، فما مقدار بدن الإنسان الضعيف؟ فلا يستطيع أن يثبت لرؤية ربه، أما في الجنة فإن الله –عَزَّوَجَلَّ– يعطي المؤنين من الكمال والقوة ما

يتمكنون به ويقدرون على رؤية الرحمن تبارك وتعالى ويتنعمون بها حل جلاله ولما سئل النبي - صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: هل رأيت ربك؟ قال: " نُورٌ أنّى أَرَاهُ "[1] أي: كيف أراه.



التقويم

س1: اذكر الأدلة من الكتاب والسنة على إثبات الرؤية لله -عَزَّوَجَلَّ- في الآخرة؟

س2: ما معنى قول الله تعالى :﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ ؟

س3: انقسم الناس في الرؤية ثلاثة أقسام اذكرهم ؟



[1]- رواه مسلم (178)

الدرس التاسع
باب فِي اَلْإِيمَان بِاللَّوْح وَالْقَلَمِ

قَالَ مُحَمَّدٌ: وَمِنْ قَوْلِ أَهْلِ اَلسُّنَّةِ أَنَّ اَللَّوْحَ اَلْمَحْفُوظَ وَالْقَلَمَ حَقٌّ يُؤْمِنُونَ بِهِمَا، وَقَالَ عَزَّ مِنْ قَائِلٍ: ﴿بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ۝٢١ فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ ۝٢٢﴾ [البروج]، وَقَالَ: ﴿وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ ۝٣٩﴾[الرعد]. وَقَالَ: ﴿وَعِندَنَا كِتَٰبٌ حَفِيظٌۢ ۝٤﴾[ق].

وَحَدَّثَنِي إِسْحَاقُ عَنْ أَسْلَمَ عَنْ يُونُسَ عَنْ اِبْنِ وَهْبٍ قَالَ: حَدَّثَنِي مُعَاوِيَةُ بْنُ صَالِحٍ عَنْ أَيُّوبَ بْنِ أَبِي زِيَادٍ قَالَ: حَدَّثَنِي عُبَادَةُ بْنُ اَلْوَلِيدِ بْنِ عُبَادَةَ بْنِ اَلصَّامِتِ قَالَ: وحدَثَنِي أَبِي قَالَ: دَخَلْتُ عَلَى عُبَادَةَ فَقَالَ: يَا بُنَيَّ إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اَللَّهِ يَقُولُ: إِنَّ أَوَّلَ شَيْءٍ خَلَقَهُ اَللَّهُ اَلْقَلَمَ ثُمَّ قَالَ: اُكْتُبْ فَجَرَى فِي تِلْكَ اَلسَّاعَةِ بِمَا هُوَ كَائِنٌ إِلَى يَوْمِ اَلْقِيَامَةِ..." وَذَكَرَ اَلْحَدِيثَ. الحديث صحيح

الشـــرح

قال الإمام ابنُ أبي زمنين: باب في الإيمان باللوح والقلم، واللوح والقلم ذكرهما الله في كتابه الكريم، أما اللوح فالمراد به اللوح المحفوظ، وهو الذي كتب فيه كل شيء، كما ثبت في الحديث: " أن الله –عَزَّوَجَلَّ– خلق القلم ثم قال له : اكتب، فجرى في تلك الساعة بما هو كائن إلى يوم القيامة" فيسمى اللوح المحفوظ الذي كتبت فيه المقادير، ويسمى الكتاب الحفيظ؛ لأنه حفظ فيه كل شيء، ويسمى الإمام، كما قال تعالى : ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ فِيٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ ۝١٢﴾ [يس].

أي اللوح المحفوظ.

والقلم هو الذي أمره الله أن يكتب جميع الكائنات في عالم السموات وعالم الأرض من ذوات وأعمال ومخلوقات على اختلاف أصناف العوالم، عالم الملائكة وعالم الجن وعالم الإنس وعالم الشياطين وعالم الطير وعالم الوحش إلى غير ذلك من العوالم التي لا يحصيها إلا خالقها، كل ذلك قد كتب كما كتبت السعادة لأهلها والشقاوة لأهلها ، وأهل الجنة وأهل النار كل ذلك جرى به القلم بأمر الله -عَزَّوَجَلَّ-.

مسألة: هل العرش خلقه الله قبل القلم؟

وفي قول المصنف: " إن أول شيء خلقه القلم" الخلاف بين العلماء هل العرش قبل القلم أو القلم أول المخلوقات؟

والراجح أن أول المخلوقات العرش الذي خلقه الله على الماء واستوى عليه استواء يليق بعظمته وجلاله ثم بعد ذلك خلق القلم؛ قال شيخ الإسلام ابن تيمية : " وقد ثبت في صحيح البخاري وغيره عن عمران بن حصين -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- عن النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أنه قال: "كان الله ولم يكن شيء قبله وكان عرشه على الماء وكتب في الذكر كل شيء وخلق السماوات والأرض" وفي رواية: "ثم خلق السموات والأرض" والآثار متواترة عن الصحابة والتابعين بما يوافق القرآن والسنة .

وقد تكلم علماء المسلمين من الصحابة والتابعين ومن بعدهم في أول هذه المخلوقات على قولين حكاهما الحافظ أبو العلاء الهمداني وغيره أحدهما: أنه هو العرش والثاني: أنه هو القلم.ورجحوا القول الأول لما دل عليه الكتاب والسنة أن الله تعالى لما قدر مقادير الخلائق بالقلم الذي أمره أن يكتب في اللوح كان عرشه على الماء فكان العرش مخلوقا قبل القلم"[1]

وهذا دليل على كمال إحاطة الله تبارك وتعالى بمخلوقاته وحكمته وعدله وفضله ورحمته وإحسانه، وهو بكل شيء عليم وبما تعلمون خبير وعزيز حكيم يضع الأشياء في مواضعها.

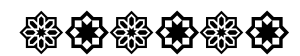
---

[1]- " منهاج السنة" (361/1)

التقويم

س1: ما معنى الإيمان باللوح والقلم؟

س2: أيهما أسبق في الخلق القلم أم العرش؟



الدرس العاشر
باب فِي اَلْإِيمَان بِأَنَّ اَلْجَنَّة وَالنَّار قَدْ خُلِقَتَا

قَالَ مُحَمَّدٌ: وَمِنْ قَوْلِ أَهْلِ اَلسُّنَّةِ أَنَّ اَلْجَنَّةَ وَالنَّارَ قَدْ خُلِقَتَا، وَقَالَ -عَزَّوَجَلَّ-: ﴿وَقُلْنَا يَـٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ﴾ [البقرة:35].

وَقَالَ ﴿قِيلَ ٱدْخُلِ ٱلْجَنَّةَ﴾ [يس: 26].

وَقَالَ: ﴿ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا﴾ [غافر: 46].

وَحَدَّثَنِي سَعِيدُ بْنُ فَحْلُون عَنْ اَلْعَلَاءِ، عَنْ اِبْنِ بُكَيْرٍ، عَنْ مَالِكٍ، عَنْ نَافِعٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ أَنَّ رَسُولَ اَللَّهِ -صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ: إِنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا مَاتَ عُرِضَ عَلَيْهِ مَقْعَدُهُ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ، إِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ اَلْجَنَّةِ، فَمِنْ أَهْلِ اَلْجَنَّةِ، وَإِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ اَلنَّارِ، فَمِنْ أَهْلِ اَلنَّارِ، فَيُقَالُ لَهُ: هَذَا مَقْعَدُكَ حَتَّى يَبْعَثَكَ اَللَّهُ عَلَيْهِ يَوْمَ اَلْقِيَامَةِ"حديث صحيح

مَالِكٌ عَنْ اِبْنِ شِهَابٍ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ اَلْأَنْصَارِيِّ أَنَّهُ أَخْبَرَهُ أَنَّ أَبَاهُ كَعْبَ بْنَ مَالِكٍ كَانَ يُحَدِّثُ أَنَّ رَسُولَ اَللَّهِ -صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ:" إِنَّمَا نَسَمَةُ اَلْمُؤْمِنِ طَيْرٌ يُعَلَّقُ فِي شَجَرِ اَلْجَنَّةِ حَتَّى يُرْجِعَهُ اَللَّهُ إِلَى جَسَدِهِ يَوْمَ يَبْعَثُهُ"حديث صحيح

مَالِكٌ عَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ عَنْ عَطَاءِ بْنِ يَسَارٍ عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبَّاسٍ أَنَّهُ قَالَ: خَسَفَتْ اَلشَّمْسُ فَصَلَّى رَسُولُ اَللَّهِ -صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَالنَّاسُ مَعَهُ ثُمَّ ذَكَرَ اَلْحَدِيثَ. وَفِيهِ قَالُوا يَا رَسُولَ اَللَّهِ رَأَيْنَاكَ تَنَاوَلْتَ شَيْئًا فِي مَقَامِكَ هَذَا ثُمَّ تَكَعْكَعْتَ. فَقَالَ: رَأَيْتُ اَلْجَنَّةَ فَتَنَاوَلْتُ مِنْهَا عُنْقُودًا، وَلَوْ أَخَذْتُهُ لَأَكَلْتُمْ مِنْهُ مَا بَقِيَتْ اَلدُّنْيَا، وَرَأَيْتُ اَلنَّارَ فَلَمْ أَرَ كَالْيَوْمِ مَنْظَرًا قَطُّ، وَرَأَيْتُ أَكْثَرَ أَهْلِهَا اَلنِّسَاءَ"حديث صحيح

الشـــرح

هذا الباب باب في الإيمان بأن الجنة والنار قد خُلقتا، أي: بابٌ في وجوب الإيمان بأن الجنة والنار قد خلقهما الله تبارك وتعالى فهما مخلوقتان موجودتان، وهذا اعتقاد أهل السنة والجماعة أن الجنَّة والنَّار مخلوقتان موجودتان الآن، أعدَّ الله الجنَّةَ لأوليائه، وأعدَّ النَّارَ لأعدائه، فمن الآيات التي فيها إعداد الجنَّة لأوليائه قوله تعالى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلۡأَوَّلُونَ مِنَ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحۡسَٰنٖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُ وَأَعَدَّ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي تَحۡتَهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ١٠٠﴾ [التوبة].

وقولـه: ﴿۞وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ١٣٣﴾ [آل عمـران]. وقولـه: ﴿سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا كَعَرۡضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ أُعِدَّتۡ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ﴾ [الحديد: 21].

ومـن الآيـات التـي فيهـا إعـداد النـار لأعدائـه قولـه تعـالى: ﴿وَيُعَذِّبَ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱلۡمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلۡمُشۡرِكِينَ وَٱلۡمُشۡرِكَٰتِ ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوۡءِۚ عَلَيۡهِمۡ دَآئِرَةُ ٱلسَّوۡءِۖ وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ وَلَعَنَهُمۡ وَأَعَدَّ لَهُمۡ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرٗا ٦﴾ [الفـتح] ، وقولـه: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِيٓ أُعِدَّتۡ لِلۡكَٰفِرِينَ ١٣١﴾ [آل عمـران].وقولـه: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِي وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُۖ أُعِدَّتۡ لِلۡكَٰفِرِينَ ٢٤﴾ [البقرة24].

ويدلُّ من السُّنَّة لكون الجنَّة والنَّار موجودتَين الآن حديث ابن عباس – رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا– في صلاة الكسوف، وفيه: "قالوا: يا رسول الله! رأيناك تناولتَ شيئاً في مقامك، ثم رأيناك كَعْكَعْتَ، قال – صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: إنِّي رأيتُ الجنَّة، فتناولتُ عنقوداً، ولو أصبته لأكلتُم منه ما بقيت الدنيا، وأُريتُ النار، فلَم أرَ منظَراً كاليوم قطُّ أفظع، ورأيتُ أكثرَ أهلها النساء. . . "[1] الحديث.

---

[1]- رواه البخاري (1052)،ومسلم (907).

فصل: عقيدة الجهمية والمعتزلة في خلق الجنة والنار

وأمَّا ما جاء عن بعض المبتدعة كالجهمية والمعتزلة من أنَّهما لا تُخلقان إلاَّ يوم القيامة؛ لأنَّ خلقَهما قبل ذلك عبثٌ، حيث إنَّهما تبقيان مدَّة طويلة دون أن ينتفع بالجنَّة أحدٌ ودون أن يتضرَّر بالنَّار أحد، فذلك قولٌ باطل، ويدلُّ لبطلانه وجوه:

الأول: ما جاء في الآيات والأحاديث الدَّالة على خَلْقِهما ووجودِهما قبل يوم القيامة، ومن ذلك ما تقدَّم قريباً.

الثاني: أنَّ وجودَ الجنَّة فيه ترغيبٌ بها وتشويقٌ إليها، ووجودَ النار فيه تحذيرٌ منها وتخويف.

الثالث: أنَّه قد جاء في نصوص الكتاب والسُّنَّة ما يدلُّ على حصول الانتفاع بنعيم الجنَّة قبل يوم القيامة، وما يدلُّ على التضرُّر بعذاب النار قبل يوم القيامة، قال الله -عَزَّوَجَلَّ- في آل فرعون: ﴿ٱلنَّارُ يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا غُدُوّٗا وَعَشِيّٗاۚ وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدۡخِلُوٓاْ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ أَشَدَّ ٱلۡعَذَابِ ٤٦﴾ [غافر]،. فالآيةُ تدلُّ على أنَّهم يُعذَّبون في النار وهم في قبورهم، وإذا حصل البعث انتقلوا إلى عذاب أشدَّ.

وأمَّا الجنَّة: فقد جاء في الحديث "أنَّ أرواح الشهداء في أجواف طير خُضر، لها قناديل معلَّقة بالعرش، تسرحُ من الجنَّة حيث شاءت، ثم تأوي إلى تلك القناديل"[1]

وروى الإمام أحمد عن الإمام الشافعي، عن الإمام مالك، عن ابن شهاب، عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك، عن أبيه، عن النَّبيِّ -صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ- قال: "إنَّما نسَمة المؤمن طائرٌ يعلقُ في شجر الجنَّة حتى يُرجع الله تبارك وتعالى إلى جسده يوم يبعثُه"[2]، وهو

[1]- رواه مسلم (1887) عن عبدالله بن مسعود -رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ- .

[2]- "المسند" (15778)

حديث صحيح، في إسناده ثلاثة من الأئمة الأربعة أصحاب المذاهب المشهورة لأهل السنَّة.

وفي حديث البراء بن عازب -رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ- الطويل في موعظته -صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ- عند القبر الذي يُلحَد، قال في المؤمن: "فأَفرِشوه من الجنَّة، وأَلبِسوه من الجنَّة، وافتحوا له باباً إلى الجنَّة، قال: فيأتيه من رَوْحها وطيبها، ويُفسَح له في قبره مدَّ بصره"، وقال في الكافر: "فأفرِشوا له من النَّار، وافتحوا له باباً إلى النَّار، فيأتيه من حرِّها وسَمومِها، ويضيق عليه قبرُه حتى تختلف أضلاعُه"[1]

والأحاديث في عذاب القبر والاستعاذة بالله منه كثيرة، وهذه الأدلَّة تدلُّ على أنَّ المؤمنين يُنعَّمون في قبورهم، والكافرين يُعذَّبون فيها، والنَّعيمُ والعذابُ يكون للأرواح والأجساد.

فصل: الجنة والنار باقيتان لا تفنيان ولا تبيدان

ومن اعتقاد أهل السنة والجماعة أن الجنَّة والنَّار باقيتان لا تفنيان ولا تبيدان، وأهل الجنَّة منعَّمون فيها إلى غير نهاية، والكفَّار مُعذَّبون في النار إلى غير نهاية، ومن الآيات التي جاءت في بقاء الجنَّة وخلودِ أهلها فيها قول الله -عَزَّوَجَلَّ-: ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنۡهَا مِن ثَمَرَةٖ رِّزۡقٗا قَالُواْ هَٰذَا ٱلَّذِي رُزِقۡنَا مِن قَبۡلُۖ وَأُتُواْ بِهِۦ مُتَشَٰبِهٗاۖ وَلَهُمۡ فِيهَآ أَزۡوَٰجٞ مُّطَهَّرَةٞۖ وَهُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ٢٥﴾ [البقرة].

وقوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتۡ لَهُمۡ جَنَّٰتُ ٱلۡفِرۡدَوۡسِ نُزُلًا ١٠٧ خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يَبۡغُونَ عَنۡهَا حِوَلٗا ١٠٨﴾ [الكهف]، وقوله: ﴿إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٖ وَعُيُونٍ ٤٥ ٱدۡخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ءَامِنِينَ ٤٦ وَنَزَعۡنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنۡ غِلٍّ إِخۡوَٰنًا عَلَىٰ سُرُرٖ مُّتَقَٰبِلِينَ ٤٧ لَا يَمَسُّهُمۡ فِيهَا نَصَبٞ وَمَا هُم مِّنۡهَا بِمُخۡرَجِينَ ٤٨﴾ [الحجر].

---

[1]- رواه أحمد في مسنده (18534) وهوحديث حسن.

وقولـــه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمْ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ ۝٧ جَزَآؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًاۖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُۥ ۝٨﴾ [البينة].

ومن الآيات التي جاءت في بقاء النار وخلود الكفار فيها قول الله -عَزَّوَجَلَّ-: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ۝٣٩﴾ [البقرة].،وقولـــه: ﴿وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ ۝١٦٧﴾ [البقرة]، وقوله: ﴿يُرِيدُونَ أَن يَخْرُجُواْ مِنَ ٱلنَّارِ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنْهَاۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ۝٣٧﴾[المائدة] ، وقولـه: ﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ ۝٤٨﴾ [المدثر]، وقولـه: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُواْ وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَاۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ ۝٣٦﴾ [فاطر].

وقولـــه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَظَلَمُواْ لَمْ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا ۝١٦٨ إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًاۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ۝١٦٩﴾ [النساء].، وقولـه: ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۝٢٣﴾ [الجن]،وقولـه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَعَنَ ٱلْكَٰفِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا ۝٦٤ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًاۖ لَّا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ۝٦٥﴾ [الأحزاب].

وقولـــه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمْ شَرُّ ٱلْبَرِيَّةِ ۝٦﴾ [البينة].

مسألة: ما المراد بالجنة التي أهبط منها آدم إلى الأرض؟

قوله: "وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة "، وقد اختلف العلماء على أقوال ثلاثة في المراد بالجنَّة التي أُهبط منها آدم إلى الأرض:

الأول: أنها الَّتِي أَهْبَطَ الله منها آدَمَ وهو أظهرُها.

الثاني: أنّها جنَّة في مكان عالٍ من الأرض.

الثالث: التوقُّف.

وقد ذكر ابن القيم الخلافَ وأدلَّةَ أصحاب القول الأول والثاني، وإجابةَ كلٍّ منهما عمَّا استدلّ به الآخر، ولَم يُرجِّح شيئاً، وذلك في كتابه "حادي الأرواح"[1] وفي قصيدته الميمية ما يدلُّ على ترجيحه القولَ الأول، حيث قال:

فحيَّ على جنَّات عدن فإنَّها ... منازلك الأولَى وفيها المخيَّم

ولكنَّنا سَبي العدو فهل ترى ... نعود إلى أوطاننا ونسلَّم

❁❁❁❁❁❁

التقويم

س1-ما الدليل على أن الجنة والنار مخلوقتان موجدتان؟

س2-كيف ترد على المعتزلة في قولهم أن الجنة والنار لا تخلقان إلا يوم القيامة؟

س3- ما الدليل على أن الجنة والنار باقيتان لا تفنيان ولا تبيدان؟

س4-قال الله تعالى : ﴿وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ﴾ .

ما المراد من الجنة التي في الآية الكريمة؟

❁❁❁❁❁❁

[1]- (ص: 16 32)

الدرس الحادي عشر
باب فِي اَلْإِيمَان بعَذاب اَلْقَبْر

قَالَ مُحَمَّدٌ: وَأَهْلُ اَلسُّنَّةِ يُؤْمِنُونَ بِعَذَابِ اَلْقَبْرِ أَعَاذنَا اَللهُ وَإِيَّاكَ مِنْ ذَلِكَ قَالَ -عَزَّوَجَلَّ-: ﴿ فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا﴾ [طه: 124].

وَقَالَ ﴿سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ ١٠١﴾[التوبة].

وَحَدَّثَنِي أَحْمَدُ بْنُ مُطَرِّفٍ عَنْ عُبَيْدِ الله بْنِ يَحْيَى، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ مَالِكٍ، عَنْ يَحْيَى بْنِ سَعِيدٍ، عَنْ عَمْرَة بِنْتِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، عَنْ عَائِشَةَ زَوْجِ اَلنَّبِيِّ - صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ- أَنَّ يَهُودِيَّةً جَاءَتْهَا تَسْأَلْ فَقَالَتْ لَهَا: أَعَاذَكِ اَللهُ مِنْ عَذابِ اَلْقَبْرِ وَذكَرَ اَلْحَدِيث. وَفِي آخِرِهِ: أَنَّ رَسُولَ اَللهِ - صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ- أَمَرَ اَلنَّاسَ أَنْ يَتَعَوَّذُوا بِاَللهِ مِنْ عَذَابِ اَلْقَبْرِ حديث صحيح

مَالِكٌ عَنْ يَحْيَى بْنِ سَعِيدٍ أَنَّهُ قَالَ: سَمِعْتُ سَعِيدَ بْنَ اَلْمُسَيَّبِ يَقُولُ: صَلَّيْتُ وَرَاءَ أَبِي هُرَيْرَةَ عَلَى صَبِيٍّ لَمْ يَعْمَلْ خَطِيئَةً قَطُّ، سَمِعْتُهُ يَقُولُ: "اَللَّهُمَّ أَعِذْهُ مِنْ عَذَابِ اَلْقَبْرِ".

موقوف صحيح

الشـــــرح

وهذه الحياةُ حياةٌ برزخيَّة حقيقيَّةٌ، لا يَعلم كيفيتَها إلاَّ الله -عَزَّوَجَلَّ-، وجاءت السُّنَّةُ مبيِّنة أنَّ أرواحَ الشهداء في أجواف طير خُضر، وأنَّ أرواح المؤمنين على صورة طير، وأنَّ المؤمنَ يُفرَش له من الجنَّة، ويُفتَحُ له باب إلى الجنَّة، ويأتيه من رَوْحها وطيبِها، ويُفسَحُ له في قبره مدَّ بصره، وأنَّ الكافرَ يُفرَشُ له من النار، ويُفتَحُ له بابٌ إلى النار، ويأتيه من حرِّها وسَمومها، ويضيقُ عليه قبْرُه حتى تختلفَ فيه أضلاعُه، وقد تقدَّم إيرادُ هذه

الأحاديث وتخريجُها عند قول ابن أبي زيد: "وأنَّ الله سبحانه قد خلق الجنَّة فأعدَّها دارَ خلود لأوليائه، وأكرمَهم فيها بالنَّظر إلى وجهه الكريم".

الناسُ يُفتَنون في قبورهم ويُمتَحنون، فيُثبِّتُ الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة، كما قال تعالى: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلۡقَوۡلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۖ وَيُضِلُّ﴾[إبراهيم: 27].

فصل: الأحاديث الواردة في فتنة القبر

قد وردت الأحاديثُ الكثيرة في فتنة القبر والسؤال فيه، ومنها ما جاء عن فاطمة بنت المنذر، عن أسماء، عن عائشة في قصة صلاة الكسوف، وفيه أنَّ النَّبِيَّ –صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ– قال: "ما من شيء لم أكن أُريتُه إلاَّ رأيتُه في مقامي، حتى الجنَّة والنار، فأُوحي إليَّ أنَّكم تُفتنون في قبوركم مثلَ أو قريباً لا أدري أيَّ ذلك قالت أسماء من فتنة المسيح الدجال، يُقال: ما عِلمُك بهذا الرَّجل؟ فأمَّا المؤمن أو المُوقن لا أدري بأيِّهما قالت أسماء فيقول: هو محمدٌ هو رسول الله، جاءنا بالبيِّنات والهُدى، فأجبنا واتَّبعنا، هو محمد ثلاثاً، فيُقال: نَمْ صالحِاً، قد علمنا إن كنتَ لمُوقناً به، وأمَّا المنافق أو المرتاب لا أدري أيَّ ذلك قالت أسماء فيقول: لا أدري، سمعتُ الناسَ يقولون شيئاً فقُلتُه"[1].

وعن البراء بن عازب –رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ– : أنَّ رسول الله –صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ– قال: "المسلمُ إذا سُئل في القبر يشهد أن لا إله إلاَّ الله وأنَّ محمداً رسول الله، فذلك قوله: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلۡقَوۡلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۖ﴾

وعن البراء بن عازب أيضاً في الحديث الطويل ، وفيه: "فيأتيه أي المؤمن مَلَكان فيُجلسانه، فيقولان له: مَن ربُّك؟ فيقول: ربِّي الله، فيقولان له: ما دينُك؟ فيقول: دينِي الإسلام، فيقولان له: ما هذا الرَّجل الذي بُعث فيكم؟ فيقول: هو رسول الله –

---

[1]- رواه البخاري (86)

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-". وفيه: "ويأتيه أي الكافر مَلَكان فيُجلسانه، فيقولان له: مَن ربُّك؟ فيقول: هاه هاه لا أدري! فيقولان له: ما دينُك؟ فيقول: هاهاه لا أدري! فيقولان له: ما هذا الرَّجل الذي بُعث فيكم؟ فيقول: هاهاه لا أدري!"[1].

وعن أبي هريرة -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- قال: قال رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: "إذا تشهَّد أحدُكم فليستعذ بالله من أربع، يقول: اللَّهمَّ إنِّي أعوذ بك من عذاب جهنَّم، ومن عذاب القبر، ومن فتنة المحيا والممات، ومن شرِّ فتنة المسيح الدجال"[2]. وعن أبي هريرة قال: "كان رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يدعو: اللَّهمَّ إنِّي أعوذ بك من عذاب القبر، ومن عذاب النار، ومن فتنة المحيا والممات، ومن فتنة المسيح الدجال"[3].

وهذه الأمور الثلاثة التي يُسأل عنها في القبر ورد ذكرُها مجتمعة في حديث العباس بن عبد المطلب أنَّه سمع رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يقول: "ذاق طعمَ الإيمان مَن رضي بالله ربًّا وبالإسلام ديناً وبمحمد رسولاً"[4]، وجاء ذكرُها أيضاً في أدعية الصباح والمساء، والدعاء عند الأذان.



(1)- رواه الإمام أحمد في "المسند"بإسناد حسن(18534)

(2)- رواه مسلم (588)

(3)- رواه البخاري (1377)

(4)- رواه مسلم (56)

الأسئلة

س1- ما الدليل على أن العباد يفتنون في قبورهم؟

س2- ما الأمور الثلاثة التي يسأل عنها العبد في قبره؟

س3- هل الحياة البرزخية تدرك العقول؟ وضح ذلك بشيء من التفصيل؟



الدرس الثاني عشر
باب فِي اَلْإِيمَان بالْحَوْض

قَالَ مُحَمَّدٌ: وَأَهْلُ اَلسُّنَّةِ يُؤْمِنُونَ بِأَنَّ لِلنَّبِيِّ مُحَمَّدٍ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- حَوْضًا أَعْطَاهُ اَللهُ إِيَّاهُ، مَنْ شَرِبَ مِنْهُ شَرْبَةً لَمْ يَظْمَأْ بَعْدَهَا أَبَدًا.

الشرح

من أصول أهل السنة والجماعة الإيمان بأن رسول الله له حوض عظيم ترد عليه أمته يوم القيامة.

فصل: الحوض، معناه لغة وشرعاً والفرق التي أنكرته

والحوض في اللغة: مجمع الماء يقال حاض الماء يحوضه إذا جمعه ومنه حوض النيل وحوض دجلة والفرات[1].وفي الشرع: هو حوض ترده أمة محمد - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يصب فيه ميزابان من الجنة.

ولتعلم – أيها الطالب الموفق – أن المصنف ذكر هذا الأصل من أصول أهل السنة والجماعة؛ لأن هناك من أنكره من أهل البدع وهم المعتزلة والخوارج مع أن الأحاديث تواترت فيه وبلغ عدد رواتها حوالي ثمانين صحابياً، قال ابن حجر: (قال القرطبي في المفهم، تبعاً للقاضي عياض: مما يجب على كل مكلف أن يعلمه ويصدق به أن الله – سبحانه وتعالى – قد خص نبيه محمداً - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بالحوض المصرح باسمه وصفته، وشرابه في الأحاديث الصحيحة الشهيرة، التي يحصل بمجموعها العلم القطعي

---

[1]- فتح الباري (466/11)

)[1]، وكذلك جاء عن أنس -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- أنه سمع قومًا يتذاكرون الحوض، فقال: ما كنت أرى أن أعيش حتى أرى أمثالكم يَتَمارون في الحوض، لقد تركت عجائز خلفي، ما تصلي امرأة منهن إلا سألت الله أن يسقيها من حوض النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- [2].

وقد ذكر المصنف في هذا الباب حديثاً وتضمن عدة مسائل سيأتي بيانها في مواضعها.

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: بَيْنَا رَسُولُ اللهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ذَاتَ يَوْمٍ بَيْنَ ظُهُورِنَا حَتَّى إِذَا غَفَا إِغْفَاءَةً ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ مُبْتَسِمًا، فَقُلْنَا مَا أَضْحَكَكَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ فَقَالَ: نَزَلَتْ عَلَيَّ آنِفًا سُورَةٌ فَقَرَأَ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ۝ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ ۝ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ ۝﴾ [الكوثر].

ثُمَّ قَالَ: هَلْ تَدْرُونَ مَا الْكَوْثَرُ؟ فَقُلْنَا اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: فَإِنَّهُ نَهْرٌ وَعَدَنِيهِ رَبِّي عَلَيْهِ خَيْرٌ كَثِيرٌ، هُوَ حَوْضٌ يَرِدُ عَلَيْهِ أُمَّتِي، آنِيَتُهُ عَدَدُ النُّجُومِ فَيُخْتَلَجُ الْعَبْدُ مِنْهُمْ، فَأَقُولُ: رَبِّ إِنَّهُ مِنْ أُمَّتِي، فَيَقُولُ: إِنَّكَ لَا تَدْرِي مَا أَحْدَثُوا بَعْدَكَ. هذا حديث صحيح أخرجه مسلم في صحيحه[3].

قال النووي : وَفِيهِ إِثْبَاتُ الْحَوْضِ وَالْإِيمَانُ بِهِ وَاجِبٌ[4].

---

[1]- فتح الباري (467/11)

[2]- مسند أبي يعلى(96/6)

[3]- صحيح مسلم برقم (400)

[4]- شرح مسلم للنووي (4 / 113).

فصل: الكوثر، معناه وعلاقته بالحوض

وَالْكَوْثَرُ فَوْعَلٌ مِنَ الْكَثْرَةِ سُمِّيَ بِهَا النَّهَرُ لِكَثْرَةِ مَائِهِ وَآنِيَتِهِ وَعِظَمِ قدره وخيره[1].وقد اختلف العلماء في تفسير الكوثر على ستة عشر قولاً أصحها أنه نهر في الجنة وأنه حوض النبي – صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ –؛كما قال القرطبي.

وتفسير النبي – صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – للكوثر في هذا الحديث بأنه نهر في الجنة لا ينافي تفسيره بالحوض؛ لأن الكوثر في الجنة ويصب في الحوض الذي يكون في عرصات القيامة ودليله ما جاء عن أبي ذر –رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ – أن النبي – صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – قال عن الحوض : (يَشْخَبُ فِيهِ مِيزَابَانِ مِنَ الْجَنَّةِ)[2].

قال القرطبي: ((والصحيح أن للنبي حوضين: أحدهما: في الموقف قبل الصراط، والثاني: في الجنة ...))[3].

واعلم – أيها الطالب الموفق – أن لكل نبي حوضاً[4] ويدل على ذلك ما ثبت عن سمرة بن جندب –رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ – قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ – صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ –: (إِنَّ لِكُلِّ نَبِيٍّ حَوْضًا وَإِنَّهُمْ يَتبَاهَوْنَ أَيُّهُمْ أَكْثَرُ وَارِدَةً، وَإِنِّي أَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَكْثَرَهُمْ وَارِدَةً)، ولكن اعلم أن حوض النبي – صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – أكملها وأتمها؛ لأنه يمد من الكوثر.

مسألة: ما صفة الحوض؟

وقد ذكر عليه الصلاة والسلام بعض صفاته في هذا الحديث حيث قال: (آنِيَتُهُ عَدَدُ النُّجُومِ) يعني: كنجوم السماء في كثرتها وإضاءتها.

---

[1]- فتح الباري (8 / 731)

[2]- رواه مسلم برقم (2300)

[3]- التذكرة (ص 702)

[4]- وما جاء من الأحاديث أن نبي الله صالحاً ليس له حوض وأن حوضه ضرع ناقته فإنه لا يثبت، بل هو موضوع ذكره العقيلي في الضعفاء وابن الجوزي في الموضوعات.

وقد بينت الأحاديث الصحيحة أوصافاً أخرى للحوض ومن ذلك :

أ – مساحته :حيث أن طوله شهر وعرضه شهر، وهذه المسافة باعتبار ما هو معلوم في عهد النبي – صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ– من سير الإبل المعتاد، وقد قرب عليه الصلاة والسلام إلى أذهان أمته بتمثيلها بالمسافة بين المدن، ومن ذلك أنه مثلها بالمسافة من المدينة إلى صنعاء وكالمسافة بين الكعبة وبيت المقدس وغير ذلك، وذكره لهذه المسافات ليس معناه تحديد المسافة وإنما للإعلام بعظمها وسعة الحوض[1]، قال السيوطي : وَهَذِه الاختلافات تشعر بَأن ذكرهَا جرى على التَّقْرِيب دون التَّحْدِيد وَبِأَن الْمَقْصُود بعد مَا بَين حافتيه وسيعة لَا التَّقْدِير بِمِقْدَار معِين[2].

ب – لونه وطعمه ورائحته: فقد ثبت أن ماء الحوض أبيض من اللبن وطعمه أحلى من العسل ورائحته أطيب من ريح المسك.

ج – آثاره :أن من شرب منه شربة لم يظمأ بعدها أبداً حتى يدخل الجنة.

ومن الأحاديث التي جاء فيها ذكر هذه الأوصاف:

1– عن عَبْدُ اللهَّ بْنُ عَمْرٍو– رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا– قال: قَالَ النَّبِيُّ – صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ–: (حَوْضِي مَسِيرَةُ شَهْرٍ، مَاؤُهُ أَبْيَضُ مِنَ اللَّبَنِ، وَرِيحُهُ أَطْيَبُ مِنَ المِسْكِ، وَكِيزَانُهُ كَنُجُومِ السَّمَاءِ، مَنْ شَرِبَ مِنْهَا فَلاَ يَظْمَأُ أَبَدًا)[3]، والكيزان: جمع كوز وهو الكوب[4].

---

[1]- شرح مسلم (58/15)

[2]- الديباج (5 / 315)

[3]- رواه البخاري برقم (6579)

[4]- لسان العرب (5 / 403) دار صادر بيروت الطبعة الثالثة

2- عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، أَنَّ النَّبِيَّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ: (إِنَّ لِي حَوْضًا مَا بَيْنَ الْكَعْبَةِ وَبَيْتِ الْمَقْدِسِ، أَبْيَضَ مِثْلَ اللَّبَنِ، آنِيَتُهُ عَدَدُ النُّجُومِ، وَإِنِّي لَأَكْثَرُ الْأَنْبِيَاءِ تَبَعًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ)[1].

3-عَنْ حَارِثَةَ بن وهب أنه سَمِعَ النَّبِيَّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يقول عن حوضه: (كما بَيْنَ صَنْعَاءَ وَالمَدِينَةِ)[2].

مسألة: هل هناك من يطرد من حوضه عليه الصلاة والسلام؟

ومن فوائد الحديث: أن أمة محمد -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ترد على حوضه وتشرب منه، وقد جاء في الأحاديث أنه عليه الصلاة والسلام يعرف أمته وأن أقواماً يطردون ويمنعون من الحوض، فعَنْ حُذَيْفَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: (إِنَّ حَوْضِي لَأَبْعَدُ مِنْ أَيْلَةَ مِنْ عَدَنٍ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، إِنِّي لَأَذُودُ عَنْهُ الرِّجَالَ كَمَا يَذُودُ الرَّجُلُ الْإِبِلَ الْغَرِيبَةَ عَنْ حَوْضِهِ» قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ وَتَعْرِفُنَا؟ قَالَ: «نَعَمْ تَرِدُونَ عَلَيَّ غُرًّا مُحَجَّلِينَ مِنْ آثَارِ الْوُضُوءِ لَيْسَتْ لِأَحَدٍ غَيْرِكُمْ)[3].

وأيلة : مَدِينَة من بِلَاد الشَّام على سَاحل الْبَحْر وايلة أَيْضا جبل يَنْبع بَين مَكَّة وَالْمَدينَة[4].وأوذ بمعنى: أطرد[5].

فدل الحديث على أن هناك أقواماً يطردون من حوضه عليه الصلاة والسلام وقد بينت الروايات الأخرى سبب هذا الطرد فعَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ -

---

[1]- رواه ابن ماجه برقم (4301) وقال الألباني :صحيح لغيره صحيح الترغيب والترهيب (3 / 444)

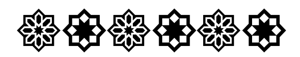
[2]- رواه البخاري برقم (6592)

[3]رواه مسلم برقم (248)

[4]- شرح مسلم للنووي (15 / 57)

[5]-كشف المشكل من حديث الصحيحين (280/2)

صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ-: «إِنِّي فَرَطُكُمْ عَلَى الحَوْضِ، مَنْ مَرَّ عَلَيَّ شَرِبَ، وَمَنْ شَرِبَ لَمْ يَظْمَأْ أَبَدًا، لَيَرِدَنَّ عَلَيَّ أَقْوَامٌ أَعْرِفُهُمْ وَيَعْرِفُونِي، ثُمَّ يُحَالُ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ» فَأَقُولُ إِنَّهُمْ مِنِّي، فَيُقَالُ: إِنَّكَ لاَ تَدْرِي مَا أَحْدَثُوا بَعْدَكَ، فَأَقُولُ: سُحْقًا سُحْقًا لِمَنْ غَيَّرَ بَعْدِي " وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: سُحْقًا: بُعْدًا يُقَالُ: {سَحِيقٌ}: بَعِيدٌ، سَحَقَهُ وَأَسْحَقَهُ أَبْعَدَهُ[1].



[1]- رواه البخاري برقم (6583)

التقويم

س1 – عرف الحوض لغة وشرعاً ؟وما هي الفرق التي خالفت معتقد أهل السنة والجماعة في الحوض ؟

س2– هل الحوض خاص بالنبي – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– ؟

س3 –ما هو الكوثر ؟ ولماذا سمي بهذا الاسم ؟ولماذا فُسر الكوثر بالحوض ؟ وهل هما شيء واحد ؟

س4 – اذكر دليلاً تضمن أوصاف الحوض ؟

س5 – ما الغرض من تمثيل النبي – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– لمسافة الحوض ببعض المدن ؟

س6 – يطرد أقوام من الحوض فيمنعون من الشرب، ناقش ذلك؟

س7 – اذكر معاني المفردات التالية : الكيزان –أذود – سحقاً –أيلة



الدرس الثالث عشر
باب الإيمان بالْمِيزَان

قَالَ مُحَمَّدٌ: وَأَهْلُ اَلسُّنَّةِ يُؤْمِنُونَ بِالْمِيزَانِ يَوْمَ اَلْقِيَامَةِ وَقَالَ -عَزَّوَجَلَّ-: ﴿فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ ۝٦ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ۝٧ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ ۝٨ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ ۝٩﴾ [القارعة].

وَقَالَ: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا﴾ [الأنبياء: 47].

حَدَّثَنِي وَهْبٌ عَنْ اِبْنِ وَضَّاحٍ عَنْ اِبْنِ أَبِي شَيْبَةَ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ فُضَيْلٍ، عَنْ اَلْمُغِيرَةِ، عَنْ أُمِّ مُوسَى قَالَتْ: سَمِعْتَ عَلِيًّا يَقُولُ: أَمَرَ اَلنَّبِيُّ عَلَيْهِ اَلصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ عَبْدَ اللهِ بْنَ مَسْعُودٍ أَنْ يَصْعَدَ بِشَجَرَةٍ فَيَاتِيهِ بِشَيْءٍ مِنْهَا، فَنَظَرَ أَصْحَابُهُ إِلَى حُمُوشَةِ سَاقَيْهِ فَضَحِكُوا مِنْهَا فَقَالَ: (مِمَّ تَضْحَكُونَ؟! لَرِجْلُ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ فِي اَلْمِيزَانِ أَثْقَلُ مِنْ أُحُدٍ).

حديث صحيح أخرجه أحمد وابن حبان وصححه الألباني وأحمد شاكر في تعليقه على المسند[1].

الشرح

من عقيدة أهل السنة والجماعة الإيمان بالميزان وهو الذي ينصب يوم القيامة لوزن أعمال العباد.

والميزان لغة : اسم آلة التي توزن بها الأشياء، وهو ما تعرف به مقادير الأشياء خفة وثقلاً[2].

---

[1]- المسند برقم (920) صحيح ابن حبان برقم (7069) والألباني في الصحيحة (6 / 570)

[2]- لسان العرب (13 / 446)دار صادر بيروت الطبعة الثالثة 1414 هـ ،المعجم الوسيط (2 / 1030) طبعة دار الدعوة التعريفات الفقهية ص222 دار الكتب العلمية الطبعة الأولى 2003 م

وشرعاً : هو ما ينصبه الله سبحانه وتعالى لوزن أعمال العباد ووزن صحائفهم[1].

والْحِكْمَةُ فِي وَزْنِ الْأَعْمَالِ: امْتِحَانُ اللهَّ عِبَادَهُ بِالْإِيمَانِ فِي الدُّنْيَا وَإِقَامَةُ الْحُجَّةِ عَلَيْهِمْ فِي الْعُقْبَى[2]، وإظهار عدل الله سبحانه لجميع عباده وبيان حكمته البالغة، وحكم أخرى لا اطلاع لنا عليها[3].

فصل: ثبوت الميزان بالكتاب والسنة والإجماع

وقد قام الدليل من الكتاب والسنة على ثبوت الميزان وأجمعت الأمة على ذلك.

فمن أدلة الكتاب:قوله سبحانه: ﴿فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ ۝٦ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ۝٧ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ ۝٨ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ ۝٩﴾ [القارعة].

وهذه الآية كقوله تعالى : ﴿وَٱلْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ ۚ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝٨ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُم بِمَا كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَظْلِمُونَ ۝٩﴾ [الأعراف].

ومن فوائد الآية ذكر أقسام الناس باعتبار ثقل الميزان وخفته وهما قسمان:

الأول: الذين تثقل موازينهم بالحسنات وأعظم الحسنات عند الله فرائضه وأعظم الفرائض التوحيد.

الثاني: الذين خفت موازينهم وهم على صنفين:

الصنف الأول: الكفار والمنافقون نفاقاً اعتقادياً فهؤلاء يخلدون في النار خلوداً سرمدياً لا ينتهي، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ جَامِعُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْكَٰفِرِينَ فِى جَهَنَّمَ جَمِيعًا ۝١٤٠﴾[النساء:].

وقال تعالى في المنافقين: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ۝١٤٥﴾ [النساء:].

---

[1]- إمداد صادق الأماني بشرح مقدمة ابن أبي زيد القيرواني للشيخ عبيد الجابري (ص 170) دار الميراث النبوي الجزائر العاصمة

[2]- معالم التنزيل في تفسير القرآن (3 / 215) دار طيبة الطبعة الرابعة 1417 م - 1997 هـ ، تفسير الطبري (12 / 313)مؤسسة الرسالة الطبعة الأولى 1420 هـ - 2000 م

[3]- الروضة الندية شرح العقيدة الواسطية للشيخ زيد الفياض ص360

الصنف الثاني: الموحدون الذين خفت موازينهم لقلة الحسنات وكثرة السيئات، فرجحت سيئاتهم على حسناتهم فهؤلاء خلودهم في النار معناه طول الإقامة والمكث، وليس خلوداً أبدياً سرمدياً؛ لأن مصيرهم إلى الجنة وهذا هو معتقد أهل السنة والجماعة.

ومن أدلة الكتاب أيضاً: قوله تعالى: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا﴾ [الأنبياء: 47].

قال العلامة السعدي:(يخبر تعالى عن حكمه العدل، وقضائه القسط بين عباده إذا جمعهم في يوم القيامة، وأنه يضع لهم الموازين العادلة، التي يبين فيها مثاقيل الذر، الذي توزن بها الحسنات والسيئات)[1].

مسألة: هل الميزان واحد، وإذا كان واحداً فما المعنى بذكر الموازين بصيغة الجمع في هذه الآية؟

قال ابن كثير: الْأَكْثَرُ عَلَى أَنَّهُ إِنَّمَا هُوَ مِيزَانٌ وَاحِدٌ، وَإِنَّمَا جُمِعَ بِاعْتِبَارِ تَعَدُّدِ الْأَعْمَالِ الْمَوْزُونَةِ فِيهِ[2].

وقال ابن الجوزي: لما كانت أعمال الخلائق توزن وزنةً بعد وزنة، سمِّيت موازين[3].

وقال البغوي: وقيل جمعه لِأَنَّ الْمِيزَانَ يَشْتَمِلُ عَلَى الْكِفَّتَيْنِ وَالشَّاهِدَيْنِ وَاللِّسَانِ، وَلَا يَتِمُّ الْوَزْنُ إِلَّا بِاجْتِمَاعِهَا[4].

وقيل: للتفخيم وتعظيم أمره كما قال تعالى: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ ٱلْمُرْسَلِينَ ١٠٥﴾ [الشعراء].

مع أنه لم يرسل إليهم إلا واحد[5].

---

(1)- تفسير السعدي (ص524) دار الرسالة الطبعة الأولى 1420 هـ - 2000 م

(2)- تفسير ابن كثير (5 / 345) دار طيبة الطبعة الثانية 1420هـ - 1999 م

(3)- زاد المسير (3 / 192) دار الكتاب العربي بيروت الطبعة الأولى 1422 هـ

(4)- معالم التنزيل في تفسير القرآن (3 / 216) دار طيبة الطبعة الرابعة 1417 م - 1997 هـ

(5)- الروضة الندية شرح العقيدة الواسطية للشيخ زيد الفياض ص360

* ومن أدلة السنة في ثبوت الميزان: حديث على -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -قال: أَمَرَ اَلنَّبِيُّ عَلَيْهِ اَلصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ عَبْد الله بْنَ مَسْعُودٍ أَنْ يَصْعَدَ بِشَجَرَةٍ فيأتيه بِشَيْءٍ مِنْهَا، فَنَظَرَ أَصْحَابُهُ إِلَى حُمُوشَةِ سَاقَيْهِ فَضَحِكُوا مِنْهَا فَقَالَ: (مِمَّ تَضْحَكُونَ؟! لَرِجْلُ عَبْد الله بْنِ مَسْعُودٍ فِي اَلْمِيزَانِ أَثْقَلُ مِنْ أُحُدٍ).

قوله: (حُموشة ساقية): بضم أوله أي: دقتهما ونحافتها، يقال: رجل حمش الساقين أي: دقيقهما.

وأما الإجماع فقد أجمع أئمة العلم والدين على ثبوت الميزان يوم القيامة، وأن له لسان وكفتان ويميل بالأعمال[1].

مسألة: من أنكر الميزان من أهل البدع؟

وقد خالف المعتزلة والجهمية فأنكروا الوزن وفسروا الميزان بالعدل[2]، وهذقول باطل ويرد عليه بالنص والإجماع؛ ولأنه إذا كان المراد بالميزان العدل فلا حاجة إلى أن نعبر بالميزان بل نعبر بالعدل؛ لأن كلمة العدل أحب إلى النفس من كلمة الميزان[3]، ولهذا قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ﴾ [النحل: 90].

مسألة: هل الوزن للأعمال أو للعمل والصحيفة أو للعمل والصحيفة والعامل؟

إن العلماء اختلفوا في هذه المسألة[4]والصحيح أن الوزن للثلاثة[1]،فالدليل على وزن العمل قوله تعالى:(فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ)،

---

(1)- فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر (13 / 538) دار المعرفة بيروت 1379

(2)- فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر (13 / 538) دار المعرفة بيروت 1379

(3)- – شرح العقيدة الواسطية للعلامة العثيمين (ص388) دار ابن الجوزي الطبعة الرابعة 1427 هـ .

(4)- معالم التنزيل في تفسير القرآن (3 / 215) دار طيبة الطبعة الرابعة 1417 م - 1997 هـ

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ: (كَلِمَتَانِ خَفِيفَتَانِ عَلَى اللِّسَانِ، ثَقِيلَتَانِ فِي المِيزَانِ، حَبِيبَتَانِ إِلَى الرَّحْمَنِ: سُبْحَانَ اللَّهِ العَظِيمِ، سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ)[2] ،

والدليل على وزن العامل قوله تعالى : (فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَزْنًا)[3]

وقد ذكر البخاري في تفسير لهذه الآية بإسناده عن أَبِي هُرَيْرَةَ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ: " إِنَّهُ لَيَأْتِي الرَّجُلُ العَظِيمُ السَّمِينُ يَوْمَ القِيَامَةِ، لاَ يَزِنُ عِنْدَ اللَّهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ، وَقَالَ: اقْرَءُوا، ﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَزْنًا ١٠٥﴾ [الكهف].

"[4] قال العلامة الشنقيطي المالكي: (وَفِيهِ دَلَالَةٌ عَلَى وَزْنِ الْأَشْخَاصِ)[5].

ومنا- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-لأدلة أيضاً على وزن العامل الحديث الذي ذكره المصنف وهو قوله: (لَرِجْلُ عَبْد اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ فِي ٱلْمِيزَانِ أَثْقَلُ مِنْ أُحُدٍ).

وأما وزن الصحيفة فقد دل عليه حديث صاحب البطاقةالذي يرويه عَبْدَ اللهِ بْنَ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ، عن رَسُولاللهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قال: (إِنَّ اللَّهَ سَيُخَلِّصُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي عَلَى رُءُوسِ الخَلَائِقِ يَوْمَ القِيَامَةِ فَيَنْشُرُ عَلَيْهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ سِجِلًّا كُلُّ سِجِلٍّ مِثْلُ مَدِّ البَصَرِ، ثُمَّ يَقُولُ: أَتُنْكِرُ مِنْ هَذَا شَيْئًا؟ أَظَلَمَكَ كَتَبَتِي الحَافِظُونَ؟ فَيَقُولُ: لَا يَا رَبِّ، فَيَقُولُ: أَفَلَكَ عُذْرٌ؟ فَيَقُولُ: لَا يَا رَبِّ، فَيَقُولُ: بَلَى إِنَّ لَكَ عِنْدَنَا حَسَنَةً، فَإِنَّهُ لَا ظُلْمَ

---

[1]- الروضة الندية شرح العقيدة الواسطية للشيخ زيد الفياض (ص 365)، شرح العقيدة الواسطية للعلامة العثيمين (ص390) دار ابن الجوزي الطبعة الرابعة 1427 هـ ، الفصل المبين من رب العالمين للشيخ أحمد النجمي (ص113) دار منارة الإسلام الطبعة الأولى1435 هـ - 2014 م ، أوضح المعاني شرح مقدمة ابن أبي زيد القيرواني للشيخ زيد المدخلي (ص193) طبعة دار الميراث النبوي، إمداد صادق الأماني بشرح مقدمة ابن أبي زيد القيرواني (ص 170) طبعة دار الميراث النبوي.

[2]- رواه البخاري برقم (6406) ومسلم برقم (2694)

[3]- سورة الكهف آية 100]

[4]- رواه البخاري برقم (4729)

[5]- أضواء البيان (3 / 353)

عَلَيْكَ اليَوْمَ، فَتَخْرُجُ بِطَاقَةٌ فِيهَا: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُّ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، فَيَقُولُ: احْضُرْ وَزْنَكَ، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ مَا هَذِهِ البِطَاقَةُ مَعَ هَذِهِ السِّجِلَّاتِ، فَقَالَ: إِنَّكَ لَا تُظْلَمُ "، قَالَ: "فَتُوضَعُ السِّجِلَّاتُ فِي كَفَّةٍ وَالبِطَاقَةُ فِي كَفَّةٍ، فَطَاشَتِ السِّجِلَّاتُ وَثَقُلَتِ البِطَاقَةُ، فَلَا يَثْقُلُ مَعَ اسْمِ اللهِّ شَيْءٌ")[1].

وهذا الحديث فيه فوائد:

1- إثبات وزن صحيفة العمل، وهذا كله من كمال عدل الله -عَزَّوَجَلَّ- وإظهار حكمته البالغة.

2- أن الميزان له كفتان حسيتان مشاهدتان[2].

3- أن الراجحان يكون بالنزول، فالكف الذي ينزل سواء بالحسنات أو السيئات يكون هو الراجح[3].

4- عظم شأن التوحيد وأنه السبب الأعظم لدخول الجنة .

5- أن الرجل لم يلق الله بحسنة غير التوحيد فدخل الجنة؛ لأنه محقق للتوحيد[4].

۞۞۞۞۞۞

---

[1]- رواه أحمد برقم (6994) والترمذي برقم (2639) وابن ماجه برقم (4300) وصححه أحمد شاكر في تعليقه على المسند الألباني في الصحيحة برقم (135) والمشكاة برقم (5559)

[2]- السلسلة الصحيحة للألباني (1 / 263) مكتبة المعارف الرياض الطبعة الأولى

[3]- شرح العقيدة الواسطية للعلامة العثيمين (ص388) دار ابن الجوزي الطبعة الرابعة 1427 هـ .

[4]- إمداد صادق الأماني بشرح مقدمة ابن أبي زيد القيرواني (ص 170) طبعة دار الميراث النبوي

التقويم

س1- عرف الميزان لغة وشرعاً، وما الحكمة من وزن الأعمال ؟

س2-اذكر دليلاً من القرآن وآخر من السنة الصحيحة في إثبات الميزان ؟

س3- أقسام الناس باعتبار ثقل الميزان وخفته قسمان اذكرهما ؟

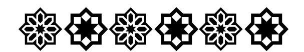
س4-ما هي الفرق التي أنكرت الميزان؟ وبماذا فسروه؟ وكيف يرد عليهم؟

س5- اذكر دليلاً من القرآن وآخر من السنة الصحيحة على كل من:

أ- وزن العامل.　　　　ب- وزن العمل.

س6-ما هي الفوائد المستفادة من حديث صاحب البطاقة ؟

س7- هل الميزان واحد، وإذا كان واحداًفما المعنى من ذكر الموازين بصيغة الجمع في هذه الآية ؟



الدرس الرابع عشر
باب فِي اَلْإِيمَان بالصِّرَاطِ

قَالَ مُحَمَّدٌ: وَأَهْلُ اَلسُّنَّةِ يُؤْمِنُونَ بِالصِّرَاطِ وَأَنَّ اَلنَّاسَ يَمُرُّونَ عَلَيْهِ يَوْمَ اَلْقِيَامَةِ عَلَى قَدْرِ أَعْمَالِهِمْ.

وَحَدَّثَنِي إِسْحَاقُ عَنْ اِبْنِ خَالِدٍ عَنْ اِبْنِ وَضَّاحٍ، عَنْ اِبْنِ أَبِي شَيْبَةَ قَالَ: حَدَّثَنِي اِبْنُ مُسْهِرٍ عَنْ دَاوُدَ، عَنْ اَلشَّعْبِيِّ، عَنْ مَسْرُوقٍ عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: سَأَلْتُ رَسُولَ اَللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- عَنْ قَوْلِ اَللَّهِ -عَزَّ وَجَلَّ-: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ﴾ [إبراهيم: 48].

أَيْنَ يَكُونُ اَلنَّاس يَوْمَئِذٍ؟ قَالَ: (عَلَى اَلصِّرَاطِ). حديث صحيحأخرجه مسلم في صحيحه[1].

الشرح

الصراط لغة: هُوَ الطَّرِيقُ الواضح، فإن كان مستقيماً يُقال: هذا صراط مستقيم، وإن كان فيه انحراف واعوجاج يقال: صراط فيه عوج[2]،وأصل الصراط الطريق الخطر السلوك[3].

وشرعاً: هو جسر ينصب على متن جهنم لمرور العباد عليه حال منصرفهم من المحشر[4].

---

(1)- صحيح مسلم برقم (2791)

(2)- تفسير الطبري (1 / 170) طبعة مؤسسة الرسالة الطبعة الأولى 1430 هـ - 2000 م تحقيق : أحمد شاكر ، إمداد صادق الأماني بشرح مقدمة ابن أبي زيد القيرواني (ص 170) للشيخ عبيد الجابري طبعة دار الميراث النبوي ، معالم التنزيل في تفسير القرآن (1 / 54) دار طيبة الطبعة الرابعة 1417 م - 1997 هـ

(3)- فيض القدير للمناوي (1 / 83) الناشر: المكتبة التجارية الكبرى – مصر الطبعة: الأولى، 1356

(4)- رسالة إلى أهل الثغر للأشعري وشرح النووي على مسلمدار طوق النجاة الطبعة الأولى 1422 هـ

فصل: ثبوت الصراط بالكتاب والسنة والإجماع

وقد دل على ثبوته الكتاب والسنة والإجماع

فأما الكتاب: فقد قال الله سبحانه وتعالى: ﴿ثُمَّ نُنَجِّي ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴿٧٢﴾﴾ [مريم].

الْوُرُودُ لُغَةً: قَصْدُ الْمَاءِ، ثُمَّ يُسْتَعْمَلُ فِي غَيْرِهِ، وَالْمُرَادُ مِنْهُ هَاهُنَا الْجَوَازُ عَلَى جِسْرِ جَهَنَّمَ[1]؛ فعن عبد الله بن مسعود عن رسول الله - صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - في قوله ﴿وَإِن مِّنكُمۡ إِلَّا وَارِدُهَا﴾ [مريم: 71].

قال: (الصراط على جهنم مثل حدّ السيف، فتمرّ الطبقة الأولى كالبرق، والثانية كالريح، والثالثة كأجود الخيل، والرابعة كأجود البهائم، ثم يمرّون والملائكة يقولون: اللهمّ سلم سلم)[2].

قال النووي: (وَالصَّحِيحُ أَنَّ الْمُرَادَ بِالْوُرُودِ فِي الْآيَةِ الْمُرُورُ عَلَى الصِّرَاطِ وَهُوَ جِسْرٌ مَنْصُوبٌ عَلَى جَهَنَّمَ فَيَقَعُ فِيهَا أَهْلُهَا وَيَنْجُو الْآخَرُونَ)[3]وبه قال ابن مسعود وابن عباس وكعب الأحبار[4].

وأما السنة: فقد وردت أحاديث كثيرة منها: حديث الباب حيث سألت عائشة - رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهَا - رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - عَنْ قَوْلِ اللَّهِ - عَزَّ وَجَلَّ -: ﴿يَوۡمَ تُبَدَّلُ ٱلۡأَرۡضُ غَيۡرَ ٱلۡأَرۡضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ﴾[إبراهيم: 48].

---

[1]- مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح لعلي الملا القاري الناشر: دار الفكر، بيروت – لبنان الطبعةالأولى 1422هـ - 2002م ، رياض الصالحين للنووي

[2]- رواه الترمذي (3159) وأحمد (4128) والطبري موقوفاً برقم (18 / 232) واللفظ له وصححه أحمد شاكر في تعليقه على المسند والألباني في الصحيحة (1 / 621) وقال: (صح أن الحديث مرفوع.).

[3]- شرح مسلم (16 / 58) دار طوق النجاة الطبعة الأولى 1422 هـ ، شرح الطيبي لمشكاة المصابيح الناشر: مكتبة نزار مصطفى الباز (مكة المكرمة - الرياض)الطبعة: الأولى، 1417 هـ - 1997 م

[4]- التمهيد لابن عبد البر(6 / 356) طبعة وزارة عموم الأوقاف بالمغرب 1387 هـ ،طرح التثريب في شرح التقريب للعراقي (3 / 251)

أَيْنَ يَكُونُ اَلنَّاس يَوْمَئِذٍ؟ قَالَ: (عَلَى اَلصِّرَاطِ).

أما الأجماع: فقد أَجْمَعَ السَّلَفُ عَلَى إِثْبَاتِهِ كما قال النووي[1].

وقد أنكرت بعض طوائف المبتدعة الصراط كالمعتزلة والخوارج[2]، ويرد عليهم بالنص والإجماع.

فصل: أنواع الصراط ووصفه ومرور الناس عليه

أ- صراط معنوي: هو الطريق الذي نصبه الله لعباده ورضي لهم سلوكه ولم يرض غيره وهو دين الإسلام.

ب – صراط حسي:هو الجسر الذي ينصب على متن جهنم.

قال ابن رجب : "فمن استقام على هذا الصراط (أي: المعنوي) حصل له سعادة الدنيا والآخرة، واستقام سيره على الصراط يوم القيامة "[3].

•وقد جاء في وصف الصراط بأنه دقيق جداً فهو أدقّ من الشعر وأحدّ من السيف فعن أبي سعيد -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قال: (بلغني أن الجسر أدقّ من الشعر وأحدّ من السيف)[4].

وأول من يجيز الصراط محمد - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وأمته، ولا يتكلم يومئذ إلا الرسل فيقولون: اللهم سلم سلم فقد جاء عن أبي هريرة في حديث الرؤية والشفاعة وفيه: (

---

[1]- شرح مسلم للنووي (3 / 20) رسالة إلى هذا الثغر للأشعري (ص163) تحقيق : عبدالله شاكر ، طبعة عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية بالمدينة 1413 هـ

[2]- نقض الإمام أبي سعيد عثمان بن سعيد على المريسيالجهمي العنيد (1 / 61) مكتبة الرشد الطبعة الأولى 1418 هـ – 1998 م، معارج القبول للعلامة حافظ الحكمي (3 / 1033) دار ابن الجوزي الطبعة الثامنة 1432 هـ ، أوضح المعاني شرح مقدمة القيرواني للعلامة زيد المدخلي (ص196).

[3]- جامع العلوم والحكم (7 / 103)

[4]- رواه مسلم برقم (183)

وَيُضْرَبُ الصِّرَاطُ بَيْنَ ظَهْرَيْ جَهَنَّمَ، فَأَكُونُ أَنَا وَأُمَّتِي أَوَّلَ مَنْ يُجِيزُهَا، وَلاَ يَتَكَلَّمُ يَوْمَئِذٍ إِلَّا الرُّسُلُ، وَدَعْوَى الرُّسُلِ يَوْمَئِذٍ: اللَّهُمَّ سَلِّمْ سَلِّمْ)[1].

ويمر الناس عليه بقدر أعمالهم وقد قسم النبي - صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- المارة على الصراط من المؤمنين على ثلاث فرق:

أ – قسم مسلّم فلا يناله شيء أصلاً.

ب – وقسم يخدش ثم يرسل فيخلص.

ج – وقسم يكردس ويلقى فيسقط في جهنم[2].

وعلى الصراط خطاطيف وكلاليب تخطف الناس ودليل ذلك كله ما جاء عن أبي سعيد الخدري في حديث الرؤية والشفاعة وفيه قال عليه الصلاة والسلام بعد أن ذكر المرور على الصراط:(فَنَاجٍ مُسَلَّمٌ، وَنَاجٍ مَخْدُوشٌ، وَمَكْدُوسٌ فِي نَارِ جَهَنَّمَ، حَتَّى يَمُرَّ آخِرُهُمْ يُسْحَبُ سَحْبًا ..)[3]، وفي حديث أبي هريرة وحذيفة قَالَ عليه الصلاة والسلام: «وَفِي حَافَتَيِ الصِّرَاطِ كَلَالِيبُ مُعَلَّقَةٌ مَأْمُورَةٌ بِأَخْذِ مَنِ أُمِرَتْ بِهِ، فَمَخْدُوشٌ نَاجٍ، وَمَكْدُوسٌ فِي النَّارِ»[4]، ومعنى مخدوش:من الخدش نَاجٍ أَي على مَا بِهِ من الْأَثر[5]، وخدَش الجِلْدَ: جرحه دون إسالة دَمٍ، جرحَه ظاهريًّا[6].

---

(1)- رواه البخاري برقم (7437) ومسلم برقم (182)

(2)- شرح مسلم للنووي (3 / 29)

(3)- روه البخاري برقم (7439)ومسلم برقم (183)

(4)- أخرجه مسلم برقم (195)

(5)- – تفسير غريب ما في الصحيحين لأبي عبدالله الحميدي (ص78)

(6)- مجمع اللغة العربية للدكتور أحمد مختار (1 / 618) الناشر: عالم الكتابالطبعة: الأولى، 1429 هـ - 2008 م

ومكدوس: أَيْ مَدْفوع، وتَكَدَّس الْإِنْسَانُ إِذَا دُفِع مِنْ ورَائه فسَقط[1]، وأما المكردس:فهُوَ الَّذِي جمعت يَدَاهُ وَرجلَاهُ فِي وُقُوعه[2].

•ويختلف الناس في سرعة مرورهم على الصراط فكل منهم على قدر عمله وبيان ذلك في الأحاديث التالية:

1 – حديث أبي سعيد -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - المذكور آنفاً: (الْمُؤْمِنُ عَلَيْهَا كَالطَّرْفِ وَكَالْبَرْقِ وَكَالرِّيحِ، وَكَأَجَاوِيدِ الخَيْلِ وَالرِّكَابِ ... حَتَّى يَمُرَّ آخِرُهُمْ يُسْحَبُ سَحْبًا).

2 – حديث أبي هريرة وحذيفة – رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا– وفيه أنه عليه الصلاة والسلام قال: (فَيَمُرُّ أَوَّلُكُمْ كَالْبَرْقِ " قَالَ: قُلْتُ: بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي أَيُّ شَيْءٍ كَمَرِّ الْبَرْقِ؟ قَالَ: " أَلَمْ تَرَوْا إِلَى الْبَرْقِ كَيْفَ يَمُرُّ وَيَرْجِعُ فِي طَرْفَةِ عَيْنٍ؟ ثُمَّ كَمَرِّ الرِّيحِ، ثُمَّ كَمَرِّ الطَّيْرِ، وَشَدِّ الرِّجَالِ، تَجْرِي بِهِمْ أَعْمَالُهُمْ وَنَبِيُّكُمْ قَائِمٌ عَلَى الصِّرَاطِ يَقُولُ: رَبِّ سَلِّمْ سَلِّمْ، حَتَّى تَعْجِزَ أَعْمَالُ الْعِبَادِحَتَّى يَجِيءَ الرَّجُلُ فَلَا يَسْتَطِيعُ السَّيْرَ إِلَّا زَحْفًا)[3].

3 – حديث ابن مسعود -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أن النبي – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– قال: (آخِرُ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ رَجُلٌ، فَهْوَ يَمْشِي مَرَّةً، وَيَكْبُو مَرَّةً، وَتَسْفَعُهُ النَّارُ مَرَّةً ...)[4].

4– حديث ابن مسعود -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أن النبي – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– قال:(فتمرّ الطبقة الأولى كالبرق، والثانية كالريح، والثالثة كأجود الخيل، والرابعة كأجود البهائم)[5].

---

[1]- لسان العرب (6 / 192)

[2]- تفسير غريب ما في الصحيحين لأبي عبدالله الحميدي (ص229) الناشر: مكتبة السنة – القاهرة – مصرالطبعة: الأولى، 1415 – 1995

[3]- رواه مسلم برقم (195)

[4]رواه مسلم برقم (187)

[5]- سبق تخريجه

•ويعطى المؤمنون نوراً ويُقسم على حسب إيمانهم وأعمالهم الصالحة، ودليل ذلك قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِم بُشْرَاكُمُ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٢﴾﴾ [الحديد].

، ويبين ذلك ما جاء عن عبد الله بْنِ مسعودٍ عنِ النبيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أنه قال في حديث طويل: (فَيرفَعونَ رؤوسَهُم، فيُعْطيهِمْ نورَهُم على قدْرِ أعْمالِهِم، فمنهُمْ مَنْ يُعْطى نورَه مثلَ الجَبَلِ العظيمِ؛ يَسْعى بَيْنَ أيْديهِمْ، ومنهم مَنْ يُعْطى نورَه أصْغَرَ مِنْ ذلك، ومنهم مَنْ يُعْطى مثلَ النخْلَةِ بيمينه، ومنهم مَنْ يُعطَى أصْغَرَ منْ ذلك حتى يكونَ آخِرُهُم رجلاً يُعْطى نورَه على إبْهامِ قدَمِه، يضيءُ مرَّةً، ويُطْفَأُ مرَّةً، فإذا أضاءَ قدمُه قدِمَ ومشى، وإذا طفِئ قامَ ...)[1].

•والمنافقون يعطون نوراً في الأول لأنهم أظهروا الإسلام فيعاملون بمثل ما أظهروا ويعون نوراً من باب الخداع كما أنهم خادعوا بإسلامهم ثم ينطفئ نورهم ويبقون في ظلمة[2]، كما قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِن قِبَلِهِ الْعَذَابُ ﴿١٣﴾ يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ قَالُوا بَلَىٰ وَلَٰكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ حَتَّىٰ جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ وَغَرَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ ﴿١٤﴾ فَالْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مَأْوَاكُمُ النَّارُ هِيَ مَوْلَاكُمْ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿١٥﴾﴾ [الحديد:].

، وقوله ﴿نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ﴾: نستصبح من نوركم، والقبس: الشعلة[3].

❁❁❁❁❁❁

---

[1]- أخرجه الحاكم في المستدرك (2 / 408) وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب برقم (/)

[2]- الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (17 / 245) دار الكتب المصرية الطبعة الثانية، 1384هـ - 1964 م ، معالم التنزيل للبغوي (8 / 35) دار طيبة الطبعة الرابعة 1417 م - 1997 هـ

[3]- تفسير الطبري (13 / 181)

التقويم

س1- عرف الصراط لغة وشرعاً ؟

س2- الصراط نوعان، اذكرهما؟ وبين العلاقة بينهما ؟

س3- ما هو وصف الصراط ؟ ومن أول من يمر عليه، مع ذكر الألة ؟

س4-يعطى المؤمنون نوراً وكذلك المنافقون في أول الأمر خداعاً لهم، ناقش ذلك مدعماً إجابتك بالأدلة ؟

س5- اذكر أحوال المارة على الصراط ، وبين الدليل على ذلك؟

س6- يتفاوت المؤمنون في سرعة مرورهم على الصراط وضح ذلك بالدليل، مع بيان سبب هذا التفاوت؟

س7- اذكر معني المفردات التالية:

مخدوش – مكردس – مكدوس – القبس



الدرس الخامس عشر
باب فِي اَلْإِيمَان بالشَّفَاعَة

قَالَ مُحَمَّدٌ: وَأَهْلُ اَلسُّنَّةِ يُؤْمِنُونَ بِالشَّفَاعَةِ، وَقَالَ -عَزَّوَجَلَّ-: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا ٧٩﴾ [الإسراء].

حَدَّثَنِي سَعِيدُ بْنُ فَحْلُونَ قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو دَاوُدَ، عَنْ خَزْرَجِ بْنِ عُثْمَانَ، عَنْ ثَابِتٍ، عَنْ أَنَسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اَللَّهِ - صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ-: شَفَاعَتِي لِأَهْلِ اَلْكَبَائِرِ مِنْ أُمَّتِي.حديث صحيح[1]

وَحَدَّثَنِي أَبِي عَنْ عَلِيٍّ عَنْ أَبِي دَاوُدَ، عَنْ يَحْيَى قَالَ: حَدَّثَنِي يُونُسُ بْنُ أَبِي إِسْحَاقَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ صِلَةَ بْنِ زُفَرَ قَالَ: سَمِعْتُ حُذَيْفَةَ يَقُولُ: يَجْمَعُ اَللَّهُ اَلنَّاسَ يَوْمَ اَلْقِيَامَةِ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ حُفَاةً عُرَاةً كَمَا خُلِقُوا يُسْمِعُهُمْ اَلدَّاعِي ويُنْفِذُهُمْ اَلْبَصَرُ، وَلَا تَتَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ، فَأَوَّلُ مَنْ يُدْعَى مُحَمَّدٌ، يَا مُحَمَّدُ فيَقُولُ: "لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ وَالْخَيْرُ فِي يَدَيْكَ وَالشَّرُّ لَيْسَ إِلَيْكَ، وَالْمَهْدِيُّ مَنْ هَدَيْتَ، وَعَبْدُك بَيْنَ يَدَيْكَ، وَمِنْكَ وَإِلَيْكَ، وَلَا مَلْجَأَ مِنْكَ إِلَّا إِلَيْكَ تَبَارَكْتَ وَتَعَالَيْتَ، وَعَلَى عَرْشِكَ اِسْتَوَيْتَ، سُبْحَانَكَ رَبَّ اَلْبَيْتِ، ثُمَّ يُقَالُ لَهُ: اِشْفَعْ" قَالَ فَذَلِكَ اَلْمَقَامُ اَلْمَحْمُودُ اَلَّذِي وَعَدَهُ اَللَّهُ -عَزَّوَجَلَّ-.

صحيح موقوف له حكم الرفع وقد جاء مرفوعاً في بعض رواياته[2].

---

[1]- أحمد برقم (13222) وأبوداود برقم (4739) والترمذي برقم (2435) وصححه أحمد شاكر والألباني في صحيح الجامع الصغير (3714)

[2]- أخرجه ابن أبي عاصم في السنةً برقم (789)مرفوعا والحاكم في المستدرك برقم (3384) والطيالسي في مسنده برقم (414) والبزار في مسنده برقم (2926) وصححه الألباني في ظلال الجنة في تخريج السنة.

الشرح

من العقائد التي يجب بها الإيمان بها : الشفاعة.

ومعناها لغة: جعل الشيء شفعاً، والشَّفْعُ: خِلافُ الوَتْرِ، وهو الزَّوْجُ[1].

وفي الاصطلاح: التوسط للغير بجلب منفعة أو دفع مضرة[2].

والشفاعة في الآخرة معناها : الدعاء[3].

وهي السؤال في التجاوز عن الذنوب من الذي وقع الجناية في حقه[4].

فصل: التفصيل في أقسام الشفاعة

أقسام الشفاعة:

أ – شفاعة منفية: هي التي من غير الله استقلالاً.

ب – شفاعة مثبتة: هي التي تطلب من الله، ولها ثلاثة شروط:

1- رضا الله عن الشافع.

2 – رضاه عن المشفوع له بأن يكون موحداً، ودليل ذلك حديث أبي هريرة قال: قلت يَا رَسُولَ اللَّهِ مَنْ أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِكَ يَوْمَ القِيَامَةِ؟ فقال: (لَقَدْ ظَنَنْتُ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ أَنْ لاَ يَسْأَلُنِي عَنْ هَذَا الحَدِيثِ أَحَدٌ أَوَّلُ مِنْكَ لِمَا رَأَيْتُ مِنْ حِرْصِكَ عَلَى الحَدِيثِ أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِي يَوْمَ القِيَامَةِ: مَنْ قَالَ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، خَالِصًا مِنْ قَلْبِهِ، أَوْ نَفْسِهِ)[5]،ويستثنى من ذلك الشفاعة العظمى في الموقف فإنها عامة لجميع الناس.

---

[1]- القاموس المحيط (1 / 733) الناشر: مؤسسة الرسالة ، بيروت – لبنانالطبعةالثامنة 1426 هـ - 2005 م ، شرح العقيدة الواسطية للعلامة ابن عثيمين (ص306)

[2]- شرح العقيدة الواسطية للعلامة ابن عثيمين (ص306)

[3]- شرح لمعة الاعتقاد للعلامة الفوزان (ص210) التمهيد شرح كتاب التوحيد (ص213)

[4]- التعريفات للجرجاني (ص 127) الناشر: دار الكتب العلمية بيروت –لبنانالطبعة: الأولى 1403هـ -1983م

[5]- رواه البخاري برقم (99)

3 – إذن الله في الشفاعة.

والدليل على ذلك قوله تعالى: ﴿وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِي شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ ﴿٢٦﴾﴾[النجم].

، وقوله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَرَضِيَ لَهُۥ قَوْلًا ﴿١٠٩﴾﴾ [طه].

أنواع الشفاعة المثبتة:

وهي سبعة: ثلاثة خاصة بالنبي – صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – وأربعة مشتركة بينه وبين غيره، وبيانها كما يلي:

*الشفاعات الخاصة بالنبي – صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ –:

النوع الأول: الشفاعة العظمى وهي خاصة بالنبي – صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – فيشفع في أهل الموقف لفصل القضاء بعد أن يتراجع الأنبياء آدم ونوح وإبراهيم وموسى وعيسى ابن مريم عن الشفاعة حتى تنتهي إليه وهي المقام المحمود الذي قال الله فيه: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴿٧٩﴾﴾ [الإسراء].

لأنه يحمده عليه الأولون والآخرون وقد جاء عن أبي هريرة أن النبي – صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – سئل عن هذه الآية فقال: (الشفاعة)[1].

وعن ابْن عُمَرَ قال: (إِنَّ النَّاسَ يَصِيرُونَ يَوْمَ القِيَامَةِ جُثًا، كُلُّ أُمَّةٍ تَتْبَعُ نَبِيَّهَا يَقُولُونَ: يَا فُلاَنُ اشْفَعْ، يَا فُلاَنُ اشْفَعْ، حَتَّى تَنْتَهِيَ الشَّفَاعَةُ إِلَى النَّبِيِّ – صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ –، فَذَلِكَ يَوْمَ يَبْعَثُهُ اللَّهُ المَقَامَ المَحْمُودَ)[2].

وأشار إليها المصنف بذكره للآية ولحديث حذيفة – رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ – .

---

[1]- أخرجه الترمذي وحسنه برقم (3137)

[2]- أخرجه البخاري برقم (4718)

وقد جاء بيانها في حديث أَبِي هُرَيْرَةَ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- : أَنَّ رَسُولَ اللهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قال:(أَنَا سَيِّدُ النَّاسِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَهَلْ تَدْرُونَ بِمَ ذَاكَ؟ يَجْمَعُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ، فَيُسْمِعُهُمُ الدَّاعِي، وَيَنْفُذُهُمُ الْبَصَرُ، وَتَدْنُو الشَّمْسُ فَيَبْلُغُ النَّاسَ مِنَ الْغَمِّ وَالْكَرْبِ مَا لَا يُطِيقُونَ، وَمَا لَا يَحْتَمِلُونَ، فَيَقُولُ بَعْضُ النَّاسِ لِبَعْضٍ: أَلَا تَرَوْنَ مَا أَنْتُمْ فِيهِ؟ أَلَا تَرَوْنَ مَا قَدْ بَلَغَكُمْ؟ أَلَا تَنْظُرُونَ مَنْ يَشْفَعُ لَكُمْ إِلَى رَبِّكُمْ؟ فَيَقُولُ بَعْضُ النَّاسِ لِبَعْضٍ: ائْتُوا آدَمَ، فَيَأْتُونَ آدَمَ، فَيَقُولُونَ: يَا آدَمُ، أَنْتَ أَبُو الْبَشَرِ، خَلَقَكَ اللهُ بِيَدِهِ، وَنَفَخَ فِيكَ مِنْ رُوحِهِ، وَأَمَرَ الْمَلَائِكَةَ فَسَجَدُوا لَكَ، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ، أَلَا تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ؟ أَلَا تَرَى إِلَى مَا قَدْ بَلَغَنَا؟ فَيَقُولُ آدَمُ: إِنَّ رَبِّي غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَإِنَّهُ نَهَانِي عَنِ الشَّجَرَةِ فَعَصَيْتُهُ نَفْسِي نَفْسِي، اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي، اذْهَبُوا إِلَى نُوحٍ، فَيَأْتُونَ نُوحًا، فَيَقُولُونَ: يَا نُوحُ، أَنْتَ أَوَّلُ الرُّسُلِ إِلَى الْأَرْضِ، وَسَمَّاكَ اللهُ عَبْدًا شَكُورًا، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ، أَلَا تَرَى مَا نَحْنُ فِيهِ؟ أَلَا تَرَى مَا قَدْ بَلَغَنَا؟ فَيَقُولُ لَهُمْ: إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَإِنَّهُ قَدْ كَانَتْ لِي دَعْوَةٌ دَعَوْتُ بِهَا عَلَى قَوْمِي، نَفْسِي نَفْسِي، اذْهَبُوا إِلَى إِبْرَاهِيمَ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، فَيَأْتُونَ إِبْرَاهِيمَ، فَيَقُولُونَ: أَنْتَ نَبِيُّ اللهِ وَخَلِيلُهُ مِنْ أَهْلِ الْأَرْضِ، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ، أَلَا تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ؟ أَلَا تَرَى إِلَى مَا قَدْ بَلَغَنَا؟ فَيَقُولُ لَهُمْ إِبْرَاهِيمُ: إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَا يَغْضَبُ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَذَكَرَ كَذَبَاتِهِ، نَفْسِي نَفْسِي، اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي، اذْهَبُوا إِلَى مُوسَى، فَيَأْتُونَ مُوسَى - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، فَيَقُولُونَ: يَا مُوسَى، أَنْتَ رَسُولُ اللهِ فَضَّلَكَ اللهُ بِرِسَالَاتِهِ، وَبِتَكْلِيمِهِ عَلَى النَّاسِ، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ، أَلَا تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ؟ أَلَا تَرَى مَا قَدْ بَلَغَنَا؟ فَيَقُولُ لَهُمْ مُوسَى - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ

مِثْلَهُ، وَإِنِّي قَتَلْتُ نَفْسًا لَمْ أُومَرْ بِقَتْلِهَا، نَفْسِي نَفْسِي، اذْهَبُوا إِلَى عِيسَى - صَلَّىٰللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ-، فَيَأْتُونَ عِيسَى، فَيَقُولُونَ: يَا عِيسَى أَنْتَ رَسُولُ اللهِ، وَكَلَّمْتَ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ، وَكَلِمَةٌ مِنْهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ، وَرُوحٌ مِنْهُ، فَاشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ، أَلَا تَرَى مَا نَحْنُ فِيهِ؟ أَلَا تَرَى مَا قَدْ بَلَغَنَا؟ فَيَقُولُ لَهُمْ عِيسَى - صَلَّىٰللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ-: إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَلَمْ يَذْكُرْ لَهُ ذَنْبًا، نَفْسِي نَفْسِي، اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي، اذْهَبُوا إِلَى مُحَمَّدٍ، فَيَأْتُونِّي فَيَقُولُونَ: يَا مُحَمَّدُ، أَنْتَ رَسُولُ اللهِ، وَخَاتَمُ الْأَنْبِيَاءِ، وَغَفَرَ اللهُ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ، وَمَا تَأَخَّرَ، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ، أَلَا تَرَى مَا نَحْنُ فِيهِ؟ أَلَا تَرَى مَا قَدْ بَلَغَنَا؟ فَأَنْطَلِقُ، فَآتِي تَحْتَ الْعَرْشِ، فَأَقَعُ سَاجِدًا لِرَبِّي، ثُمَّ يَفْتَحُ اللهُ عَلَيَّ وَيُلْهِمُنِي مِنْ مَحَامِدِهِ، وَحُسْنِ الثَّنَاءِ عَلَيْهِ شَيْئًا لَمْ يَفْتَحْهُ لِأَحَدٍ قَبْلِي، ثُمَّ يُقَالُ: يَا مُحَمَّدُ، ارْفَعْ رَأْسَكَ، سَلْ تُعْطَهْ، اشْفَعْ تُشَفَّعْ ...)[1].

النوع الثاني: شفاعة النبي - صَلَّىٰللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ- لأهل الجنة أن يدخلوا الجنة فعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ - صَلَّىٰللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ-: (أَنَا أَوَّلُ النَّاسِ يَشْفَعُ فِي الْجَنَّةِ وَأَنَا أَكْثَرُ الْأَنْبِيَاءِ تَبَعًا)[2].

النوع الثالث: شفاعته في عمه أبي طالب فعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ -رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ - : أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللهِ - صَلَّىٰللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ-، وَذُكِرَ عِنْدَهُ عَمُّهُ أَبُو طَالِبٍ، فَقَالَ: (لَعَلَّهُ تَنْفَعُهُ شَفَاعَتِي يَوْمَ القِيَامَةِ، فَيُجْعَلُ فِي ضَحْضَاحٍ مِنَ النَّارِ يَبْلُغُ كَعْبَيْهِ، يَغْلِي مِنْهُ أُمُّ دِمَاغِهِ)[3].

النوع الرابع: الشفاعة لأهل المدينة

* الشفاعات المشتركة بينه وبين غيره من الملائكة والأنبياء والصالحين والأولياء:

---

[1]- أخرجه البخاري برقم (4712) ومسلم برقم (194)

[2]- رواه مسلم برقم (196)

[3]- رواه البخاري برقم (3885)، (6564) ومسلم برقم (209)

النوع الرابع: شفاعته لقوم من العصاة من أمته قد استوجبوا النار بذنوبهم فيشفع لهم أن لا يدخلوها.

النوع الخامس: شفاعته في خروج عصاة الموحدين من النار، والأحاديث فيها متواترة عن النبي - صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ-، وقد أجمع عليها الصحابة وأهل السنة قاطبة وبدّعوا من أنكرها.

ومن الأحاديث الواردة في ذلك:

- حديث الباب الذي يرويه أَنَس عن رَسُول اَللَّهِ - صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ- قال: (شَفَاعَتِي لِأَهْلِ اَلْكَبَائِرِ مِنْ أُمَّتِي).

- وعنه أن النبي - صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ- قال: (يَخْرُجُ قَوْمٌ مِنَ النَّارِ بَعْدَ مَا مَسَّهُمْ مِنْهَا سَفْعٌ، فَيَدْخُلُونَ الجَنَّةَ، فَيُسَمِّيهِمْ أَهْلُ الجَنَّةِ: الجَهَنَّمِيِّينَ)[1] وفي روايات أخرى: (عتقاء الله).

- عَنْ أَبِي سَعِيدٍ اَلْخُدْرِيِّ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اَللَّهِ - صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ- قَالَ: (يُوضَعُ اَلصِّرَاطُ بَيْنَ ظَهْرَانَيْ جَهَنَّمَ عَلَى حَسَكٍ كَحَسَكِ اَلسَّعْدَانِ، ثُمَّ يَسْتَجِيزُ اَلنَّاسُ فَنَاجٍ مُسَلَّمٌ، وَمَخْدُوجٌ بِهِ، ثُمَّ نَاجٍ وَمُحْتَبَسٌ وَمَنْكُوسٌ فِيهَا، فَإِذَا فَرَغَ اَللَّهُ مِنَ اَلْقَضَاءِ بَيْنَ اَلْعِبَادِ يَفْقِدُ اَلْمُؤْمِنُونَ رِجَالًا كَانُوا فِي اَلدُّنْيَا يُصَلُّونَ صَلَاتَهُمْ وَيُزَكُّونَ زَكَاتَهُمْ وَيَصُومُونَ صِيَامَهُمْ وَيَحُجُّونَ حَجَّهُمْ وَيَغْزُونَ غَزْوَهُمْ فَيَقُولُونَ: أَيْ رَبَّنَا عِبَادٌ مِنْ عِبَادِكَ كَانُوا مَعَنَا فِي اَلدُّنْيَا يُصَلُّونَ صَلَاتَنَا، وَيُزَكُّونَ زَكَاتَنَا، وَيَصُومُونَ صِيَامَنَا، وَيَغْزُونَ غَزْوَنَا لَا نَرَاهُمْ، قَالَ: فَيَقُولُ: اِذْهَبُوا إِلَى اَلنَّارِ فَمَنْ وَجَدْتُمْ فِيهَا فَأَخْرِجُوهُ قَالَ: فَيَجِدُونَهُمْ قَدْ أَخَذَتْهُم اَلنَّارُ عَلَى قَدْرِ أَعْمَالِهِمْ فَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ إِلَى قَدَمَيْهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ إِلَى أَنْصَافِ سَاقَيْهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ

[1]- أخرجه البخاري برقم (6559)

أَخَذَتْهُ إِلَى رُكْبَتَيْهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ إِلَى أُزْرَتِهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ إِلَى عُنُقِهِ وَلَمْ تَغْشَ الْوَجْهَ، قَالَ فَيُخْرِجُونَهُمْ مِنْهَا فَيَطْرَحُونَهُمْ فِي مَاءِ الْحَيَاةِ، قِيلَ: يَا نَبِيَّ اللهِ وَمَا مَاءُ الْحَيَاةِ؟ قَالَ: غُسْلُ أَهْلِ الْجَنَّةِ، فَيَنْبُتُونَ كَمَا تَنْبُتُ الزَّرْعَةُ غُثَاء السَّيْلِ، ثُمَّ يَشْفَعُ الْأَنْبِيَاءُ فِي كُلِّ مَنْ كَانَ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ مُخْلِصًا فَيُخْرِجُونَهُمْ مِنْهَا، قَالَ: ثُمَّ يَتَحَنَّنُ اللهُ بِرَحْمَتِهِ عَلَى مَنْ فِيهَا فَمَا يَتْرُكُ فِيهَا عَبْدًا فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنْ إِيمَانٍ إِلَّا أَخْرَجَهُ مِنْهَا)[1].

- وعن جَابِر أنه سَمِعَ النَّبِي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يَقُولُ: (إِنَّ اللهَ يُخْرِجُ نَاسًا مِنَ النَّارِ فَيُدْخِلَهُمُ الْجَنَّةَ)[2].

النوع السادس: شفاعته لقوم من أهل الجنة في زيادة ثوابهم ورفعة درجاتهم، وهذه مما لم ينازع فيها أحد.

النوع السابع: شفاعته في أهل الأعراف[3].

وأهل الأعراف: هم قوم على سور بين الجنة والنار استوت حسناتهم مع سيئاتهم.

مسألة: ما هي الطوائف التي ضلت في الشفاعة؟

•وقد ضل في الشفاعة بعض الطوائف وهم على طرفي نقيض[4]:

الطرف الأول: أنكر الشفاعة وهم الخوارج والمعتزلة الذين يكفرون بالكبائر التي دون الشرك، ويرون أن صاحبها خالد مخلد في النار ولا تنفعه شفاعة الشافعين، واستدلوا بآيات نزلت في الكفار كقوله تعالى: ﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ ۝٤٨﴾ [المدثر].

---

[1]- رواه احمد (11081)

[2]- رواه مسلم برقم (191)

[3]- وهذا النوع ذكره العلامة النجمي في كتابه الفصل المبين من رب العالمين بالتعليق على أصل السنة واعتقاد الدين (ص 124).

[4]- إتحاف القارئ بالتعليقات على شرح السنة للإمام البربهاري للعلامة الفوزان (1 / 138)

وهذه الآية خاصة بالكفار الذين كذبوا باليوم بالآخر بدلالة الآيات التي قبلها ومنها: ﴿ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ ﴿٤٦﴾ ﴾ [المدثر].

وأهل السنة والجماعة يرون أن أصحاب الكبائر قسمان[1]:

1- قسم تاب توبة نصوحاً فتاب الله عليه بل وعد بتبديل سيئاته حسنات.

2- قسم مات مصراً على كبيرته وهو من أهل التوحيد والصلاة فهذا تحت المشيئة الإلهية إن شاء الله رحمه فلم يدخله النار، بل أدخله الجنة كما قال تعالى: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٦﴾ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ ﴾ [الأعراف: 156-157].

، وإن شاء الله عذبه بقدر جريمته ويكون مآله إلى الجنة.

الطرف الثاني: الذين يغلون في إثبات الشفاعة وهم منيستغيثون بالأموات ويلجؤون إلى القبور ويدعون أهلهاويطلبون منهم الشفاعة، كما قال تعالى: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِندَ اللَّهِ ﴾ [يونس: 18].

. فهؤلاء ظنوا أن الشفاعة سهلة وما علموا أن الأنبياء حتى أولوا العزم يقولون في ذلك اليوم العظيم: (نفسي نفسي) (إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَا يَغْضَبُ بَعْدَهُ مِثْلَهُ)، ونبينا - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- الذي أعطي الشفاعة العظمى تجد أنه يطلب هذه الشفاعة بأمور عظيمة حيث قال: (فَآتِي تَحْتَ الْعَرْشِ، فَأَقَعُ سَاجِدًا لِرَبِّي، ثُمَّ يَفْتَحُ اللهُ عَلَيَّ وَيُلْهِمُنِي مِنْ مَحَامِدِهِ، وَحُسْنِ الثَّنَاءِ عَلَيْهِ شَيْئًا لَمْ يَفْتَحْهُ لِأَحَدٍ قَبْلِي).

وحديث حذيفة الذي ذكره المصنف يبين عظم هذا الموقف، كما يوضح شيئاً من المحامد التي يفتح الله بها على نبيه ويلهمه إياها، حيث يَقُولُ عليه الصلاة والسلام: (يَجْمَعُ اَللهُ اَلنَّاسَ يَوْمَ اَلْقِيَامَةِ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ حُفَاةً عُرَاةً كَمَا خُلِقُوا يُسْمِعُهُمْ اَلدَّاعِي

---

[1]- أوضح المعاني شرح مقدمة ابن أبي زيد القيرواني (ص171)

ويُنْفُذُهُمْ اَلْبَصَرُ، وَلَا تَتكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ، فَأَوَّلُ مَنْ يُدْعَى مُحَمَّدٌ، يَا مُحَمَّدُ فيَقُولُ: "لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ وَالْخَيْرُ فِي يَدَيْكَ وَالشَّرُّ لَيْسَ إِلَيْكَ، وَالْمُهْدِيُّ مَنْ هَدَيْتَ، وَعَبْدُك بَيْنَ يدَيْكَ، وَمِنْكَ وَإِلَيْكَ، وَلَا مَلْجَأَ مِنْكَ إِلَّا إِلَيْكَ تَبَارَكْتَ وَتَعَالَيْتَ، وَعَلَى عَرْشِكَ اِسْتَوَيْتَ، سُبْحَانَكَ رَبَّ اَلْبَيْتِ)، فإذا فعل هذه الأمور يأذن الله له بالشفاعة فيقال له: (يَا مُحَمَّدُ، ارْفَعْ رَأْسَكَ، سَلْ تُعْطَهْ، اشْفَعْ تُشَفَّعْ).



التقويم

س1- عرف الشفاعة لغة واصطلاحاً ؟

س2- ما هي أقسام الشفاعة ؟

س3- اذكر شروط الشفاعة المثبتة ؟

س4- للشفاعة المثبتة سبعة أنواع، اذكرها ؟

س5- عرف الشفاعة العظمى ؟ واذكر دليلاً عليها من الكتاب والسنة ؟

س6- اذكر دليلاً من السنة الصحيحة على كل من:

أ - شفاعة النبي - صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- لأهل الجنة أن يدخلوا الجنة.

ب- شفاعة النبي - صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- لعمه أبي طالب.

ج - شفاعة النبي - صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-لعصاة الموحدين.

س7- ضل في الشفاعة بعض الطوائف، ناقش ذلك ؟

س8- الشفاعة أمرها صعب، وينالها النبي - صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بأمور عظيمة، ناقش ذلك بما فهمته من الدرس ؟

س9- أهل الكبائر قسمان، اذكرهما ؟



الدرس السادس عشر
باب فِي اَلْإِيمَان بطُلُوع اَلشَّمْس مِنْ مَغْربهَا

قَالَ مُحَمَّدٌ: وَأَهْلُ اَلسُّنَّةِ يُؤْمِنُونَ بِطُلُوعِ اَلشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا، وَقَالَ اَللَّهُ -عَزَّوَجَلَّ-: ﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا﴾ [الأنعام: 158]..

يَحْيَى قَالَ: وَحَدَّثَنَا حَمَّادٌ عَنْ عَاصِمِ بْنِ بَهْدَلَةَ عَنْ زِرِّ بْنِ حُبَيْشٍ، عَنْ صَفْوَانَ بْنِ عَسَّالٍ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اَللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يَقُولُ: إِنَّ باب اَلتَّوْبَةِ مَفْتُوحٌ مِنْ قِبَلِ اَلْمَغْرِبِ أَوْ أَنَّ بِالْمَغْرِبِ باب اَلتَّوْبَةِ مَفْتُوحٌ مَسِيرَةَ خَمْسِمِائَة عَامٍ لَا يَزَالُ مَفْتُوحًا لِلتَّوْبَةِ مَا لَمْ تَطْلُعْ اَلشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا فَإِذَا طَلَعَتْ أُغْلِقَ(1).

حديث حسن إلا قوله مسيرة خمسمائة عام فمنكرة

الشرح

ننتقل في هذا الدرس للكلام عن بعض الأمور التي تحصل قبل قيام الساعة،ومن عقيدة أهل السنة والجماعة الإيمان باليوم الآخر وهو ركن من أركان الإيمان، ومن الإيمان باليوم الآخر:الإيمان بالأشراط التي تظهر بين يديه كما قال تعالى: ﴿فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً فَقَدْ جَآءَ أَشْرَاطُهَا فَأَنَّىٰ لَهُمْ إِذَا جَآءَتْهُمْ ذِكْرَىٰهُمْ ١٨﴾ [محمد].

قال ابن كثير في تفسيره عند هذه الآية: ﴿فَقَدْ جَآءَ أَشْرَاطُهَا﴾ :أي أمارات اقترابها كقوله تعالى: ﴿هَٰذَا نَذِيرٌ مِّنَ ٱلنُّذُرِ ٱلْأُولَىٰٓ ٥٦ أَزِفَتِ ٱلْءَازِفَةُ ٥٧﴾[النجم].

وكقوله جلت عظمته: ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ١﴾ [القمر].

، وكقوله سبحانه وتعالى: ﴿أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ﴾ [النحل: 1].

---

(1)- أخرجه أبوعمرو الداني في السنن الواردة في الفتن برقم (706)

وقوله -جَلَّوَعَلَا-: ﴿ٱقۡتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمۡ وَهُمۡ فِي غَفۡلَةٖ مُّعۡرِضُونَ ۝١﴾ [الأنبياء].

، فبعثة رسول الله - صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ- من أشراط الساعة؛ لأنه خاتم الرسل الذي أكمل الله تعالى به الدين وأقام به الحجة على العالمين، وقد أخبر - صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ- بأمارات الساعة وأشراطها، وأبان عن ذلك وأوضحه بما لم يؤته نبي قبله.)

فصل : تعريف الاشراط لغة واصطلاحا :

والأشراط في اللغة: العلامات، واحدها شرط بالتحريك، وبه سميت شرط السلطان؛ لأنهم جعلوا لأنفسهم علامات يعرفون بها[1]. وفي الاصطلاح: العلامات التي يعقبها قيام الساعة[2].

وأما الساعة: فهي الوقت الذي تقوم فيه القيامة، وقد سميت بذلك لسرعة الحساب فيها، أو لأنها تفاجئ الناس في ساعة فيموت الخلق كلهم بصيحة واحدة[3].

فصل : وتنقسم أشراط الساعة إلى قسمين:

1 - أشراط صغرى: وهي التي تتقدم الساعة بأزمان متطاولة كقبض العلم وظهور الجهل والتطاول في البنيان وغيرها من الأشراط الصغرى.

2 - أشراط كبرى: وهي العلامات الكبيرة التي تظهر قرب قيام الساعة وهي عشر علامات ولم يظهر منها شيء،عَنْ حُذَيْفَةَ بْنِ أَسِيدٍ الْغِفَارِيِّ، قَالَ: اطَّلَعَ النَّبِيُّ - صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ- عَلَيْنَا وَنَحْنُ نَتَذَاكَرُ، فَقَالَ: «مَا تَذَاكَرُونَ؟» قَالُوا: نَذْكُرُ السَّاعَةَ، قَالَ: (إِنَّهَا لَنْ تَقُومَ حَتَّى تَرَوْنَ قَبْلَهَا عَشْرَ آيَاتٍ - فَذَكَرَ - الدُّخَانَ، وَالدَّجَّالَ، وَالدَّابَّةَ، وَطُلُوعَ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا، وَنُزُولَ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ - صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ-، وَيَأَجُوجَ وَمَأْجُوجَ،

---

[1]- النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير (264) ، الصحاح للجوهري (1136/3)

[2]- فتح الباري لابن حجر (79/13)

[3]- النهاية في غريب الحديث والأثر (422/2)

وَثَلَاثَةَ خُسُوفٍ: خَسْفٌ بِالْمَشْرِقِ، وَخَسْفٌ بِالْمَغْرِبِ، وَخَسْفٌ بِجَزِيرَةِ الْعَرَبِ، وَآخِرُ ذَلِكَ نَارٌ تَخْرُجُ مِنَ الْيَمَنِ، تَطْرُدُ النَّاسَ إِلَى مَحْشَرِهِمْ)[1].

والآيات الكبرى متتابعة في وقوعها، لا يكاد يفصل بينها فاصل زمني، فعن أنس بن مالك قال: قال رسول الله – صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ –: (الأمارات خرزات منظومات في سلك، فإن يقطع السلك يتبع بعضها بعضاً)[2].

وطلوع الشمس من مغربها من علامات الساعة الكبرى كما هو ثابت بالكتاب والسنة وإجماع العلماء.

•أما الكتاب فقد قال الله تعالى: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ ۗ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِيٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا ۗ قُلِ ٱنتَظِرُوٓاْ إِنَّا مُنتَظِرُونَ ١٥٨﴾ [الأنعام].

جاء عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ – صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – قَالَ: (لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا، فَإِذَا طَلَعَتْ مِنْ مَغْرِبِهَا آمَنَ النَّاسُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ فَيَوْمَئِذٍ ﴿لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِيٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا﴾ [الأنعام: 158].

قال ابن جرير الطبري بعد ذكره لأقوال المفسرين في الآية: وأولى الأقوال بالصواب في ذلك ما تظاهرت به الأخبار عن رسول الله – صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – أنه قال: (ذلك حين تطلع الشمس من مغربها)[3].

•وأما السنة فقد ورد في ذلك أحاديث كثيرة منها:

---

[1]- رواه مسلم(2901)

[2]- أخرجه الحاكم (8639) قال:" صحيح على شرط مسلم " ووافقه الذهبي، قال الألباني في الصحيحة (4 /361): وهو كما قالا

[3]- تفسير الطبري (266/12)

– ما ذكره المصنف حديث صفوان بن عسال -رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ- عن النبي -صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ- قال: (إن الله فتح بابا قبل المغرب، عرضه سبعون عاما للتوبة لا يغلق حتى تطلع الشمس منه)[1].

–وحديث أبي موسى الأشعري -رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ- عن النبي -صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ- قال: (إن الله يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل حتى تطلع الشمس من مغربها)[2] .

– وحديث عبد الرحمن بن عوف وعبد الله بن عمر ومعاوية -رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ- عن النبي -صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ- قال: (لا تزال التوبة مقبولة حتى تطلع الشمس من مغربها، فإذا طلعت طبع على كل قلب بما فيه وكفي الناس العمل)[3].

فهذه الأدلة تدل على أن طلوع الشمس من مغربها من العلامات التي تظهر قبل قيام الساعة وبظهورها يغلق باب التوبة، وقد ذكر ابن حجر أحاديث وآثار كثيرة تدل على استمرار قفل باب التوبة إلى يوم القيامة، ثم قال: (فهذه آثار يشد بعضها بعضاً متفقة على أن الشمس إذا طلعت من المغرب أغلق باب التوبة، ولم يفتح بعد ذلك، وأن ذلك لا يختص بيوم الطلوع بل يمتد إلى يوم القيامة)[4].

مسألة: علة عدم قبول التوبة بعد طلوع الشمس من مغربها

إذا طلعت الشمس من مغربها فإنه لا يقبل الإيمان ممن لم يكن قبل ذلك مؤمناً، كما لا تقبل توبة العاصي، وذلك لأن طلوع الشمس من مغربها آية عظيمة يراها كل من كان في

---

(1)- الطبراني في الأوسط (3446)

(2)- رواه مسلم (2759)

(3)- رواه أحمد في المسند (1671)

(4)- فتح الباري(355/11)

ذلك الزمان، فتنكشف لهم الحقائق، ويشاهدون من الأهوال ما يلوي أعناقهم إلى الإقرار والتصديق بالله وآياته، وحكمهم في ذلك حكم من عاين بأس الله تعالى كما قال -عَزَّوَجَلَّ-: ﴿فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوٓا ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِۦ مُشْرِكِينَ ﴿٨٤﴾ فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَٰنُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا سُنَّتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى قَدْ خَلَتْ فِى عِبَادِهِۦ وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٥﴾﴾ [غافر].

وقد ذكر القرطبي عدم قبول التوبة بعد طلوع الشمس من مغربها فقال: (قال العلماء: وإنما لا ينفع نفسا إيمانها عند طلوع الشمس من مغربها؛ لأنه خلص إلى قلوبهم من الفزع ما تخمد معه كل شهوة من شهوات النفس، وتفتر كل قوة من قوى البدن، فيصير الناس كلهم لإيقانهم بدنو القيامة في حال من حضره الموت في انقطاع الدواعي إلى أنواع المعاصي عنهم وبطلانها من أبدانهم، فمن تاب في مثل هذه الحالة لم تقبل توبته كما لا تقبل توبة من حضره الموت)[1].

فصل : الشمس طلوعها وغروبها وسجودها لله تعالى .

وعن أبي ذر -رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ- : أن النبي - صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قال يوما: " أتدرون أين تذهب هذه الشمس "؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: (إن هذه تجري حتى تنتهي إلى مستقرها تحت العرش فتخر ساجدة فلا تزال كذلك، حتى يقال لها: ارتفعي ارجعي من حيث جئت، فترجع فتصبح طالعة من مطلعها، ثم تجري حتى تنتهي إلى مستقرها تحت العرش فتخر ساجدة، ولا تزال كذلك حتى يقال لها: ارتفعي ارجعي من حيث جئت فترجع فتصبح طالعة من مطلعها، ثم تجري لا يستنكر الناس منها شيئا حتى تنتهي إلى مستقرها ذاك تحت العرش، فيقال لها: ارتفعي اصبحي طالعة من مغربك، فتصبح طالعة

---

[1] - التذكرة (1346)

من مغربها، فقال – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: أتدرون متى ذاكم؟ ذاك حين لا ينفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيرا)[1].

وهذا السجود للشمس لا ندري كيفيته ولا يعلمها إلا الله سبحانه وتعالى الذي يسجد له كل من في السماوات والأرض كما قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ ٱلْعَذَابُ ۗ وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ۩ ﴿١٨﴾﴾ [الحج].

قال الحافظ ابن حجر: (وظاهر الحديث أن المراد بالاستقرار وقوعه في كل يوم وليلة عند سجودها ومقابل الاستقرار المسير الدائم المعبر عنه بالجري، والله أعلم)[2].

فصل : أول العلامات الكبرى ظهوراً وآخرها:

اختلف العلماء في أول العلامات ظهوراً وقد ذكر بعضهم بأن أولها طلوع الشمس من مغربها واستدل بحديث عبد الله بن عمرو – رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا– قال: (حفظت من رسول الله – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– حديثا لم أنسه بعد، سمعت رسول الله – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– يقول: (إن أول الآيات خروجا طلوع الشمس من مغربها، وخروج الدابة على الناس ضحى، وأيهما كانت قبل صاحبتها، فالأخرى على إثرها قريباً)[3].

قال الحافظ ابن حجر: (الذي يترجح من مجموع الأخبار أن خروج الدجال أول الآيات العظام المؤذنة بتغير الأحوال العامة في معظم الأرض، وينتهي ذلك بموت عيسى ابن مريم، وأن طلوع الشمس من المغرب هو أول الآيات العظام المؤذنة بتغير أحوال العالم العلوي، وينتهي ذلك بقيام الساعة، ولعل خروج الدابة يقع في ذلك اليوم الذي

---

[1] - رواه مسلم(159)

[2] - فتح الباري (542/8)

[3] - رواه مسلم برقم (2941)

تطلع فيه الشمس من المغرب)[1]، وقال الحاكم أبو عبد الله: (الذي يظهر أن طلوع الشمس يسبق خروج الدابة، ثم تخرج الدابة في ذلك اليوم أو الذي يقرب منه)[2].

وأما آخرها فقد مر معنا في حديث حذيفة الغفاري حيث قال عليه الصلاة والسلام: (وَآخِرُ ذَلِكَ نَارٌ تَخْرُجُ مِنَ الْيَمَنِ، تَطْرُدُ النَّاسَ إِلَى مَحْشَرِهِمْ)[3].

❁❁❁❁❁❁

---

[1]- فتح الباري (353/11)

[2]- فتح الباري (353/11)

[3]- سبق تخريجه

التقويم

س1- عرف الأشراط لغة واصطلاحاً ؟ وما هي أقسامها ؟

س2- اذكر دليلاً على أن العلامات الكبرى تظهر متتابعة ؟

س3- اذكر دليلاً من الكتاب وآخر من السنة على أن طلوع الشمس من مغربها من علامات الساعة الكبرى ؟

س4- اذكر كلام القرطبي في علة عدم قبول التوبة بعد طلوع الشمس من مغربها ؟

س5- اختلف العلماء في أول العلامات الكبرى ظهوراً، ناقش ذلك ؟

س6-وضح بفهمك طلوع الشمس وغروبها وسجودها لله سبحانه وتعالى ؟



الدرس السابع عشر
باب الإيمان بخُرُوج اَلدَّجَّال

قَالَ مُحَمَّدٌ: وَأَهْلُ اَلسُّنَّةِ يُؤْمِنُونَ بِخُرُوجِ اَلدَّجَّالِ – أَعَاذَنَا اَللهُ وَإِيَّاكَ مِنْ فِتْنَتِهِ –.

وَحَدَّثَنِي إِسْحَاقُ عَنْ أَحْمَدَ، عَنْ اِبْنِ وَضَّاحٍ، عَنْ اِبْنِ أَبِي شَيْبَةَ قَالَ: حَدَّثَنَا اَلْحَسَنُ بْنُ مُوسَى قَالَ: حَدَّثَنَا شَيْبَانُ عَنْ يَحْيَى بْنِ أَبِي كَثِيرٍ، عَنْ أَبِي سَلَمَةَ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اَللَّهِ – صَلَّىٰاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ-: (أَلَا أُحَدِّثُكُمْ عَنْ اَلدَّجَّالِ حَدِيثًا لَمْ يُحَدِّثْ بِهِ نَبِيٌّ قَبْلِي؟ إِنَّهُ أَعْوَرُ وَإِنَّهُ يَجِيءُ مَعَهُ مِثْلُ اَلْجَنَّةِ وَالنَّارِ، فَالَّتِي يَقُولُ إِنَّهَا اَلْجَنَّةُ فَهِيَ اَلنَّارُ، وَالَّتِي يَقُولُ إِنَّهَا اَلنَّارُ هِيَ اَلْجَنَّةُ، وَإِنِّي أُنْذِرُكُمْ بِهِ كَمَا أَنْذَرَ بِهِ نُوحٌ قَوْمَهُ).

حديث صحيح رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما[1]

الشرح

من أشراط الساعة الكبرى التي يؤمن بها أهل السنة: خروج المسيح الدجال، والأحاديث فيه متواترة وقد اشتملت الأبواب التي في ذكر الدجال على أكثر من مائة وتسعين حديثا من الصحاح والحسان[2]وبينت أن فتنته من أعظم الفتن فعن عمران بن حصين أن رسول الله – صَلَّىٰاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ- قال: (ما بين خلقِ آدمَ إلى قيام الساعة خلقٌ أكبرُ " وفي رواية: أمرٌ أكبرُ " من الدجال)[3].وقد أنكر خروجه بالكليةبعض المعتزلة

[1]- صحيح البخاري برقم (3338) ، صحيح مسلم برقم (2936)

[2]- إتحاف الجماعة بما جاء في الفتن والملاحم وأشراط الساعة للعلامة حمود التويجري (3 / 86)

[3]- رواه مسلم (2946)

والجهمية والخوارج، وقال بعضهم إِنَّهُ صَحِيحُ الْوُجُودِ وَلَكِنَّ الذى يدعى مخارف وخيالات لاحقائق لَهَا[1].

•ولعظم فتنته وخطرها على الأمم حذر جميع الأنبياء أممهم منه كما في الحديث الذي ذكره المصنف حيث قال عليه الصلاة والسلام: (وَإِنِّي أُنْذِرُكُمْ بِهِ كَمَا أَنْذَرَ بِهِ نُوحٌ قَوْمَهُ)، وجاء عن أنس قال: قال النبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: (ما بعث نبي إلا أنذر أمته الأعور الكذاب...)[2].

مسألة : سبب تسميته بالمسيح الدجال[3]:

أولاً: تسميته بالمسيح

سمي الدجال مسيحاً؛ لأن عينه الواحدة ممسوحة، والمسيح: الذي أحد شقي وجهه ممسوح، لا عين له ولا حاجب، فهو فعيل بمعنى مفعول، بخلاف المسيح عيسى ابن مريم، فإنه فعيل بمعنى فاعل، سمي به، لأنه كان يمسح المريض فيبرأ بإذن الله.

ثانياً: تسميته بالدجال

والدجال: الكذاب وسمي دجالاً؛ لأنه يغطي الحق بباطله، ويقال: دجل البعير بالقطران إذا غطاه، والإناء بالذهب إذا طلاه، وقيل: لأنه يغطي الحق بالكذب، وقيل: لضربه نواحي الأرض، وقيل: لأنه يغطي الأرض.

---

[1]- شرح مسلم للنووي (18 / 58)

[2]- رواه البخاري برقم (7131)ومسلم برقم (2933)

[3]- جامع الأصول لابن الأثير (4 / 203) ، فتح الباري لابن حجر (13 / 91) لسان العرب لابن منظور (2 / 592) تهذيب اللغة لأبي منصور الأزهري الهروي (4 / 202)

فصل : وصف الدجال:

لقد وصفه الرسول -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وصفاً يبين شخصيته ويحدد معالم جسمه،ومن ذلك ما ذكره في حديث ابن عمر أن الرسول -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- رأى الدجال في الرؤيافقال: (رَجُلٌ أَحْمَرُ جَسِيمٌ، جَعْدُ الرَّأْسِ، أَعْوَرُ العَيْنِ اليُمْنَى، كَأَنَّ عَيْنَهُ عِنَبَةٌ طَافِيَةٌ ...)[1]، وجاء وصفه أيضاً في حديث عبادة بن الصامت حيث قال رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: (إني حدثتكم عن الدجال حتى خشيت أن لا تعقلوا، إن المسيح الدجال رجل قصير، أفحج، جعد، أعور، مطموس العين، ليست بناتئة ولا جحراء، فإن ألبس عليكم، فاعلموا أن ربكم ليس بأعور، وأنكم لن تروا ربكم)[2]، وثبت عن ابن عباس أن رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قال:(الدجال أعور، هجان أزهر (وفي رواية: أقمر) ، كأن رأسه أصلة، أشبه الناس بعبد العزى بن قطن، فإمّا هَلَكَ الهُلَّك، فإن ربكم ليس بأعور)[3].ويمكن أن نستخلص من هذه الأحاديث وغيرها بعض أوصافه:

أ- وصف جسمه:رجل قصير، وجسيم أي:ضخم[4].

ب- وصف رأسه وشعره:رأسه أصلة: والأصلة حية صغيرة أو عظيمة الضخمة، وشعره جعد: يعني مجتمع متقبض ملتوٍ[5]، وفي بعض الروايات: (كَأَنَّ رَأْسَهُ أَغْصَانُ شَجَرَةٍ) يُرِيدُ أَنَّ شَعْرَ رَأْسِهِ كَثِيرٌ مُتَفَرِّقٌ.

---

[1]- رواه البخاري برقم (7026)ومسلم برقم (171)

[2]- أبوداود برقم (4320) وصححه الألباني في صحيح الجامع برقم (2455)

[3]- رواه أحمد برقم (2148) وقال العلامة أحمد شاكر: إسناده صحيح

[4]- الصحاح للجوهري (5 / 1888)

[7]-المصباح المنير لأحمد الفيومي (1 / 102) مقاييس اللغة لابن فارس (1 / 462)

ج- وصف رجليه:أفحج والفحج:تَبَاعُدُ مَا بَيْنَ السَّاقَيْنِ أَوِ الْفَخِذَيْنِ، وَقِيلَ: تَدَانِي صُدُورِ الْقَدَمَيْنِ مَعَ تَبَاعُدِ الْعَقِبَيْنِ، وَقِيلَ: اعْوِجَاجٌ فِي الرِّجْلِ[1].

د- لون بشرته:هجان أزهر أقمر: معناها واحد وهوالْأَبْيَض[2].

ه- وصف عينيه:أعور العين اليمنى ليست بناتئة (أي: ليست بارزة)[3] ولا جحراء (أي: عميقة) بلطافئة (أي: ذَهَبَ ضَوْؤُهَا) ممسوحة مطموسة وَهَذِهِ صِفَةُ حَبَّةِ الْعِنَبِ إِذَا سَالَ مَاؤُهَا، وأما عينه اليسرى فقد جَاءَ فِي الْأَحَادِيثِ الْأُخَرِ وصفها بقوله عليه الصلاة والسلام: (لَهَا حَدَقَةٌ جَاحِظَةٌ كَأَنَّهَا نُخَاعَةٌ فِي حَائِطٍ)ومعنى ذلك: أنها بارزة الحدقة، يقال: رَجُلٌ جاحِظُ العَيْنين إِذا كَانَتْ حدَقتاه خَارِجَتَيْنِ[4]، فَكِلَا عَيْنَيِ الدَّجَّالِ مَعِيبَةٌ عَوْرَاءُ إِحْدَاهُمَا بِذَهَابِهَا وَالْأُخْرَى بِعَيْبِهَا، وهكذا جمع القاضي عياض بين روايات الحديث[5].

و-الكتابة التي بين عينيه:ومن العلامات التي يعرفه بها المؤمنون دون غيرهم أنه مكتوب بين عينيه كافر كما مر معنافي حديث أنس أن النبي - صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ- قال: (وإن بين عينيه مكتوب كافر)[6]، وعنه أيضاً أَنَّ نَبِيَّ الله - صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ-، قَالَ: (الدَّجَّالُ مَكْتُوبٌ بَيْنَ عَيْنَيْهِ " ك ف ر " أَيْ: كَافِرٌ)[7]، وهذه الكتابة يقرؤها كل مسلم

---

(1)- فتح الباري لابن حجر (13 / 97) ، مقاييس اللغة لابن فارس (4 / 480)، غريب الحديث لابن الجوزي (2 / 177)، النهاية لابن الأثير (3 / 415)

(2)- غريب الحديث لابن قتيبة (1 / 307)، الزاهر في معاني كلمات الناس لأبي بكر الأنباري (2 / 235)

(3)- فتح الباري لابن حجر (1 / 192)

(4)- لسان العرب (7 / 18) معجم اللغة العربية المعاصرة للدكتور احمد مختار (2 / 1443) المعجم الوسيط (1 / 108)

(5)- شرح مسلم للنووي (2 / 235)فتح الباري (13 / 97)

(6)- سبق تخريجه

(7)- رواه مسلم برقم (2931)

كاتب وغير كاتب فقد جاء عن بَعْض الصحابة أَنَّ رَسُولَ الله - صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -، قَالَ يَوْمَ حَذَّرَ النَّاسَ الدَّجَّالَ: (إِنَّهُ مَكْتُوبٌ بَيْنَ عَيْنَيْهِ كَافِرٌ، يَقْرَؤُهُ مَنْ كَرِهَ عَمَلَهُ، أَوْ يَقْرَؤُهُ كُلُّ مُؤْمِنٍ)[1]،وعند مسلم من حديث أَنَس: (يَقْرَؤُهُ كُلُّ مُسْلِمٍ)[2]وعنه أيضاً عند أحمد: (يَقْرَؤُهُ كُلُّ مُؤْمِنٍ أُمِّيٍّ أَوْ كَاتِبٍ)[3].

قال النووي: (الصَّحِيحُ الَّذِي عَلَيْهِ الْمُحَقِّقُونَ أَنَّ هَذِهِ الْكِتَابَةَ عَلَى ظَاهِرِهَا، وَأَنَّهَا كِتَابَةٌ حَقِيقَةٌ جَعَلَهَا اللهُ آيَةً وَعَلَامَةً مِنْ جُمْلَةِ الْعَلَامَاتِ الْقَاطِعَةِ بِكُفْرِهِ وَكَذِبِهِ وَإِبْطَالِهِ، وَيُظْهِرُهَا اللهُ تَعَالَى لِكُلِّ مُسْلِمٍ كَاتِبٍ وَغَيْرِ كَاتِبٍ، وَيُخْفِيهَا عَمَّنْ أَرَادَ شقاوته وفتنته ولا امتناع فِي ذَلِكَ ...)[4].

ز- ليس له عقب: ثبت عن أبي سعيد أن الرسول عليه الصلاة والسلام أخبر أن الدجال: (عَقِيمٌ لَا يُولَدُ لَهُ)[5].

فائدة: لما تكلم النبي - صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - عن أوصاف الدجال قال: (فاعلموا أن ربكم ليس بأعور، وأنكم لن تروا ربكم)[6] ومعنى ذلك: أن الله لا يُرى في هذه الدنيا ولا يقصد عدم الرؤية في الآخرة؛ وقد بين ذلك رواه بعض أصحاب النبي - صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أنه عليه الصلاة والسلام حذر من الدجال وقَالَ: (تَعَلَّمُوا أَنَّهُ لَنْ يَرَى أَحَدٌ مِنْكُمْ رَبَّهُ -عَزَّ وَجَلَّ- حَتَّى يَمُوتَ)[7]، وقد سبق معنا أيضاً في باب اَلْإِيمَانِ بِالنَّظَرِ

---

[1]- حديث صحيح أخرجه أحمد برقم (13145)

[2]- رواه مسلم برقم (2933)

[3]- حديث صحيح أخرجه أحمد برقم (13145)

[4]- شرح مسلم (18 / 60)

[5]- رواه مسلم برقم (2927)

[6]- سبق تخريجه

[7]- رواه مسلم برقم (2931)

إِلَى اَللهَّ أن المؤمنين يرون ربهم في الآخرة كما ثبت ذلك بالكتاب والسنة والإجماع خلافاً لبعض المبتدعة كالمعتزلة ونحوهم.

قال ابن حجر: (قوله: «ليس من بلد إلا سيطؤه الدجال» هو على ظاهره وعمومه عند الجمهور...)[1].

فصل : مكان خروجه:

يخرج الدجال من المشرق، من بلاد فارسية يقال لها: خراسان، ففي حديث أبي بكر الصديق أن رسول الله - صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ- قال: (إنّ الدّجال يخرج من أرض بالشرق، يقال لها: خراسان، يتبعه أقوام كأن وجوههم المَجَانّ المُطْرَقة)،وقوله: (المَجَانّ): جمع المِجَن وهو التُّرْس، و(المُطْرَقة)أي:المُجَلَّدَةُ طَبَقًا فَوْقَ طَبَقٍ، وشَبَّهَ وُجُوهَهُمْ بِالتِّرْسَةِ لِبَسْطِهَا وَتَدْوِيرِهَا وَبِالْمُطْرَقَةِ لِغِلَظِهَا وَكَثْرَةِ لَحْمِهَا[2]، قال النووي: وَمَعْنَاهُ تَشْبِيه وُجُوه التُّرْك فِي عرضهَا وتنوروجناتها بِالتِّرْسَةِ الْمُطْرَقَةِ[3].

وعندما يصل إلى مكان بين العراق والشام يعلم المسلمون أمره، فعن النواس بن سمعان أن النبي - صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ- قال: (إنه خارج خَلّةً بين الشام والعراق)[4].

فصل : إفساده في الأرض وفتنته للناس:

والدجال يفسد في الأرض قال عليه الصلاة والسلام عنه: (فَعَاثَ يَمِينًا وَعَاثَ شِمَالًا) أي: ويَبْعَثُ سَرَايَاهُ يَمِينًا وَشِمَالًا، وَلَا يَكْتَفِي بِالْإِفْسَادِ فِيمَا يَطَؤُهُ مِنَ الْبِلَادِ وَيَتَوَجَّهُ لَهُ مِنَ الْأَغْوَارِ وَالْأَنْجَادِ، فَلَا يَأْمَنُ مِنْ شَرِّهِ مُؤْمِنٌ، وَلَا يَخْلُو مِنْ فِتْنَتِهِ مَوْطِنٌ وَلَا

---

[1]- فتح الباري (4 / 96)

[2]- فتح الباري لابن حجر (6 / 608) تحفة الأحوذي للمباركفوري (6 / 382) حاشية السندي على سنن ابن ماجه (2 / 506)

[3]- شرح مسلم للنووي (18 / 36)

[4]- أخرجه مسلم برقم (2937)

مَأْمَنٌ[1]، وبينت السنة الصحيحة أن للدجال فتنة عظيمة حتى إن الرجل يأتيه ظاناً أن أمره لن يخفى عليه، وأن باطله لن يروج عليه، فعندما يرى ما عنده من مخاريق يتبعه، فعن عمران بن حصين أن رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قال: (من سمع بالدجال فلينأ عنه، فوالله إن الرجل ليأتيه وهو يحسب أنه مؤمن، فيتبعه، مما يبعث به من الشبهات، أو لما يبعث به من الشبهات)[2].

ومن فتنته أنه يدَّعي عند خروجه أنَّه رب العالمين، ويصدِّقه أقوام كثيرون، ويتبعه خلق عديدون، ويخرج معه من يهود أصبهان سبعون ألفاً، ويعطى خوارق مذهلة تفتن الناس فتنة عظيمة، ومن ذلك:

1- سرعة انتقاله في الأرض: ولما سأل الصحابة رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فقالوا : (يَا رَسُولَ اللهِّ! وَمَا إِسْرَاعُهُ فِي الْأَرْضِ ؟ فقال: كَالْغَيْثِ اسْتَدْبَرَتْهُ الرِّيحُ) أَيْ: يُسْرِعُ فِي الْأَرْضِ إِسْرَاعَ الْغَيْمِ اسْتَدْبَرَتْهُ الرِّيحُ.

2- جنته وناره: ومن فتنته أن معه جنة ونار أو ما يشبه نهراً من ماء، ونهراً من نار، فعن حذيفة عن النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قال في الدجال: (إن معه ماءً وناراً، فناره ماء بارد، وماؤه نار) زاد في رواية مسلم: (فلا تَهْلِكوا)[3]، وعنه أيضاَ أن الرسول - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قال: (معه جنة ونار، فناره جنة، وجنته نار)[4].

3- استجابة السماء والأرض والكنوز لأمره: فيمر بالمدن والقرى يدعو أهلها لاتباعه واعتقاد أنَّه الرب، فإن استجابوا له أمر السماء أن تمطر عليهم فتمطر، وأمر الأرض أن

---

[1]- مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح لعلي الملا القاري (8 / 3459) .

[2]- رواه أبوداود برقم (4319) وصححه الألباني .

[3]- مسلم برقم (2934)

[4]- رواه مسلم برقم (2934)

تنبت فتنبت وتخرج كنوزها، وتغدو ماشيتهم على أتم ما يكون من السمن وضرعها أحسن ما يكون من الدر،وإن امتنعوا أجدبت أرضهم وتضرروا، فقد قال -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-:(فَيَأْتِي عَلَى الْقَوْمِ فَيَدْعُوهُمْ فَيُؤْمِنُونَ بِهِ فَيَأْمُرُ السَّمَاءَ فَتُمْطِرُ وَالْأَرْضَ فَتُنْبِتُ فَتَرُوحُ عَلَيْهِمْ سَارِحَتُهُمْ أَطْوَلَ مَا كَانَتْ ذُرًى وَأَسْبَغَهُ ضُرُوعًا وَأَمَدَّهُ خَوَاصِرَ ثُمَّ يَأْتِي الْقَوْمَ فَيَدْعُوهُمْ فَيَرُدُّونَ عَلَيْهِ قَوْله فَيَنْصَرِف عَنْهُم فيصبحون ممحلين لَيْسَ بِأَيْدِيهِمْ شَيْءٌ مِنْ أَمْوَالِهِمْ وَيَمُرُّ بِالْخَرِبَةِ فَيَقُولُ لَهَا: أَخْرِجِي كُنُوزَكِ فَتَتْبَعُهُ كُنُوزُهَا كَيَعَاسِيبِ النَّحْلِ)[1].

معاني غريب الحديث:

(السارحة): الإبل والغنم، (الذُّرى): جمع ذروة، وهي أعلى السنام، (أسبغَ): أتمَّ، (الضُّروع): جمع الضرع وهو الثدي، أي: تعود إليهم ماشيتهم سماناً كثيرة الدر أكثر مما كانت قبل، (أمدَّه) أي: زاده،

(الخواصر): جمع خاصرة، وهي ما تحت الجنب وكونها أمدها كناية عن كثرة الأكل والامتلاء، (مُمْحِلين) أي: مُجدِبين، (أمحل): إذا دخل في الجدب؛ أي: القحط، (اليعاسيب): جمع يعسوب، وهو سيد النحل[2].

4- استعانته بالشياطين:

بينت السنة الصحيحة أن الدجال يستعين بالشياطين، ومن المعلوم أنها لا تخدم إلا من يكون في غاية الإفك والضلال،فعن أبي أمامة أن رسول الله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قال: (وَإِنَّ مِنْ فِتْنَتِهِ أَنَّ مَعَهُ شَيَاطِينَ تُمَثَّلُ لَهُ عَلَى صُوَرِ النَّاسِ، فَيَأْتِي الْأَعْرَابِيَّ فَيَقُولُ: أَرَأَيْتَ إِنْ

---

[1]- رواه مسلم برقم (2937)

[2]- المفاتيح شرح مشكاة المصابيح للمظهري الحنفي (5 / 421) شرح المصابيح لابن الملك الحنفي (5 / 568) .

بَعَثْتَ لَكَ أَبَاكَ وَأُمَّكَ، أَتَشْهَدُ أَنِّي رَبُّكَ؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ، فَتَمَثَّلَ لَهُ شَيَاطِينُهُ عَلَى صُورَةِ أَبِيهِ وَأُمِّهِ، فَيَقُولَانِ لَهُ: يَا بُنَيَّ اتَّبِعْهُ، فَإِنَّهُ رَبُّكَ...)[1].

5- قتله لرجل وإحياؤه له

ومن فتنته أنه يقتل ذلك الرجل المؤمن فيما يظهر للناس حتى يؤمنوا به ثم يدعي أنه أحياه؛ فعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: " يَخْرُجُ الدَّجَّالُ فَيَتَوَجَّهُ قِبَلَهُ رَجُلٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ، فَتَلْقَاهُ الْمَسَالِحُ - مَسَالِحُ الدَّجَّالِ - فَيَقُولُونَ لَهُ: أَيْنَ تَعْمِدُ؟ فَيَقُولُ: أَعْمِدُ إِلَى هَذَا الَّذِي خَرَجَ، قَالَ: فَيَقُولُونَ لَهُ: أَوَ مَا تُؤْمِنُ بِرَبِّنَا؟ فَيَقُولُ: مَا بِرَبِّنَا خَفَاءٌ، فَيَقُولُونَ: اقْتُلُوهُ، فَيَقُولُ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: أَلَيْسَ قَدْ نَهَاكُمْ رَبُّكُمْ أَنْ تَقْتُلُوا أَحَدًا دُونَهُ، قَالَ: فَيَنْطَلِقُونَ بِهِ إِلَى الدَّجَّالِ، فَإِذَا رَآهُ الْمُؤْمِنُ، قَالَ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ هَذَا الدَّجَّالُ الَّذِي ذَكَرَ رَسُولُ اللهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، قَالَ: فَيَأْمُرُ الدَّجَّالُ بِهِ فَيُشَبَّحُ، فَيَقُولُ: خُذُوهُ وَشُجُّوهُ، فَيُوسَعُ ظَهْرُهُ وَبَطْنُهُ ضَرْبًا، قَالَ: فَيَقُولُ: أَوَ مَا تُؤْمِنُ بِي؟ قَالَ: فَيَقُولُ: أَنْتَ الْمَسِيحُ الْكَذَّابُ، قَالَ: فَيُؤْمَرُ بِهِ فَيُؤْشَرُ بِالْمِئْشَارِ مِنْ مَفْرِقِهِ حَتَّى يُفَرَّقَ بَيْنَ رِجْلَيْهِ، قَالَ: ثُمَّ يَمْشِي الدَّجَّالُ بَيْنَ الْقِطْعَتَيْنِ، ثُمَّ يَقُولُ لَهُ: قُمْ، فَيَسْتَوِي قَائِمًا، قَالَ: ثُمَّ يَقُولُ لَهُ: أَتُؤْمِنُ بِي؟ فَيَقُولُ: مَا ازْدَدْتُ فِيكَ إِلَّا بَصِيرَةً، قَالَ: ثُمَّ يَقُولُ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّهُ لَا يَفْعَلُ بَعْدِي بِأَحَدٍ مِنَ النَّاسِ، قَالَ: فَيَأْخُذُهُ الدَّجَّالُ لِيَذْبَحَهُ، فَيُجْعَلَ مَا بَيْنَ رَقَبَتِهِ إِلَى تَرْقُوَتِهِ نُحَاسًا، فَلَا يَسْتَطِيعُ إِلَيْهِ سَبِيلًا، قَالَ: فَيَأْخُذُ بِيَدَيْهِ وَرِجْلَيْهِ فَيَقْذِفُ بِهِ، فَيَحْسِبُ النَّاسُ أَنَّمَا قَذَفَهُ إِلَى النَّارِ، وَإِنَّمَا أُلْقِيَ فِي الْجَنَّةِ " فَقَالَ رَسُولُ اللهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: (هَذَا أَعْظَمُ النَّاسِ شَهَادَةً عِنْدَ رَبِّ الْعَالَمِينَ)[2]، وفي لفظ: (فَيَخْرُجُ إِلَيْهِ يَوْمَئِذٍ رَجُلٌ، وَهُوَ خَيْرُ

---

[1]- رواه ابن ماجه برقم (4077) والحاكم برقم (8620) ونعيم بن حماد في الفتن (2 / 535) وصححه الألباني في صحيح الجامع (7875) .

[2]- أخرجه مسلم برقم (2938)

النَّاسِ – أَوْ مِنْ خِيَارِ النَّاسِ – فَيَقُولُ أَشْهَدُ أَنَّكَ الدَّجَّالُ الَّذِي حَدَّثَنَا رَسُولُ اللهَّ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ –، حَدِيثَهُ، فَيَقُولُ الدَّجَّالُ: أَرَأَيْتُمْ إِنْ قَتَلْتُ هَذَا، ثُمَّ أَحْيَيْتُهُ، هَلْ تَشُكُّونَ فِي الأَمْرِ؟ فَيَقُولُونَ: لاَ، فَيَقْتُلُهُ ثُمَّ يُحْيِيهِ، فَيَقُولُ: وَاللهَّ مَا كُنْتُ فِيكَ أَشَدَّ بَصِيرَةً مِنِّي اليَوْمَ، فَيُرِيدُ الدَّجَّالُ أَنْ يَقْتُلَهُ فَلاَ يُسَلَّطُ عَلَيْه)[1].

معاني غريب الحديث:

المسالح: قوم معهم سلاح يرتبون فى المراكز كالخفر أسموابِذَلِكَ لِحَمْلِهِمُ السِّلَاحَ.

فيشبح: أَيْ يُمد عَلَى بَطْنِهِ. شجوه: الشَّجِّ هُوَ الْجُرْحُ فِي الرَّأْسِ وَالْوَجْهُ.

المئشار: المنشار. التَّرْقُوَةُ: بِفَتْحِ التَّاءِ وَضَمِّ الْقَافِ وَهِيَ الْعَظْمُ الَّذِي بَيْنَ ثَغْرَةِ النَّحْرِ وَالْعَاتِقِ[2].

المعنى الإجمالي للحديث:

يخبر النبي – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – عن تلك الفتنة التي يحدثها الدجال حيث يتبعه خلق كثير ويعتقدون أنه ربهم، فيظهر لهم ذلك الرجل الذي يخبر النبي – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – أنه خير الناس وأعظمهم شهادة عند الله، وقد أنعم الله عليه بقوة الإيمان فيسخره الله لبيان كذب الدجال الأعور، حيث يعمد إلى مواجهة الدجال فيتصدى له قوم مسلحون من أتباع الدجال فيشير بعضهم على بعض بقتله، ثم يتذكروا أن الدجال قد أمرهم أن لا يقتلوا أحداً دون الرجوع إليه فينطلقوا بذلك الرجل المؤمن إلى مسيح الضلالة، فإذا رآه جزم وصرح بأنه الدجال الذي أخبر به النبي – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – لما شاهده من العلامات والصفات،فيؤمر الدجال بتعذيبه حتى يرغمه على الإيمان به فيثبته الله سبحانه، وتبعثه قوة إيمانه على مواجهة الباطل فيقول بكل شجاعة: أنت المسيح الكذاب، فيصر الدجال على

[1]- رواه البخاري برقم (7132) ومسلم برقم (2938)

[2]- شرح مسلم للنووي (18 / 74)

إكراهه وفتنته فيؤمر بقتله وقطعه بالمنشار نصفين ثم يعيده كما كان،ثم يأمره بالإيمان به فيزداد المؤمن يقيناً ويعلن بأن هذا مسيح الضلالة وما ازداد بفتنته إلا بصيرة،فيقوم الدجال بذبحه فلا يستطيع ذلك، فيأخذه ويقذفه فيحسب الناس أنه ألقاه في النار وإنما ألقاه في الجنة.

فصل: الدجال أهون على الله من أن يضل المؤمنين بهذه الخوارق التي تجري على يديه:

لما كانت فتنة الدجال عظيم خطرها حرص الصحابة على السؤال عنها فبين لهم الرسول عليه الصلاة والسلام أنه أضعف وأهون من أن يشكك المؤمنين بهذه الفتن، قال الْمُغِيرَةُ بْنُ شُعْبَةَ: مَا سَأَلَ أَحَدٌ النَّبِيَّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- عَنالدَّجَّالِ أَكْثَرَ مَا سَأَلْتُهُ، وَإِنَّهُ قَالَ لِي: «مَا يَضُرُّكَ مِنْهُ»، قُلْتُ: لِأَنَّهُمْ يَقُولُونَ: إِنَّ مَعَهُ جَبَلَ خُبْزٍ، وَنَهَرَ مَاءٍ، قَالَ: «هُوَ أَهْوَنُ عَلَى اللهِ مِنْ ذَلِكَ»[1]، قال القاضي عياض: مَعْنَاهُ هُوَ أَهْوَنُ مِنْ أَنْ يَجْعَلَ مَا يَخْلُقُهُ عَلَى يَدَيْهِ مُضِلًّا لِلْمُؤْمِنِينَ وَمُشَكِّكًا لِقُلُوبِ الْمُوقِنِينَ بَلْ لِيَزْدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا وَيَرْتَابَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَهُوَ مِثْلُ قَوْلِ الَّذِي يَقْتُلُهُ مَا كُنْتُ أَشَدَّ بَصِيرَةً مِنِّي فِيكَ لَا أَنَّ قَوْلَهُ هُوَ أَهْوَنُ عَلَى اللهِ مِنْ ذَلِكَ أَنَّهُ لَيْسَ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ مَعَهُ بَلِ الْمُرَادُ أَهْوَنُ مِنْ أَنْ يَجْعَلَ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ آيَةً عَلَى صِدْقِهِ وَلَا سِيَّمَا وَقَدْ جَعَلَ فِيهِ آيَةً ظَاهِرَةً فِي كَذِبِهِ وَكُفْرِهِ يَقْرَؤُهَا مَنْ قَرَأَ وَمَنْ لَا يَقْرَؤ زَائِدَةً عَلَى شَوَاهِدِ كَذِبِهِ مَنْ حَدَثِهِ وَنَقْصِهِ[2].

فصل: مدة بقاء الدجال بعد خروجه:

لقد بين الرسول -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- مدة مكثه في الأرض بعد خروجه، فعَنِ النَّوَّاسِ بْنِ سمْعَانَ ، قَالَ: ذَكَرَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- الدَّجَّالَ، وفيه: (قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ

---

(1)- رواه البخاري برقم (7122) واللفظ له ومسلم برقم (2939)

(2)- فتح الباري لابن حجر (13 / 94) شرح مسلم للنووي (18 / 74)

وَمَا لَبْثُهُ فِي الْأَرْضِ؟ قَالَ: "أَرْبَعُونَ يَوْمًا، يَوْمٌ كَسَنَةٍ، وَيَوْمٌ كَشَهْرٍ، وَيَوْمٌ كَجُمُعَةٍ، وَسَائِرُ أَيَّامِهِ كَأَيَّامِكُمْ" قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ فَذَلِكَ الْيَوْمُ الَّذِي كَسَنَةٍ، أَتَكْفِينَا فِيهِ صَلَاةُ يَوْمٍ؟ قَالَ: "لَا، اقْدُرُوا لَهُ قَدْرَهُ" قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ وَمَا إِسْرَاعُهُ فِي الْأَرْضِ؟ قَالَ: كَالْغَيْثِ اسْتَدْبَرَتْهُ الرِّيحُ)[1]، قَالَ النَّوَوِيُّ:[قَالَ الْعُلَمَاءُ هَذَا الْحَدِيثُ عَلَى ظَاهِرِهِ وَهَذِهِ الْأَيَّامُ الثَّلَاثَةُ طَوِيلَةٌ عَلَى هَذَا الْقَدْرِ الْمَذْكُورِ فِي الْحَدِيثِ يَدُلُّ عَلَيْهِ قَوْلُهُ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -:(وَسَائِرُ أَيَّامِهِ كَأَيَّامِكُمْ)][2]،وطول هذه الأيام الثلاثة من الأمور الخارقة التي تكون في ذلك الزمان، والله سبحانه على كلِّ شيء قدير، فكما نرى أن الدورة اليومية منقسمة على أربع وعشرين ساعة، ويزيد في أحدهما، وينقص من الآخر، فيمكن أن يطوَّلَ سبحانه فيزيد في يوم واحد أجزاء السنة، ويكون اليوم بقدر سنة[3].

- وقوله (وَلَكِنِ اقْدُرُوا لَهُ):هو حُكْمٌ مَخْصُوصٌ بِذَلِكَ الْيَوْمِ شَرَعَهُ لَنَا صَاحِبُ الشَّرْعِ، ولَوْلَا هَذَا الْحَدِيثُ وَوُكِلْنَا إِلَى اجْتِهَادِنَا لَاقْتَصَرْنَا فِيهِ عَلَى الصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ عِنْدَ الْأَوْقَاتِ الْمَعْرُوفَةِ فِي غَيْرِهِ مِنَ الْأَيَّامِ[4].

وَمَعْنَى(اقْدُرُوا لَهُ):صلوا الصلوات الخمس على الهيئة التي كنتم تصلون، بمعنى أنكم تصلون الفجر، ثم تقدرون مدة ما كنتم تصلون الظهر، وهكذا، فتكون هذه السنة بعدد الأيام إلا أنها بمثابة يوم واحد، فالشمس موجودة، والناس يشاهدونها، وتمكث سنة كاملة لا تغرب، فالرسول - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أرشدهم إلى أن يحصل منهم التقدير

---

[1]- رواه مسلم برقم (2937)

[2]- شرح مسلم للنووي (18 / 66)

[3]- المفاتيح في شرح مشكاة المصابيح للمظهري الحنفي (5 / 420)الناشر: دار النوادر، الطبعة: الأولى، 1433 هـ - 2012 م ، مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح لعلي الملا القاري (8 / 3459) دار الفكر، بيروت – لبنانالطبعة: الأولى، 1422هـ - 2002م

[4]- إكمال المعلم بفوائد مسلم للقاضي عياض (18 / 484)

ليعرفوا مقدار ما بين كل صلاتين، فإذا صلوا الصلاة ينتظرون حتى يمضي مدة ما بينها وبين التي تليها ثم يصلونها، وهكذا حتى يمضي هذا اليوم الذي مقداره سنة وَيكون قَدْ وَقَعَ فِيهِ صَلَوَاتُ سَنَةٍ فَرَائِضُ كُلُّهَا مُؤَدَّاةٌ فِي وَقْتِهَا، ومثله اليوم الذي كشهر، ومثله اليوم الذي كالجمعة، فكلها على نفس التقدير.

– ومن فوائد الحديث:حرص الصحابة على الخير، إذ سألوا عن أمر دينهم،ولو كان غيرهم ربما سأل عن أمور أخرى، ومنها: اهتمامهم بأمر الصلاة مما يدل على عظيم شأنها ورفيع منزلتها في الإسلام.

فصل: أتباعه:المسيح الدَّجال الأعور الكذّاب هو الملك الذي ينتظر اليهود خروجه، ليحكموا العالم في عهده، فعن عثمان بن أبي العاص، أن الرسول – صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ– قال: (أكثر أتباع الدّجال اليهود والنساء)[1]، وفي حديث أنس بن مالك قال:قالالرسولعليه الصلاة والسلام: (يتبع الدّجال من يهود أصبهان سبعون ألفاً، عليهم الطيالسة)[2]. والطيالسة:جمع طيلسان، ثوب يلبس على الكتف يحيط بالبدن ينسج للبس خال من التفصيل والخياطة وله علمٌ، وهو شبه الأردية[3].

قال العلامة السفاريني: (اسْمُ الدَّجَّالِ عِنْدَ الْيَهُودِ الْمَسِيحُ بْنُ دَاوُدَ قَالُوا يَخْرُجُ آخِرَ الزَّمَانِ فَيَبْلُغُ سُلْطَانُهُ الْبَرَّ وَالْبَحْرَ وَتَسِيرُ مَعَهُ الْأَنْهَارُ قَالُوا وَهُوَ آيَةٌ مِنْ آيَاتِ اللهَّ قَالَ وَيَرُدُّ الْمُلْكَ إِلَيْنَا وَقَدْ كَذَبُوا فِي زَعْمِهِمْ بَلْ هُوَ مَسِيحُ الضَّلَالَةِ الدَّجَّالُ الْكَذَّابُ وَأَمَّا مَسِيحُ الْهُدَى فَعِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ – عَلَيْهِٱلسَّلَامُ – وَاللهَّ أَعْلَم)[4].

---

[1]- أخرجه أحمد (17900)

[2]- رواه مسلم برقم (2944)

[3]- مشارق الأنوار لعياض السبتي (1 / 324) ذخيرة العقبى للعلامة الأثيوبي (39 / 52)،وانظر ترتيب مسلم لمحمد فؤاد عبدالباقي

[4]- لوامع الأنوار البهية (2 / 112)

فصل: سبل النجاة من فتنته:

إن المعصوم من الفتن من عصمه الله سبحانه، ولكن النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أرشدنا للأخذ ببعض الأسباب للنجاة من خطر هذه الفتنة العظيمة، وهذه الوصايا والإرشادات نذكر منها:

أ- الوصية بالثبات: أمامما يظهر من خوارق العادات وما ينزل بالمؤمن من العقوبات، فقد قال عليه الصلاة والسلام لما ذكر الدجال: (إِنَّهُ خَارِجٌ خَلَّةً (أي: طريق) بَيْنَ الشَّأْمِ وَالْعِرَاقِ، فَعَاثَ يَمِينًا وَعَاثَ شِمَالًا، يَا عِبَادَ الله فَاثْبُتُوا)[1]، أي: اثبتوا يومئذ على ما أنتم عليه الآن من الإيمان، ولا تتبعوا اللعين، ولو فعل بكم من العقوبات[2]، وهذا الأمر تسليةٌ لقلوب من ابتلي بزمانه، وتنجيةٌ لمن امتثل بأمره، وثبت على دينه[3].

ب- قراءة فواتح سورة الكهف وآخرها عليه: فقد جاء في حديث النواس بن سمعان أن النبي عليه الصلاة والسلام قال: (فمن أدركه منكم، فليقرأْ عليه فواتحَ سورة الكهف)،وعَن أَبِي الدَّرْدَاءِ عن النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قال: (مَنْ حَفِظَ عَشْرَ آيَاتٍ مِنْ أَوَّلِ سورة الكهف عُصِمَ مِنَ الدَّجَّالِ) رواه مسلم، وفي لفظ له: (من آخر سورة الكهف)[4]، وعند النَّسَائِيِّ: (مَنْ قَرَأَ الْعَشْرَ الْأَوَاخِرَ مِنَ الْكَهْفِ عُصِمَ مِنْ فِتْنَةِ الدَّجَّالِ)[5].

---

[1]- رواه مسلم برقم (2937)

[2]- شرح مشكاة المصابيح لابن الملك الحنفي (5 / 567)

[3]- المفاتيح شرح مشكاة المصابيح للمظهري الحنفي (5 / 419)

[4]- رواه مسلم برقم (809)

[5]- السنن الكبرى برقم (10720)

والجمع بينها: أن يحتاط الإنسان فيقرأ ويحفظ عشراً من أولها، وعشراً من آخرها[1].

مسألة : ماالحكمة من تخصيص أول الآيات من سورة الكهف للعصمة من فتنته:

التخصيصُ به دون سائر السور تعبديٌّ لا يُعقَل معناه، وقيل: لأن فواتحها مشتملة على قصة أصحاب الكهف، فإنهم لَمَّا التجؤوا إلى الله تعالى، وفرُّوا بدينهم إليه من شرِّ دقيانوس الجبار، أكرمهم الله بتلك الكرامة، فقِرَاءَتُهَا أَمَانٌ لَهُ مِنْ فِتْنَتِهِ، كَمَا أَمِنَ تِلْكَ الْفِتْيَةُ.وفيه تنبيهٌ على أن المؤمن قد يُبتلى بالظَّلَمة، ويصبر على دينه مع ظلم الظالم، فلا يرى ابتلاءه بالمسيح الدجَّال بدعةً في نفسه دون بقية المؤمنين[2].

تنبيه: جاء في بعض الروايات: (فليقرأ عليه بفواتح سورة الكهف؛ فإنها جِوازِكم):وهو الصكُّ الذي يأخذه المسافر من السلطان أو نوابه؛ لئلا يتعرض له المترصدةُ في الطريق. وفي بعضها: (جواركم)أي: أمان لكم.

ج- الاستعاذة بالله تعالى من شر فتنته، والإكثار منها؛ لا سيما في التشهد الأخير في الصلاة فقد قال رسول الله - صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ-: (إذا فرغ أحدكم من التشهد الآخر؛ فليستعذ بالله من أربع، يقول: اللهم إني أعوذ بك من عذاب جهنم، ومن عذاب القبر ومن فتنة المحيا والممات، ومن شر فتنة المسيح الدجال)[3].

---

[1]- الشرح الممتع للعلامة ابن عثيمين (5 / 93)

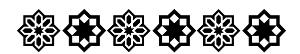
[2]- الكاشف عن حقائق السنن للطيبي (11 / 3453) مرقاة المصابيح (8 / 3457) المفاتيح شرح المصابيح (5 / 419)

[3]- رواه البخاري برقم (1377) ومسلم برقم (588) من حديث أبي هريرة -رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ -

د -أن يبتعد عنه، ولا يتعرض له؛ إلا إن كان يعلم من نفسه أن لن يضره لثقته بربه، ومعرفته بعلاماته التي وصفه النبي - صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ -بها؛ لقوله عليه الصلاة والسلام: (من سمع بالدجال فلينأ عنه)[1].

ه- أن يسكن مكة والمدينة، فإنهما حرمان آمنان منه؛ فعن أنس قال: قال رسول الله - صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ -: (ليس من بلد إلا سيطؤه الدجال إلا مكة والمدينة، ليس له من نقابها نقب إلا عليه الملائكة صافين يحرسونها، ثم ترجف المدينة بأهلها ثلاث رجفات فيخرج الله كل كافر ومنافق)[2].

هلاك الدجال: وبعد أربعين يوماً ثلاثة منها طويلة مع شدتها وعظيم خطرها ينزل مسيح الهداية عيسى - عَلَيْهِٱلسَّلَامُ - فيقتل مسيح الضلالة الأعور الدجال على ما سيأتي بيانه في الدرس القادم إن شاء الله تعالى.



[1]- سبق تخريجه

[2]- رواه البخاري برقم (1881)

التقويم

س1- المسيح الدجال فتنته عظيمة حذر منها كل الأنبياء، تكلم عن ذلك ؟ واذكر سبب تسميته؟

س2- ورد في السنة الصحيحة أوصاف كثيرة للدجال، ناقش ذلك مدعماً إجابتك بالأدلة؟

س3- أهل السنة يؤمنون بأن المؤمنين يرون ربهم، فكيف نوفق بين ذلك وقول رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - في الدجال: (فاعلموا أن ربكم ليس بأعور، وأنكم لن تروا ربكم)؟

س4- ذكر النبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - بعض الوصايا لمن أراد النجاة من فتنة الدجال، ناقش ذلك ؟

س5- ما الحكمة من تخصيص الآيات من سورة الكهف لقراءتها على الدجال ؟

س6- ما مدة بقاء الدجال ؟ومن يتبعه من الناس ؟

س7- سأل الصحابة رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - عن أداء الصلاة في هذه أيام الدجال الطويلة والتي يكون بعضها كالسنة فأجابهم بقوله: (اقدروا له)، فما معنى ذلك ؟

س8- الدجال أهون على الله من أن يضل المؤمنين بهذه الخوارق التي تجري على يديه، ناقش ذلك ؟

س9- اذكر الخوارق التي تجري على يد الدجال ليفتن بها الناس؟

س10-من أين يخرج الدجال ؟ وما مدى الفساد الذي يحصل على يديه ؟

س11- اذكر معاني مفردات التالية:

السارحة - الذُّرى - أسبغَ -الضُّروع - أمدَّه - الخواصر-مُمْحِلين - اليعاسيب

المسالح - فيشبح - الشَّجِّ - التَّرْقُوَةُ - المَجَانّ -المُطْرَقة- أفحج - أزهر

س12- اذكر الفرق بين كلمتي (جوازكم وجواركم) ؟



الدرس الثامن عشر
باب فِي اَلْإِيمَان بِنُزُول عِيسَى وَقَتْلِهِ اَلدَّجَّال

قَالَ مُحَمَّدٌ: وَأَهْلُ اَلسُّنَّةِ يُؤْمِنُونَ بِنُزُولِ عِيسَى وَقَتْلِهِ اَلدَّجَّالَ وَقَالَ -عَزَّوَجَلَّ-: ﴿وَإِنَّهُۥ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ﴾ [الزخرف: 61].

يَعْنِي عِيسَى، وَقَالَ: ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ﴾ [النساء: 159].

يَعْنِي: قَبْلَ مَوْتِ عِيسَى.

حَدَّثَنِي إِسْحَاقُ عَنْ أَحْمَدَ عَنْ اِبْنِ وَضَّاحٍ، عَنْ اِبْنِ أَبِي شَيْبَةَ قَالَ: حَدَّثَنَا اَلْحَسَنُ بْنُ مُوسَى قَالَ: حَدَّثَنَا شَيْبَانُ، عَنْ يَحْيَى بْنِ أَبِي كَثِيرٍ، عَنْ اَلْحَضْرَمِيِّ بْنِ لَاحِقٍ عَنْ أَبِي صَالِحٍ، عَنْ عَائِشَةَ أُمِّ اَلْمُؤْمِنِينَ - رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا -قَالَتْ: دَخَلَ رَسُولُ اَللَّهِ - صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ- وَرَآنِي أَبْكِي فَقَالَ: مَا يُبْكِيكِ؟ قُلْتُ: يَا رَسُولَ اَللهِ ذَكَرْتُ اَلدَّجَّالَ، قَالَ: (لَا تَبْكِي فَإِنْ يَخْرُجْ وَأَنَا حَيٌّ أَكْفِيكُمُوهُ، وَإِنْ أَمُتْ فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَيْسَ بِأَعْوَرَ، وَإِنَّهُ يَخْرُجُ مَعَهُ يَهُودُ أَصْبَهَانَ، فَيَسِيرُ حَتَّى يَنْزِلَ بِنَاحِيَةِ اَلْمَدِينَةِ، وَلَهَا يَوْمَئِذٍ سَبْعَةُ أَبْوَابٍ، عَلَى كُلِّ باب مَلَكَانِ، فَيَخْرُجُ إِلَيْهِ شِرَارُ أَهْلِهَا فَيَنْطَلِقَ حَتَّى يَاتِيَ لُدٍّ فَيَنْزِلَ عِيسَى فَيَقْتُلَهُ ثُمَّ يَمْكُثُ عِيسَى فِي اَلْأَرْضِ أَرْبَعِينَ سَنَةً أَوْ قَرِيبًا مِنْهُ إِمَامًا عَدْلًا وَحَكَمًا مُقْسِطًا). حديث حسن

الشرح

من علامات الساعة الكبرى التي يؤمن بها أهل السنة: نزول عيسى - عَلَيْهِٱلسَّلَامُ - وقتله المسيح الدجال.

فصل: سبب تسمية عيسى - عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ - بالمسيح:

سمي عيسى – عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ – بالمسيح؛ لأنه كان لا يمسح بيده ذا عاهة إلا برئ،وقيل: لأنه كان سائحاً في الأرض لا يستقر، وقيل: المسيح الصديق وسمي بذلك لصدقه، وقيل: لأنه خرج من بطن أمه ممسوحا بالدهن،وقيل: لأنه كان أمسح الرجل لا أخمص له[1].

فصل :عيسى رفعه الله وهو حي ولم يقتل ولم يصلب:

كَانَ مِنْ خَبَرِ الْيَهُودِ –عَلَيْهِمْ لَعَائِنُ اللهَّ وَسُخْطِهِ وَغَضَبِهِ وَعِقَابِهِ–أَنَّهُ لَمَّا بَعَثَ اللهُّ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ بِالْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى، حَسَدُوهُ عَلَى مَا آتَاهُ اللهُّ مِنَ النُّبُوَّةِ وَالْمُعْجِزَاتِ الْبَاهِرَاتِ، الَّتِي كَانَ يُبْرِئُ بِهَا الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَيُحْيِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللهَّ، وَيُصَوِّرُ مِنَ الطِّينِ طَائِرًا ثُمَّ يَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَائِرًا يشاهَدُ طَيَرَانُهُ بِإِذْنِ اللهَّ –عَزَّوَجَلَّ– إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْمُعْجِزَاتِ الَّتِي أَكْرَمَهُ اللهُّ بِهَا وَأَجْرَاهَا عَلَى يَدَيْهِ، وَمَعَ هَذَا كَذَّبُوهُ وَخَالَفُوهُ، وسَعَوْا فِي أَذَاهُ بِكُلِّ مَا أَمْكَنَهُمْ، حَتَّى جَعَلَ نَبِيُّ اللهَّ عِيسَى - عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ – لَا يُسَاكِنُهُمْ فِي بَلْدَةٍ، بَلْ يُكْثِرُ السِّيَاحَةَ هُوَ وَأُمُّهُ[2].

وقد ذكر الله في كتابه زعمهم أنهم قتلوا عيسى – عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ – قال سبحانه: ﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ ۚ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ ۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا ﴿١٥٧﴾ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٥٨﴾﴾ [النساء].

المعنى الإجمالي للآية: " وفي هذه الآية يخبر الله عَنْ مَلَأِ بَنِي إِسْرَائِيلَ فِيمَا هَمُّوا بِهِ مِنَ الْفَتْكِ بِعِيسَى – عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ –، وَإِرَادَتِهِ بِالسُّوءِ والصَّلب، حيث مالؤوا عَلَيْهِ وَوَشَوا بِهِ إِلَى مَلِكِ ذَلِكَ الزَّمَانِ وَكَانَ كَافِرًا، فأخبروه أَنَّ هَاهُنَا رَجُلًا يُضِلُّ النَّاسَ وَيَصُدُّهُمْ عَنْ طَاعَةِ

---

[1]- النهاية لابن الأثير (326/4)

[2]- تفسير ابن كثير (2 / 448)

الْمَلِكِ،وَيُفَرِّقُ بَيْنَ الْأَبِ وَابْنِهِ إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا تَقَلَّدُوهُ فِي رِقَابِهِمْ وَرَمَوْهُ بِهِ مِنَ الْكَذِبِ، وَأَنَّهُ وَلَدُ زَانِيَةٍ حَتَّى اسْتَثَارُوا غَضَبَ الْمَلِكِ، فَبَعَثَ فِي طَلَبِهِ مَنْ يَأْخُذُهُ وَيَصْلُبُهُ ويُنَكّل بِهِ، فَلَمَّا أَحَاطُوا بِمَنْزِلِهِ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ ظَفروا بِهِ، نَجَّاهُ اللهُ مِنْ بَيْنِهِمْ، وَرَفَعَهُ مِنْ ذَلِكَ الْبَيْتِ إِلَى السَّمَاءِ، وَأَلْقَى اللهُ شَبَهَهُ عَلَى رَجُلٍ مِمَّنْ كَانَ عِنْدَهُ فِي الْمَنْزِلِ، فَلَمَّا دَخَلَ أُولَئِكَ اعْتَقَدُوهُ فِي ظُلْمَةِ اللَّيْلِ عِيسَى - عَلَيْهِ السَّلَامُ -، فَأَخَذُوهُ وَأَهَانُوهُ وَصَلَبُوهُ، وَوَضَعُوا عَلَى رَأْسِهِ الشَّوْكَ. وَكَانَ هَذَا مِنْ مَكْرِ اللهَّ بِهِمْ، فَإِنَّهُ نَجَّى نَبِيَّهُ وَرَفَعَهُ مِنْ بَيْنِ أَظْهُرِهِمْ، وَتَرَكَهُمْ فِي ضَلَالِهِمْ يَعْمَهُونَ، يَعْتَقِدُونَ أَنَّهُمْ قَدْ ظَفِرُوا بطَلَبتِهِم، وَأَسْكَنَ اللهُ فِي قُلُوبِهِمْ قَسْوَةً وَعِنَادًا لِلْحَقِّ مُلَازِمًا لَهُمْ، وَأَوْرَثَهُمْ ذِلَّةً لَا تُفَارِقُهُمْ إِلَى يَوْمِ التَّنَادِ؛ وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى﴿وَمَكَرُوا۟ وَمَكَرَ ٱللَّهُ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ﴾ [آل عمران].

وقد ذكرالله سبحانه في مواضع من القرآن أن عيسى - عَلَيْهِ السَّلَامُ - لم يقتل ولم يصلب بل رفعه الله إليه منها قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ فَوْقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٥٥﴾﴾ [آل عمران].

وقد اختلف المفسرون في معنى الوفاة فقال بعضهم: الوفاة بمعنى النوم وَمِثْلُهُ قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيْلِ﴾ [الأنعام: 60].

قال الشوكاني: (وَإِنَّمَا احْتَاجَ الْمُفَسِّرُونَ إِلَى تَأْوِيلِ الْوَفَاةِ بِمَا ذُكِرَ، لِأَنَّ الصَّحِيحَ أَنَّ اللهَّ رَفَعَهُ إِلَى السَّمَاءِ مِنْ غَيْرِ وَفَاةٍ، كَمَا رَجَّحَهُ كَثِيرٌ مِنَ الْمُفَسِّرِينَ، وَاخْتَارَهُ ابْنُ جَرِيرٍ الطَّبَرِيُّ، وَوَجْهُ ذَلِكَ أَنَّهُ قَدْ صَحَّ فِي الْأَخْبَارِ عَنِ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - نُزُولُهُ وَقَتْلُهُ الدَّجَّالَ)[1].

---

[1]- فتح القدير (1 / 395)

نزول عيسى - عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ - قبل الساعة:

أخبر الله تعالى في آيتين من كتابه وأشار في ثالثة إلى أن عيسى سينزل في آخر الزمان، وأن نزوله سيكون علامة دالة على قرب وقوع الساعة:

– وأول هذه الآيات الآية التي ذكرها المصنف وهي قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ﴾ [الزخرف: 61].

جاء عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ -رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ - عَنِ النَّبِيِّ - صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أنه قال في هذه الآية: (نُزُولُ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مِنْ قَبْلِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ)[1].

– وأما الآية الثانية فهي قوله تعالى: ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴿١٥٩﴾﴾ [النساء].

قال ابن عباس: (خروج عيسى ابن مريم صلوات الله عليه)[2]، وقال أيضاً : (أَنَّهُ سَيُدْرِكُ أُنَاسٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ حِينَ يُبْعَثُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا)[3]، وكذلك فسرها أبوهريرة بنزول عيسى – عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ –[4]، وقال الحسن البصري في هذه الآية: (قَبْلَ مَوْتِ عِيسَى، وَاللَّهِ إِنَّهُ الْآنَ حَيٌّ عِنْدَ اللَّهِ، وَلَكِنْ إِذَا نَزَلَ آمَنُوا بِهِ أَجْمَعُونَ)[5].

المعنى الإجمالي للآية: يخبر سبحانه عن أَهْلِ الْكِتَابِ أنهم سيؤمنون بِعِيسَى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ - - قَبْلَ مَوْتِه، وَذَلِكَ عِنْدَ نُزُولِهِ مِنَ السَّمَاءِ فِي آخِرِ الزَّمَانِ فَلَا يَبْقَى أَحَدٌ إِلَّا آمَنَ بِهِ

---

[1]- أخرجه ابن حبان برقم (6817) والحاكم (2 / 278) وصححه الألباني في التعليقات الحسان (9 / 451) وانظر الصحيحة (6 / 632)

[2]- أخرجه الحاكم (2 / 338) وقال: هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ وَلَمْ يُخْرِجَاهُ ووافقه الذهبي

[3]- أخرجه الآجري في الشريعة (3 / 1325)

[4]- أخرجه البخاري برقم (3448) ومسلم برقم (155)

[5]- أخرجه الطبري في تفسيره (9 / 380) ورجاله ثقات

حَتَّى تَكُونَ الْمِلَّةُ وَاحِدَةً، مِلَّةُ الْإِسْلَامِ[1]، وهي صريحة الدلالة على أن عيسى لم يمت وأن الله طهره من أيدي اليهود الأثيمة ورفعه الله بروحه وجسده[2].

قال الشوكاني: (وَالْمُرَادُ: الْإِيمَانُ بِهِ عِنْدَ نُزُولِهِ فِي آخِرِ الزَّمَانِ، كَمَا وَرَدَتْ بِذَلِكَ الْأَحَادِيثُ الْمُتَوَاتِرَةُ)[3].

- وأما الآية التي أشارت إلى نزول عيسى - عَلَيْهِ السَّلَامُ - فهي قول الله تعالى: ﴿فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّىٰ إِذَا أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً حَتَّىٰ تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا﴾ [محمد: 4].

قال مجاهد: (حتى ينزل عيسى ابن مريم عليه الصلاة والسلام) قال ابن كثير معلقاً: (وكأنه أخذه من قوله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: (لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق حتى يقاتل آخرهم الدجال)[4]، ولعل معناها يبينه ما جاء عن أبي هريرة عن النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -؛ قال: (يوشك من عاش منكم أن يلقى عيسى ابن مريم إماما مهديا وحكما عدلا، فيكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية، وتضع الحرب أوزارها)[5].

المعنى الإجمالي للآية: أثخنوا المشركين بالقتل والأسر، حتى يدخل أهل الملل كلها في الإسلام، ويكون الدين كله لله، فلا يكون بعده جهاد ولا قتال، وذلك عند نزول عيسى ابن مريم عليهما السلام)[6].

وأما الأحاديث الدالة على نزول عيسى فهي متواترة كما قال الشوكاني وغيره وسيأتي ذكر بعضها.

---

(1)- تفسير البغوي (2 / 308) تفسير الطبري (2 / 452)

(2)- الرد العلمي البليغ على من أنكر رفع المسيح (ص56)

(3)- فتح القدير (1 / 616)

(4)- تفسير ابن كثير (308/7)

(5)- رواه أحمد برقم (2268)

(6)-تفسير البغوي(279/7)

فصل : مكان نزول عيسى - عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ - ووقته وصفته عند نزوله:

ينزل - عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ - عند المنارة البيضاء شرقي دمشق، فعن النواس بن سمعان، قال: قال رسول الله - صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: (بينما هو كذلك إذ بعث الله المسيح ابن مريم، فينزل عيسى ابن مريم عند المنارة البيضاء شرقي دمشق)[1]، وقد وصفه النبي - صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - في تلك الحالة فجاءعن أبي هريرة قال: قال رسول الله - صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: (ليس بيني وبين عيسى نبي، وإنه نازل، فإذا رأيتموه فاعرفوه، رجل مربوع، إلى الحمرة والبياض، ينزل بين ممصرتين، كأن رأسه يقطر، وإن لم يصبه بلل)[2].

معني غريب الحديث:

قوله (رجل مربوع): ليس بالطويل ولا بالقصير، وقوله: (إلى الحمرة والبياض) لونه بياض مشرب بحمرة. قوله: (بين ممصرتين) يعني: ثياباً صفراً ليست صفرتها شديدة.

قوله: (كأن رأسه يقطر وإن لم يصبه بلل)يعني: يكاد يقطر بدون بلل؛ وذلك لنظافته ووضاءته.

فبينما يتجهز المسلمون لقتال الدجال إذ حضر وقت صلاة الصبح وتقدمهم رجل صالح وفي تلك اللحظة ينزل عيسى - عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ - وبيان ذلك ما جاء عن النبي - صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أنه قال: (إمامهم رجل صالح، فبينما إمامهم قد تقدم يصلي بهم الصبح، إذ نزل عليهم عيسى ابن مريم الصبح، فرجع ذلك الإمام ينكص، يمشي القهقرى ليتقدم عيسى، فيضع عيسى يده بين كتفيه، ثم يقول له: تقدم فصلِّ، فإنها لك أقيمت، فيصل

[1]- رواه مسلم برقم (2937)

[2]- رواه أبوداود(4323)

بهم إمامهم)[1]، وفي حديث أبي هريرةعن النبي عليه الصلاة والسلام قال: (فبينما هم يعدون للقتال، يسوون الصفوف، إذ أقيمت الصلاة فينزل عيسى ابن مريم، فأمهم)[2] وليس المراد أمهم في الصلاة؛ لأنه سيرفض ذلك وإنما المقصود قادهم بكتاب الله،فعن جابر بن عبد الله أنه سمع رسول الله – صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – يقول: (لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق ظاهرين إلى يوم القيامة، قال: فينزل عيسى ابن مريم، فيقول أميرهم: تعال صل بنا، فيقول: لا، إن بعضكم على بعض أمراء، تكرمة الله هذه الأمة)[3].

فصل : مدة بقاء المسيح عيسى - عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ - بعد نزوله:

بينت السنة الصحيحة أن عيسى يبقى بعد نزوله إلى الأرض أربعون عاماً، كما جاء في حديث أبي هريرة أن النبي – صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – قال: " فيمكث في الأرض أربعين سنة، ثم يتوفى، ويصلي عليه المسلمون)[4].

يقوم بأعمال جليلة في تلك الفترة ويصلي إلى قبلة المسلمين، وقد مر معنا أمر صلاته وراء ذلك الرجل الصالح عند نزوله، وينشر الإسلام والتوحيد ويحارب الشرك ويحج البيت الحرام ملبياً ومهللاً فعن أبي هريرة قال: قال رسول الله – صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ –: (والذي نفسي بيده، ليهلنَّ ابن مريم بفج الروحاء، حاجاً ومعتمراً، أو ليثنينهما

[1]- رواه ابن ماجه (4477)

[2]- رواه مسلم برقم (2897)

[3]- رواه مسلم برقم (156)

[4]- رواه أبوداود برقم (4286)

)[1].والروحاء: مكان بين المدينة ووادي الصفراء في طريق مكة على نحو أربعين ميلاً من المدينة أو ستة وثلاثين أو ثلاثين[2].

ويبقى معه في هذه الفترة جماعة من المؤمنين يصحبونه وقد أشار النبي - صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- إلى فضلهم كما جاء في حديث ثوبان، عن النبي - صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، قال: (عصابتان من أمتي أحرزهما الله من النار، عصابة تغزو الهند، وعصابة تكون مع عيسى ابن مريم)[3]

فصل : الأحداث التي تحصل في مدة بقاء عيسى - عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ -:

1- قتل مسيح الهدى لمسيح الضلالة الدجال

بين النبي - صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أن الدجال يفسد في الأرض إفساداً عظيماً وتعظم فتنته ويضيق الأمر بالمسلمين،حتى ينزل عيسى - عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ - فيقتل الدجال عند باب لد، وبيان ذلك ما جاء عن أبي أمامة أن رسول الله - صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قال: (فإذا انصرف، قال عيسى: افتحوا الباب، فيفتحون ووراءه الدجال، معه سبعون ألف يهودي، كلهم ذو سيف محلى وساج، فإذا نظر إليه الدجال ذاب كما يذوب الملح في الماء وينطلق هارباً ... ، فيدركه عند باب لد الشرقي، فيقتله، فيهزم الله اليهود...)[4]. وعن أبي هريرة أن الرسول - صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أخبر عن نزول عيسى وصلاته معهم ثم قال: (فإذا رآه عدو

---

[1]- رواه مسلم برقم (1252)

[2]- لوامع الأنوار البهية (113/2)

[3]- رواه النسائي (3175)

[4]- أخرجه الحاكم (8508)

الله، ذاب كما يذوب الملح في الماء، فلو تركه لذاب حتى يهلك، ولكن يقتله الله بيده، فيريهم دمه ي حربته)[1].

2- قتل أتباع الدجال

ومما يجريه على يد عيسى - عَلَيْهِ السَّلَامُ - ومن معه من المؤمنين هزيمة الدجال ومن معه من اليهود وقتل أتباعه جميعاً، فعن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: (يخرج الدجال في خفقة من الدين وإدبار من العلم، فذكر الحديث وفيه :" ثم ينزل عيسى ابن مريم، فينادي من السحر، فيقول: يا أيها الناس! ما يمنعكم أن تخرجوا إلى الكذاب الخبيث؟ فيقولون: هذا رجل جني. فينطلقون؛ فإذا هم بعيسى ابن مريم - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -، فتقام الصلاة، فيقال له: تقدم يا روح الله. فيقول: ليتقدم إمامكم فليصل بكم. فإذا صلى صلاة الصبح؛ خرجوا إليه. قال: "فحين يراه الكذاب؛ ينماث كما ينماث الملح في الماء، فيمشي إليه، فيقتله، حتى إن الشجر والحجر ينادي: يا روح الله! هذا يهودي، فلا يترك ممن كان يتبعه أحدا إلا قتله")[2].

3 – نشر الإسلام والعدل والقضاء على الأديان المحرفة

يَنْزِلُ عيسى حاكما بهذه الشريعة لا ينزل نبيا بِرِسَالَةٍ مُسْتَقِلَّةٍ وَشَرِيعَةٍ نَاسِخَةٍ بَلْ هُوَ حَاكِمٌ مِنْ حُكَّامِ هَذِهِ الْأُمَّةِ ويكون عادلاً يَكْسرَ الصليب حَقِيقَةً وَيُبْطِلَ مَا يَزْعُمُهُ النَّصَارَى مِنْ تَعْظِيمِهِ ولا يقبل الجزية بل يردها فإما الإسلام أو القتل، وتَكْثُرُ رَغْبَة الناس فِي الصَّلَاةِ وَسَائِرِ الطَّاعَاتِ لقصر آمالهم وعلمهم بِقُرْبِ الْقِيَامَةِ وَقِلَّةِ رَغْبَتِهِمْ فِي الدُّنْيَا لِعَدَمِ الْحَاجَةِ إِلَيْهَا؛ فعن أبي هريرة -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - ، قال: قال رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: (والذي نفسي بيده، ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكماً عدلاً،

---

(1)- رواه مسلم (2897)

(2)- رواه أحمد (14953)

فيكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الحرب، ويفيض المال، حتى لا يقبله أحد، حتى تكون السجدة الواحدة خيراً من الدنيا وما فيها)[1]، وفي رواية عند مسلم عن أبي هريرة عن النبي عليه الصلاة والسلام قال: (والله لينزلن ابن مريم حكماً عدلاً، فليكسرن الصليب، وليقتلن الخنزير، وليضعن الجزية ...)[2]، وعنه أيضاً عند أحمد : (فيدق الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية، ويدعو الناس إلى الإسلام، ويهلك الله في زمانه الملل كلها إلا الإسلام ...)[3].

4 – تكثر الخيرات وتنزل البركات

ومن الأمور التي تحصل في زمانه أن يكثر المال ويفيض بسبب العدل وَعَدَمِ التَّظَالُمِ وَتَقِيءُ الْأَرْضُ أَفْلَاذَ كَبِدِهَا كَمَا جَاءَ فِي الْحَدِيثِ الْآخَرِ وَتَقِلُّ أَيْضًا الرَّغَبَاتُ لِقِصَرِ الْآمَالِ وَعِلْمِهِمْ بِقُرْبِ السَّاعَةِ فَإِنَّ عِيسَى - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- عَلَمٌ مِنْ أَعْلَامِ السَّاعَةِ وقد جاء في حديث أبي هريرة قوله عليه الصلاة والسلام: (.. ولتتركن القلاص، فلا يسعى عليها، ولتذهبن الشحناء والتباغض والتحاسد، وليُدْعونَّ إلى المال فلا يقبله أحد)[4]

والقلاص: الْقِلَاصُ بِكَسْرِ الْقَافِ جَمْعُ قَلُوصٍ وَهِيَ مِنَ الْإِبِلِ وَمَعْنَاهُ أَنْ يُزْهَدَ فِيهَا وَلَا يُرْغَبُ فِي اقْتِنَائِهَا لِكَثْرَةِ الْأَمْوَالِ وَالْعِلْمِ بِقُرْبِ الْقِيَامَةِ وَإِنَّمَا ذُكِرَتِ الْقِلَاصُ لِكَوْنِهَا أَشْرَفَ الْإِبِلِ الَّتِي هِيَ أَنْفَسُ الْأَمْوَالِ عِنْدَ الْعَرَبِ[5].

---

(1)- رواه البخاري برقم (2222) ومسلم برقم (155)

(2)- رواه مسلم برقم (155)

(3)- رواه أحمد (9268)

(4)- الحديث السابق

(5)- شرح مسلم للنووي (2 / 192)

وعن أبي أمامة أن الرسول عليه الصلاة والسلام قال: (وتسلب قريش ملكها، وتكون الأرض كفاثور الفضة، تنبت نباتها بعهد آدم، حتى يجتمع النفر على القطف من العنب فيشبعهم، ويجتمع النفر على الرمانة فتشبعهم ..)[1]، وقد مر معنا في حديث أبي هريرة قوله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: (ويفيض المال).

5 – نشر الأمن والأمان والمحبة والوئام

وقد جاء في حديث أبي هريرة أن النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ذكر عيسى -عَلَيْهِ السَّلَامُ- فقال: (..ويهلك الله في زمانه المسيح الدجال ثم تقع الأمانة على الأرض، حتى ترتع الأسود مع الإبل، والنمار مع البقر، والذئاب مع الغنم، ويلعب الصبيان بالحيات لا تضرهم، فيمكث أربعين سنة، ثم يتوفى ويصلي عليه ك

وفي رواية: (ويرجع السلم، وتتخذ السيوف مناجل، وتذهب حمة كل ذات حمة، وتنزل السماء رزقها، وتخرج الأرض بركتها، حتى يلعب الصبي بالثعبان فلا يضره، ويراعي الغنم الذئب فلا يضرها، ويراعي الأسد البقر فلا يضرها)، وعنه أيضاً أن النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قال: (طوبى لعيش بعد المسيح يؤذن للسماء في القطر ويؤذن للأرض في النبات حتى لوبذرت حبك على الصفا لنبت وحتى يمر الرجل على الأسد فلا يضره ويطأ على الحية فلا تضره ولا تشاح ولا تحاسد ولا تباغض)[2].

---

[1]- رواه ابن ماجه (4077)

[2]- صححه الألباني في صحيح الجامع الصغير برقم (3918)

معاني غريب الحديث:

(المناجل): جمع منجل، وهو الآلة التي يقطع بها الحشيش ويحصد بها الزرع، أراد أن الناس يتركون الجهاد ويشتغلون بالحرث والزراعة.[1] (وتذهب حمة كل ذات حمة): أي: ينزع سم كل دابة ذات سم.

6 – الدعاءعلى ياجوج وماجوج

ويخرج في زمانه ياجوج وماجوج فيفسدون في الأرض إفساداً عظيماً، فيدعو عيسى ربه، فيستجيب له، ويصبحون موتى، لا يبقى منهم أحد، وفي حديث النواس بن سمعان الطويل الذي ذكر فيه الدجال ونزول عيسى، وخروج يأجوج ومأجوج، وفي ختامه ذكر الرسول – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – دعاء عيسى ربه عندما يشتد عليهم الأمر، فيستجيب الله، ويهلك يأجوج ومأجوج، ثم يقول: " ثم يهبط نبي الله عيسى وأصحابه إلى الأرض، فلا يجدون في الأرض موضع شبر إلا ملأه زهمهم ونتنهم، فيرغب نبي الله عيسى وأصحابه إلى الله، فيرسل الله عليهم طيراً كأعناق البخت فتحملهم، فتطرحهم حيث شاء الله، ثم يرسل مطراً، لا يُكَنُّ منه بيت مدر ولا وبر، فيغسل الأرض حتى يتركها كالزلقة، ثم يقال للأرض: أنبتي

ثمرتك، وردي بركتك، فيومئذ تأكل العصابة من الرمانة، ويستظلون بقحفها، ويبارك في الرِّسْل، حتى إن اللقحة من الإبل لتكفي الفئام من الناس، واللقحة من البقر لتكفي القبيلة من الناس، واللقحة من الغنم لتكفي الفخذ من الناس).

---

[1] - لسان العرب لابن منظور (647/11) النهاية لابن الأثير (23/5)

معاني غريب الحديث:

(زهمهم): هُوَ بِفَتْحِ الْهَاءِ أَيْ دَسْمُهُمْ وَرَائِحَتُهُمُ الْكَرِيهَةُ. (كأعناق البخت): الجمال الطويلة.

(الْمَدَرُ): وَهُوَ الطِّينُ الصُّلْبُ. (الزلقة): المرآة شبَّهَهَا بِالْمِرْآةِ فِي صَفَائِهَا وَنَظَافَتِهَا.

(العصابة):الجماعة.(قِحفها): هُوَ مُقَعَّرُ قِشْرِهَا شَبَّهَهَا بِقِحْفِ الرَّأْسِ وَهُوَ الَّذِي فَوْقَ الدِّمَاغِ.

الرِّسْلُ:بِكَسْرِ الرَّاءِ وَإِسْكَانِ السِّينِ هُوَ اللَّبَنُ. (اللقحة): وَهِيَ الْقَرِيبَةُ الْعَهْدِ بِالْوِلَادَةِ وَجَمْعُهَا لِقَحٌ

(الفئام): الجماعة الكثيرة. (الْفَخْذُ): الْجَمَاعَةُ مِنَ الْأَقَارِبِ وَهُمْ دُونَ الْبَطْنِ وَالْبَطْنُ دون القبيلة[1].



[1]- شرح مسلم للنووي (18 / 70)

التقويم

س1- لماذا سمي عيسى - عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ - بالمسيح؟

س2- أهل السنة يؤمنون بأن عيسى رفعه الله وهو حي ولم يقتل ولم يصلب، ناقش ذلك؟

س3- اذكر الأدلة على نزول عيسى - عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ - قبل الساعة؟

س4- مكان نزول عيسى - عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ - ووقته وصفته عند نزوله؟

س5- ما هي مدة عيسى - عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ - بعد نزوله؟

س6- تكلم عن قتل عيسى - عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ - للدجال ولأتباعه؟

س7- يقوم عيسى - عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ - بعد نزوله ببعض الأعمال، وضح ذلك؟

س8-تكثر الخيرات وتنزل البركات زمن عيسى - عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ -، ناقش ذلك؟

س9- اذكر معاني المفردات التالية:

زهمهم - كأعناق البخت - الْمَدَرُ - الزلقة - العصابة - قِحفها - الرِّسْلُ - اللقحة - الفئام - الْفَخْذُ

المناجل - القلاص.



الدرس التاسع عشر
باب فِي اَلْإِيمَان بالْقَدَرِ

قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْد اللهَّ: وَمِنْ قَوْلِ أَهْلِ اَلسُّنَّةِ: أَنَّ اَلْمَقَادِيرَ كُلَّهَا خَيْرَهَا وَشَرَّهَا حُلْوَهَا وَمُرَّهَا مِنَ اَللهَّ -عَزَّوَجَلَّ- فَإِنَّهُ خلقَ اَلْخَلْقَ وَقَدْ عَلِمَ مَا يَعْمَلُونَ وَمَا إِلَيْهِ يَصِيرُونَ، فَلَا مَانِعَ لِمَا أَعْطَى، وَلَا مُعْطِيَ لِمَا مَنَعَ وَقَال تَبَارَكَ وَتَعَالَى وَهُوَ أَصْدَقُ اَلْقَائِلِينَ: ﴿أَلَا لَهُ ٱلۡخَلۡقُ وَٱلۡأَمۡرُ﴾]الأعراف: 54]،وَقَالَ: ﴿وَكَانَ أَمۡرُ ٱللَّهِ قَدَرٗا مَّقۡدُورًا ٣٨﴾ [الأحزاب]، وَقَالَ: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيۡءٍ خَلَقۡنَٰهُ بِقَدَرٖ ٤٩﴾ [القمر]،وَقَالَ: ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا﴾ التوبة: 51] ،وَقَالَ: ﴿وَنَبۡلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلۡخَيۡرِ فِتۡنَةٗ﴾ [الأنبياء: 35]،وَقَالَ: ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيۡنَ ٱلۡمَرۡءِ وَقَلۡبِهِۦ﴾ [الأنفال: 24]. ،وَقَالَ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ حَقَّتۡ عَلَيۡهِمۡ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ ٩٦﴾ [يونس]. ، وَقَالَ: ﴿وَلَوۡ شِئۡنَا لَأٓتَيۡنَا كُلَّ نَفۡسٍ هُدَىٰهَا﴾ [السجدة: 13]، وَقَالَ: ﴿إِن تَحۡرِصۡ عَلَىٰ هُدَىٰهُمۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي مَن يُضِلُّ﴾ [النحل: 37].مِثْلُ هَذَا فِي اَلْقُرْآنِ كَثِيرٌ.

وَحَدَّثَنِي إِسْحَاقُ عَنْ أَسْلَمَ بْنِ عَبْد الْعَزِيزِ عَنْ يُونُسَ بْنِ عَبْد الْأَعْلَى، عَنْ عَبْدِ الله بْنِ وَهْبٍ قَالَ: أَخْبَرَنِي مُعَاوِيَةُ ابْنُ صَالِحٍ، عَنْ رَاشِدِ بْنِ سَعْدٍ قَالَ: حَدَّثَنِي عَبْد الرَّحْمَنِ بْنُ قَتَادَةَ اَلسُّلَمِيُّ أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اَللهَّ - صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ- يَقُولُ: خَلَقَ اَللهُّ آدَمَ ثُمَّ أَخَذَ اَلْخَلْقَ مِنْ ظَهْرِهِ، فَقَالَ: هَؤُلَاءِ فِي اَلْجَنَّةِ وَلَا أُبَالِي، وَهَؤُلَاءِ فِي اَلنَّارِ وَلَا أُبَالِي قَالَ قَائِلٌ: يَا رَسُولَ اَللهَّ فَعَلَى مَاذَا نَعْمَلُ؟ قَالَ: عَلَى مَوَاقِعِ اَلْقَدَرِ. حديث صحيح

قال ابْنُ وَهْبٍ قَالَ: وَأَخْبَرَنِي أَبُو هَانِئٍ اَلْخَوْلَانِيُّ عَنْ أَبِي عَبْد الرَّحْمَنِ الْحُبُلِيِّ عَنْ عَبْدِ الله بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اَللهَّ - صَلَّاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ-يَقُولُ: كَتَبَ اَللهُّ مَقَادِيرَ اَلْخَلَائِقِ كُلَّهَا قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ اَلسَّمَاوَاتِ وَالْأَرْض بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ وَعَرْشُهُ عَلَى اَلْمَاءِ حديث صحيح

قال ابنُ وَهْبٍ وَحَدَّثَنِي سَعِيدُ بْنُ عبد الرحمن، عَنْ أَبِي حَازِمٍ، عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ اَلسَّاعِدِيِّ أَنَّ رَسُولَ اَللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ: إِنَّ اَلرَّجُلَ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ اَلْجَنَّةِ فِيمَا يَبْدُو لِلنَّاسِ، وَإِنَّهُ لَمِنْ أَهْلِ اَلنَّارِ، وَإِنَّ اَلرَّجُلَ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ اَلنَّارِ فِيمَا يَبْدُو لِلنَّاسِ وَإِنَّهُ لَمِنْ أَهْلِ اَلْجَنَّةِ حديث صحيح

قال ابْنُ وَهْبٍ وَحَدَّثَنِي اِبْنُ لَهِيعَةَ عَنْ يَزِيدَ بْنِ أَبِي حَبِيبٍ عَنْ عُبَيْدِ بْنِ أَبِي طَلْحَةَ اَلْمَكِّيِّ أَنَّ أَبَا اَلطُّفَيْلِ اَلْبَكْرِيَّ أَخْبَرَهُ أَنَّهُ سَمِعَ اِبْنَ مَسْعُودٍ يَقُولُ: إِنَّ اَلشَّقِيَّ مَنْ شَقِيَ فِي بَطْنِ أُمِّهِ، وَالسَّعِيدَ مَنْ وُعِظَ بِغَيْرِهِ فَقُلْتُ: كَيْفَ يَشْقَى مَنْ لَمْ يَعْمَلْ؟ فَلَقِيتُ حُذَيْفَةَ بْنَ أُسَيْدٍ اَلْغِفَارِيَّ فَأَخْبَرْتُهُ بِمَا قَالَ اِبْنُ مَسْعُودٍ فَقَالَ لِي: سَمِعْتُ رَسُولَ اَللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يَقُولُ: إِنَّ اَللَّهَ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَخْلُقَ اَلْعَبْدَ قَالَ اَلْمَلَكُ: يَا رَبَّنَا ذَكَرٌ أَمْ أُنْثَى؟ فَيَقُولُ اَلرَّبُّ مَا شَاءَ وَيَكْتُبُ اَلْمَلَكُ، ثُمَّ يَقُولُ اَلْمَلَكُ رَبَّنَا شَقِيٌّ أَمْ سَعِيدٌ فَيَقُولُ اَلرَّبُّ مَا شَاءَ وَيَكْتُبُ، ثُمَّ يَقُولُ اَلْمَلَكُ رَبَّنَا مَا (...) فَيَقُولُ اَلرَّبُّ مَا شَاءَ، ثُمَّ يَقُولُ اَلْمَلَكُ: مَا رِزْقُهُ؟ فَيَقُولُ اَلرَّبُّ مَا شَاءَ وَيَكْتُبُ اَلْمَلَكُ، ثُمَّ يَقُولُ يَا رَبَّنَا مَا أَجَلُهُ؟

فَيَقُولُ اَلرَّبُّ مَا شَاءَ وَيَكْتُبُ اَلْمَلَكُ حديث صحيح

الشرح

فصل : تعريف القدر لغة وشرعا

القدر لغة: من التقدير يقال قدرت شيئاً لأقدره تقديراً إذا أحطت بمقداره وعلمته[1].

شرعاً: تقدير الله سبحانه كل ما في الكون تقديراً يسبق وقوعها وفق علمه بها وكتابته في اللوح المحفوظ.

---

[1]- مقاييس اللغة لابن فارس (5 / 62)

والإيمان بالقدر هو أحد أركان الإيمان الستة التي لا يكون العبد مؤمناً حقيقة الإيمان حتى يستجمعها كلها، ولذا لما جاء خبر القدرية إلى الصحابي عبدالله بن عمر فقيل له عنهم أنهم يقولون: (لا قدر، وأن الأمر أنف) أنه لم يسبق قدر، فلم يسبق كتابة وتقدير، ولم يسبق علم بالأشياء التي يأتي بها الناس، وأن العباد يخلقون أفعالهم.

فأجاب أولاً ببيان منزلة هؤلاء وحالهم فقال: (أَخْبِرْهُمْ أَنِّي بَرِيءٌ مِنْهُمْ، وَأَنَّهُمْ بُرَآءُ مِنِّي)ثم بين أنّ من لا يؤمن بالقدر فلا يقبل منه شيء من العمل فقال: (وَالَّذِي يَحْلِفُ بِهِ عَبْدُ اللهِ بْنُ عُمَرَ «لَوْ أَنَّ لِأَحَدِهِمْ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا، فَأَنْفَقَهُ مَا قَبِلَ اللهُ مِنْهُ حَتَّى يُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ)، واستدل على الإيمان بالقدر بحديث: (الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره)[1]، فهؤلاء أنكروا أصلاً من أصول الدين وركناً من أركان الإيمان التي من جحد بعضها فهو كافر.

فصل : مراتب القدر:

المرتبة الأولى: العلم وهي الإيمان بعلم الله الأزلي الذي لا بداية له، فالله تعالى ليس له بداية، وليس لعلمه بداية، والله تعالى علم كل ما هو كائن، علم الله تعالى ذلك في الأزل قبل أن يخلق اللوح المحفوظ قال تعالى: ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدۡ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عِلۡمَۢا ١٢﴾ [الطلاق].

المرتبة الثانية: الكتابة في اللوح المحفوظ، فقد خلق الله تعالى اللوح المحفوظ، وخلق القلم فأمره بكتابة كل ما هو كائن إلى يوم القيامة، وقد جرى القلم بكتابة ما هو كائن، وذلك قبل خلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة، يقول الله تعالى: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ﴾ [الحديد: 22]. ويقول سبحانه : ﴿ كُلّٞ فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ ٦﴾ [هود].

---

[1]- رواه مسلم برقم (1)

وكما جاء في الحديث الذي ذكره المصنف قَالَ رَسُول اَللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: (كَتَبَ اَللَّهُ مَقَادِيرَ اَلْخَلَائِقِ كُلَّهَا قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ اَلسَّمَاوَاتِ وَالْأَرْض بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ وَعَرْشُهُ عَلَى اَلْمَاءِ)[1].

ويدل على ذلك أيضاً الحديث الآخر الذي ذكره عن عَبْد الرَّحْمَنِ بْن قَتَادَةَ اَلسُّلَمِي أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اَللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يَقُولُ: (خَلَقَ اَللَّهُ آدَمَ ثُمَّ أَخَذَ اَلْخَلْقَ مِنْ ظَهْرِهِ، فَقَالَ: هَؤُلَاءِ فِي اَلْجَنَّةِ وَلَا أُبَالِي، وَهَؤُلَاءِ فِي اَلنَّارِ وَلَا أُبَالِي قَالَ قَائِلٌ: يَا رَسُولَ اَللَّهِ فَعَلَى مَاذَا نَعْمَلُ؟ قَالَ: عَلَى مَوَاقِعِ اَلْقَدَرِ)[2]، فبين عليه الصلاة والسلام أن كل المقادير كتبها الله سبحانه وتعالى، ومع ذلك أمر بالعمل وثبتت الأحاديث بالنهي عن ترك العمل اتكالاً على ما سبق من القدر بل تجب الأعمال والتكاليف التي ورد بها الشرع وكل ميسر لما خلق له لا يقدر على غيره فمن كان من أهل السعادة يسره الله لعمل أهل السعادة ومن كان من أهل الشقاوة يسره الله لعمل أهل الشقاوة كما في الحديث وقال الله تعالى: ﴿فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ۝٧﴾ [الليل]، وقال سبحانه: ﴿فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ ۝١٠﴾ [الليل:].

فكل الأمور بقدر الله سبحانه ولكن الله نصب لعباده العلامات التي تدل على السعادة والنجاة في الدنيا والآخرة فمن اهتدى بها وسلك سبيلها كان من أهل السعادة وكذلك نصب لهم علامات تدل على المحظور فمن سلك سبيلها كان من أهل الشقاوة، وكل ذلك علمه الله أزلاً وكتبه وقضاه وقدره.

كما يدل عليه ما ذكره المصنف (- رَحِمَهُ اللَّهُ -) عن سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ اَلسَّاعِدِيِّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَنَّ رَسُولَ اَللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ: (إِنَّ اَلرَّجُلَ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ اَلْجَنَّةِ فِيمَا يَبْدُو لِلنَّاسِ، وَإِنَّهُ لَمِنْ أَهْلِ اَلنَّارِ، وَإِنَّ اَلرَّجُلَ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ اَلنَّارِ فِيمَا يَبْدُو لِلنَّاسِ وَإِنَّهُ لَمِنْ

---

[1]- رواه مسلم (2653)

[2]- رواه أحمد (17660) وانظرالصحيحة (1 / 113)

أَهْلِ اَلْجَنَّةِ)، (وفي هذا الحديث إثبات القدر كما هو مذهب أهل السنة وأن جميع الواقعات بقضاء الله وقدره خيرها وشرها نفعها وضرها قال تعالى: ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ۝٢٣﴾ [الأنبياء].

وفيه: بيان الأعمال، وأنها تكون مضافة إلى الإنسان، وأنهم يثابون عليها ويعاقبون، وأنها تكون بمشيئتهم وإرادتهم، وأن القدر لا بد منه، وأنه المقدر لا بد منه؛ ولهذا تكون مشيئة العبد تابعة لمشيئة الله، وليست مستقلة عنها.

وكذلك ما ذكره عن أَبِي اَلطُّفَيْلِ اَلْبَكْرِي أَنَّهُ سَمِعَ اِبْنَ مَسْعُودٍ يَقُولُ: إِنَّ اَلشَّقِيَّ مَنْ شَقِيَ فِي بَطْنِ أُمِّهِ، وَالسَّعِيدَ مَنْ وُعِظَ بِغَيْرِهِ فَقُلْتُ: كَيْفَ يَشْقَى مَنْ لَمْ يَعْمَلْ؟ فَلَقِيتُ حُذَيْفَةَ بْنَ أُسَيْدٍ اَلْغِفَارِيَّ فَأَخْبَرْتُهُ بِمَا قَالَ اِبْنُ مَسْعُودٍ فَقَالَ لِي: سَمِعْتُ رَسُولَ اَللَّهِ -صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يَقُولُ: إِنَّ اَللَّهَ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَخْلُقَ اَلْعَبْدَ ...).

وقد دلَّ الحديث على أنَّ الإنسانَ يعمل العملَ الذي فيه سعادته أو شقاوته بمشيئته وإرادته، وأنَّه بذلك لا يخرج عن مشيئة الله وإرادته، وهو مخيَّرٌ باعتبار أنَّه يعمل باختياره،ومسيَّرٌ بمعنى أنَّه لا يحصل منه شيء لم يشأه الله.

المرتبة الثالثة: الإرادة والمشيئة، وهي الإيمان بأن ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن قال تعالى: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢٩﴾ [التكوير].

المرتبة الرابعة: الخلق والإيجاد طبقاً لما علمه أزلاً، وطبقاً لما كتبه في اللوح المحفوظ ولما شاء الله -عَزَّوَجَلَّ-، والله تعالى هو خالق العباد، وخالق أفعال العباد، قال الله -عَزَّوَجَلَّ-: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ۝٩٦﴾ [الصافات].

مثال على ما سبق: وجودنا في مكان معين مجتمعين، فالهيئة التي نكون عليها والكيفية قد سبق بها علم الله تعالى أزلاً، فقد سبق علمه تعالى بأننا سنجتمع في ذلك الوقت وفي هذا المكان، وكتب الله ذلك في اللوح المحفوظ، وشاء الله أن نجتمع، ثم حصل اجتماعنا

وأوجد الله ذلك الذي علمه وكتبه وشاءه، فتجتمع هذه الأمور الأربعة في كل مقدر.وهذا قول أهل السنة والجماعة ويدل عليه الكتاب والسنة والإجماع،

مسألة :الطوائف التي ضلت في القدر

وقد خالفت طوائف من أهل البدع منهج أهل السنة والجماعة في الإيمان بمراتب القدر، وهم على أصناف:

الصنف الأول: من أنكر المرتبة الأولى وهي العلم وهؤلاء هم القدرية النفاة فهؤلاء فعلهم ينافي أصل التوحيد ويخرجهم من الإسلام، وكذلك من ينكر المرتبة الثانية وهي الكتابة فهذا إنكاره مناف لأصل التوحيد.

الصنف الثاني: من أنكر المرتبتين الأخيرتين عموم المشيئة وعموم الخلق وهذا مذهب المعتزلة ونحوهم وهذا ينافي كمال التوحيد ولا يحكم على صاحبه بالكفر والخروج من الإسلام وإن حكم عليهم بالضلالة والبدعة.

وقد قال المصنف في بداية هذا الدرس: (من قول أهل السنة: أن المقادير كلها ...) ليبين أن هناك من خالف في هذا الباب وهم على فريقين:

الأول: من يبطل أمر الله ونهيه بقضائه وقدره كالذين قالوا: ﴿لَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشۡرَكۡنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا﴾ [الأنعام: 148].

الثاني: من ينكر قضاءه وقدره السابق.

والطائفتان خصماء الله؛ لأن الله قدر أقداراً وخلق الخلق بقدر وقسم الآجال والأرزاق والبلاء والعافية بقدر وأمر ونهى فمن كذب بالقدر كذب بالإسلام قال الإمام أحمد: القدر قدرة الله.

فصل المعاني الإجمالية للآيات التي ذكرها المصنف:

• الآية الأولى: ﴿أَلَا لَهُ ٱلۡخَلۡقُ وَٱلۡأَمۡرُ﴾ [الأعراف: 54].

ومعنى ذلك أنه الخلق الذي صدرت عنه جميع المخلوقات علويها وسفليها، أعيانها وأوصافها وأفعالها والأمر المتضمن للشرائع والنبوات فالخلق: يتضمن أحكامه الكونية القدرية، والأمر: يتضمن أحكامه الدينية الشرعية، وثم أحكام الجزاء، وذلك يكون في دار البقاء[1].

• الآية الثانية: ﴿وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا ﴿٣٨﴾﴾ [الأحزاب].

إن الله كان علمه معه قبل أن يخلق الأشياء كلها، فأتمه في علمه أن يخلق خلقا، ويأمرهم وينهاهم، ويجعل ثوابا لأهل طاعته، وعقابا لأهل معصيته، فلما ائتمر ذلك الأمر قدره، فلما قدره كتب وغاب عليه؛ فسماه الغيب وأم الكتاب، وخلق الخلق على ذلك الكتاب أرزاقهم وآجالهم وأعمالهم، وما يصيبهم من الأشياء من الرخاء والشدة من الكتاب الذي كتبه أنه يصيبهم ويحصل لهم[2].

• الآية الثالثة: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾﴾ [القمر].

والمعنى أَنَّ كُلَّ شَيْءٍ مِنَ الْأَشْيَاءِ خلقه الله سبحانه متلبسا بِقَدَرٍ قَدَّرَهُ وَقَضَاءٍ قَضَاهُ سَبَقَ فِي عِلْمِهِ، مَكْتُوبٌ فِي اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ قَبْلَ وُقُوعِهِ[3].

• الآية الرابعة: ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا﴾ [التوبة: 51].

أي: قدره وأجراه في اللوح المحفوظ فهو متولي أمورنا الدينية والدنيوية، فعلينا الرضا بأقداره وليس في أيدينا من الأمر شيء[4].

• الآية الخامسة: ﴿وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً﴾ [الأنبياء: 35].

---

[1]- تفسير السعدي (ص291)

[2]- تفسير الطبري (20 / 276)

[3]- فتح القدير للشوكاني (5 /155)

[4]- تفسير السعدي (ص339)

قال الطبري: (يقول تعالى ذكره ونختبركم أيها الناس بالشر وهو الشدة نبتليكم بها، وبالخير وهو الرخاء والسعة العافية فنفتنكم به)[1].وكل هذه الابتلاءات والاختبارات قدرها الله وكتبها على عباده وأمرهم بالصبر عليها.

• الآية السادسة: ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ﴾ [الأنفال: 24].

هَذَا مِنْ بَابِ الْإِخْبَارِ مِنَ اللهِ -عَزَّوَجَلَّ-، بِأَنَّهُ أَمْلَكُ لِقُلُوبِ عِبَادِهِ مِنْهُمْ، وَأَنَّهُ يَحُولُ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَهَا إِذَا شَاءَ، حَتَّى لَا يُدْرِكَ الْإِنْسَانُ شَيْئًا إِلَّا بِمَشِيئَتِهِ -عَزَّوَجَلَّ-[2].

• الآية السابعة: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٩٦﴾﴾ [يونس].

أي: إنهم من الضالين الغاوين أهل النار، لا بد أن يصيروا إلى ما قدره الله وقضاه، فلا يؤمنون ولو جاءتهم كل آية، فلا تزيدهم الآيات إلا طغيانا، وغيا إلى غيهم.وما ظلمهم الله، ولكن ظلموا أنفسهم بردهم للحق، لما جاءهم أول مرة، فعاقبهم الله، بأن طبع على قلوبهم وأسماعهم، وأبصارهم، فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الأليم، الذي وعدوا به، فحينئذ يعلمون حق اليقين، أن ما هم عليه هو الضلال، وأن ما جاءتهم به الرسل هو الحق. ولكن في وقت لا يجدي عليهم إيمانهم شيئًا، فيومئذ لا ينفع الذين ظلموا معذرتهم، ولا هم يستعتبون[3].

• الآية الثامنة: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَءَاتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَىٰهَا﴾ [السجدة: 13].

---

[1]- تفسير الطبري (18 / 439)

[2]- فتح القدير للشوكاني (2 / 342)

[3]- تفسير السعدي (ص374)

كل هذا بقضاء الله وقدره، حيث خلى بينهم وبين الكفر والمعاصي، فلو شاء الله لهدى الناس كلهم، وجمعهم على الهدى، فمشيئته صالحة لذلك، ولكن الحكمة تأبى أن يكونوا كلهم على الهدى[1].

• الآية التاسعة: ﴿إِن تَحْرِصْ عَلَىٰ هُدَىٰهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَن يُضِلُّ﴾[النحل: 37].

" ذَكَرَ -جَلَّ وَعَلَا- فِي هَذِهِ الْآيَةِ: أَنَّ حِرْصَ النَّبِيِّ - صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - عَلَى إِسْلَامِ قَوْمِهِ لَا يَهْدِي مَنْ سَبَقَ فِي عِلْمِ اللَّهِ أَنَّهُ شَقِيٌّ، وَأَوْضَحَ هَذَا الْمَعْنَى فِي مَوَاضِعَ أُخَرَ ؛ كَقَوْلِهِ: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿٥٦﴾﴾[القصص].

، وَقَوْلِهِ: ﴿وَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ فِتْنَتَهُۥ فَلَن تَمْلِكَ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَمْ يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ﴾ [المائدة: 41] ..."[2].

❁❁❁❁❁❁

---

[1]- المصدر السابق (ص654)

[2]- أضواء البيان للشنقيطي (2 / 376)

التقويم

س1- عرف القدر لغة وشرعاً؟ وما هي منزلة الإيمان بالقدر؟

س2- تكلم عن مراتب القدر؟

س3- ضلت طوائف في مراتب القدر، ناقش ذلك؟

س4- المخالفون في باب الإيمان القدر فريقان، اذكرهما؟

س5- اذكر آيتين في القدر واشرحهما بإيجاز؟



الدرس العشرون
باب اَلْإِيمَانَ قَوْلٌ وَعَمَلٌ

وَمِنْ قَوْلِ أَهْلِ اَلسُّنَّةِ أَنَّ اَلْإِيمَانَ إِخْلَاص للهِّ بِالْقُلُوبِ وَشَهَادَةٌ بِالْأَلْسِنَةِ وَعَمَلٌ بِالْجَوَارِحِ، عَلَى نِيَّةٍ حَسَنَةٍ وَإِصَابَةِ اَلسُّنَّةِ.

قَالَ -عَزَّوَجَلَّ-: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿١٥﴾﴾ [الحجرات].

وَقَالَ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: 111].ثُمَّ وَصَفَهُمْ بِأَعْمَالِهِمْ فَقَالَ: ﴿ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلْعَٰبِدُونَ ٱلْحَٰمِدُونَ ٱلسَّٰٓئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّٰجِدُونَ ٱلْءَامِرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱلْحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾﴾ [التوبة].وَقَالَ ﴿فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّوا۟ سَبِيلَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥﴾﴾ [التوبة]،وَقَالَ ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾[فاطر: 10].وَالْإِيمَانُ بِاللهَّ هُوَ بِاللِّسَانِ وَالْقَلْبِ وَتَصْدِيق ذَلِكَ الْعَمَلِ، فَالْقَوْلُ وَالْعَمَلُ قَرِينَانِ لَا يَقُومُ أَحَدُهُمَا إِلَّا بِصَاحِبِهِ.

أَسَدٌ قَالَ: وَحَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ سُلَيْمٍ قَالَ: سَأَلْتُ سُفْيَانَ اَلثَّوْرِيَّ وَهِشَامَ بْنَ حَسَّانٍ عَنْ اَلْإِيمَانِ؟ فَقَالَا: اَلْإِيمَانُ قَوْلٌ وَعَمَلٌ. اسناده صحيح

قَالَ يَحْيَى: وَسَأَلْتُ اِبْنَ جُرَيْجٍ عَنْهُ: فَقَالَ مِثْلَ ذَلِكَ، وَسَمِعْتُ مَالِكَ بْنَ أَنَسٍ يَقُولُ مِثْلَ ذَلِكَ.

الشرح

اعلم –أيها الطالب – أن الدين مبني على الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسوله واليوم الآخر والقدر خيره وشره

ولما كان الخطأ في مسمى الإيمان ليس كالخطأ في غيره ، إذ كانت أحكام الدنيا والآخرة متعلقة باسم الإيمان والإسلام والكفر والنفاق.كان السلف يهتمون بتقريره في كتبهم مع البيان والرد على من جانب الصواب فيه.

فصل : تعريف الإيمان لغة وشرعا:

الْإِيَمان لغة: التَّصْديق[1]

وشرعاً:قول باللسان واعتقاد بالجنان وعمل بالجوارح والأركان يزيد بطاعة الرحمن ، وينقص بالعصيان ويتفاضل أهله فيه.

وما ذكره المصنف هو بيانوتقرير لعقيدة أهل السنة والجماعة في الإيمان وأنه قولاللسانوعمل القلب والجوارح.

فالقول باللسان: يشمل الشهادتين وسائر الأذكار والدعوات الشرعية ويشمل قرأت القران والتسبيح والتهليل والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فهذه كلها داخلة في مسمى الإيمان.

وعمل القلب: إخلاصه ورجاؤه وتوكله وكل عبادة قلبيه داخلة في الإيمان.

وعمل الجوارح: أي الأعمال الظاهرة من صلاة وزكاة وحج وصيام وامتثالا واجتناب للأوامر والنواهي كلها داخلة في الإيمان كما قال ابن عبد البر: الطاعات كلها عندهم تسمى إيمانا[2].

---

[1]- تهذيب اللغة (368/15)

[2]-التمهيد (238/9)

وأضاف المصنف إلى ذلك الاتباع لسنة النبي –صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ –وسيأتي الكلام على ذلك.

فصل : الفرق التي ضلت في الإيمان

وسبب الكلام عن الإيمان هو ظهور طوائف منحرفة عن منهج السلف ضلت في مسمى الإيمان ومنهم المرجئة، الذين هونوا من قدر العمل وقللوا من شأنه فأخرجوه عن مسمى الإيمان وهم ثلاثة أصناف:

الصنف الأول: من جعل الإيمان معرفة القلب أو التصديق وإن لم يتلفظ باللسان وهم الجهمية اتباع جهم بن صفوان، والأشاعرة اتباع أبي الحسن الأشعري[1].

الصنف الثاني: من جعل الإيمان قول بلسان وإن لم يدخل التصديق قلبه وهم الكرامية اتباع محمد بن كرام[2].

الصنف الثالث: من جعل الإيمان قول وتصديق دون عمل وهم مرجئة الفقهاء[3].

والكل مجمعون على إخراج العمل عن مسمى الإيمان .

فأما الجهمية والأشاعرة [القائلون بأن الإيمان مقتصر على التصديق] فيرد عليهم بأن فرعون وقومه كانوا يعلمون صدق موسى – عَلَيۡهِٱلسَّلَامُ – بقلوبهم ، قال الله عنهم: ﴿ وَجَحَدُواْبِهَاوَٱسۡتَيۡقَنَتۡهَآأَنفُسُهُمۡظُلۡمٗاوَعُلُوّٗا﴾ [النمل:14].

فكانت نفوسهم ومستيقنة ولم ينفعهم ذلك لجحودهم واستكبارهم عن الإقرار والقول والعمل

---

[1]- مقالات إسلاميين (114/1)، الإيمان لابن تيمية ص100

[2]- مقالات إسلاميين (120/1)

[3]- مقالات إسلاميين (119/1)

ـ وأما الكرامية [القائلون بأن الإيمان مقتصر على القول بلسان] فيرد عليهم بأن المنافقين كانوا يتلفظون بألسنتهم ومع ذلك حكم الله بكفرهم وأنهم في الدرك الأسفل من النار تحت الكافرين قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴿١٤٥﴾﴾ النساء].، وقال تعالى عنهم: ﴿يَقُولُونَ بِأَفْوَٰهِهِم مَّا لَيْسَ فِى قُلُوبِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ ﴿١٦٧﴾﴾ [آل عمران].

ـ وأما مرجئة الفقهاء [القائلون بأن الإيمان قول وتصديق دون العمل] والرد عليهم بأن الإسلام وأركانه أعمال بل الإيمان نفسه عمل وقد سمى الله بعض الأعمال أيمانا كالصلاة حيث سماها الله تعالى إيمانا كما في قوله: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ﴾ [البقرة: 143]. أي صلاتهم وهي عمل وقال -صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- (الإيمان بضع وسبعون شعبة فأعلاها قول لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق والحياء شعبة من الإيمان)[1]، وقال عليه الصلاة والسلام:(من رأى منكم منكرا فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان)[2]، فدلت هذه النصوص على أن قول لا إله إلا الله من الإيمان، وإماطة الأذى عن الطريق من الإيمان، والحياء من الإيمان، وإنكار المنكر باليد وباللسان وبالقلب من الإيمان، فالإيمان إذن: قول وعمل واعتقاد[3].

ولما افترق الناس في مسمى الإيمان كان من المهم بيان عقيدة السلف مقرونة بالأدلة الشرعية من الكتاب والسنة

وما ذكره المصنف -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- من النصوص هي من أكبر الأدلة على أن الإيمان يجمع بين الأقوال والأعمال، كما بين الله سبحانه في هذه الآيات الكريمة حيث شهد سبحانه للمؤمنين بصدق إيمانهم وبشرهم وأثبت الأخوة الإيمانية لهم،وأن أعمالهم تصعد مقبولة

---

[1]- رواه البخاري (11/1)، ومسلم (63/1)

[2]- رواه مسلم (1/ 69)

[3]- بتصرف من معارج القبول (602/2)

إلى ربهم لما آمنوا وأيقنوا وعملوا من غير شك وارتياب؛ ولأن هذه الصفات والأعمال المذكورة في الأية لا تصدر إلا عن إيمان صادق ويقين راسخ.

ولهذا يجب عليك -أيها الطالب -أن تعلم أن الأقوال والأعمال مقترنة بالإيمان لا يمكن فصلها عنه.

والسلف لا يفرقون بينها كما قال الأوزاعي -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- :(كان من مضى ممن سلف لا يفرقون بين الإيمان والعمل)[1]، كما أن القرآن كله يتضمن الإشادة بشرف العمل والحث عليه فكثيرا ما يقرن الله -جَلَّ وَعَلَا- العمل بالإيمان لأنه منه وبه زيادته ونقصانه. فالأعمال من الإيمان، كما في قوله سبحانه﴿وَٱلۡعَصۡرِ ١ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ ٣﴾ [العصر].

فلم يستثن سبحانه من آمن إيمانا مجردا عن العمل بل أتبع سبحانه الإيمان بذكر العمل؛ لأنه من أهم خصائصه التي ينجو بها الإنسان يوم القيامة من الخسارة والندامة فقال: {وعملوا الصالحات }

إذن – أيها الطالب –الإيمان لابد فيه من عمل، فهو قول وعمل واعتقاد لا يجزئ أحدهما إلا بالآخر

وقد سئل – صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ- عن الإيمان فأجاب بذكر الأركان الستة كما في حديث جبريل المشهور، وقال لأصحابه يوما: (أَتَدْرُونَ مَا الإِيمَانُ بِاللهِّ وَحْدَهُ» قَالُوا: اللهُّ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: (شَهَادَةُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُّ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِّ، وَإِقَامُ الصَّلاَةِ، وَإِيتَاءُ الزَّكَاةِ، وَصِيَامُ رَمَضَانَ، وَأَنْ تُعْطُوا مِنَ المَغْنَمِ الخُمُسَ)[2]، وهذا من الأدلة على أن

---

[1]- جامع العلوم والحكم (1/ 104)

[2]- رواه البخاري (1/ 20)

الإيمان يراد به العمل بأركان الشريعة، فليس قاصرا على القلب خاليا من العمل، واكتفى بذكر قول سفيان الثوري وهشام بن حسان ومالك بن أنس - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ - لأن استقصاء كلام السلف في ذلك يطول، وهؤلاء من أجل علماء السلف المتفق على جلالتهم وقدرهم، وقد نقلت الإجماعات المعتبرة في ذلك عن غير واحد من السلف، قال الشافعي -رَحِمَهُ اللَّهُ- : (وكان الإجماع من الصحابة، والتابعين من بعدهم، ومن أدركناهم يقولون: الإيمان قول وعمل ونية،لا يجزئ واحد من الثلاث إلا بالآخر)[1].

وقال الإمام ابن عبد البرّ -رَحِمَهُ اللَّهُ-: (أجمع أهل الفقه والحديث على أنّ الإيمان قول وعمل، ولا عمل إلا بنية. والإيمان عندهم يزيد بالطاعة، وينقص بالمعصية. والطاعات كلها عندهم تسمى إيمانا)[2]

فالحاصل:أن الحق الذي لا شك فيه هو مذهب أهل السنة والجماعة أن الإيمان شامل للقول والعمل مع الاعتقاد خلافا للمرجئة –باختلاف أنواعهم– الذين جعلوا الإيمان أهون شيء عندهم، فلا عمل فيه ولا قول ينفعه فجعلوا هذا الدين الذي أرسل به سيد المرسلين عبارة عن معارف مجردة عن الأعمال و الأقوال؛ ولهذا تواترت النصوص عن السلف في التحذير من الإرجاء وأهله، وبيانا لأهمية العمل وتعظيما لشأنه وإشادة بشرفه وذكرهولأنه من الإيمان والله المستعان.

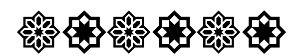
فائدة: هناك فائدة مهمة أشار المؤلف إليها في هذه الآثار يحسن الإشارة إليها تبين لنا أهمية لزوم السنة وتعلقها بالإيمان، وهي إضافة بعض السلف(اتباع السنة) في تعريف الإيمان كما في الآثار السالفة وقد جاءعن سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ أنه قال: (كَانَ الْفُقَهَاءُ يَقُولُونَ لَا يَسْتَقِيمُ قَوْلٌ إِلَّا بِعَمَلٍ وَلَا يَسْتَقِيمُ قَوْلٌ وَعَمَلٌ إِلَّا بِنِيَّةٍ وَلَا يَسْتَقِيمُ قَوْلٌ وَعَمَلٌ وَنِيَّةٌ

---

[1]- الإيمان (ص 166)

[2]- التمهيد (238/9)

إِلَّا بِنِيَّةٍ مُوَافَقَةِ السُّنَّةِ)[1]، وكذلك ذكر أبو عمرو الطلمنكي المالكي إجماع أهل السنة على أن الإيمان قول وعمل ونية وإصابة السنة[2].



التقويم

س1 – عرف الإيمان لغة وشرعا ؟

س2– ما الأدلة على أن الإيمان قول وعمل ؟

س3–تكلم عن الطوائف التي أخرجت العمل عن مسمى الإيمان والرد عليهم ؟

س4– الكلام عن الإيمان من الأمور العظيمة . ناقش ذلك في ما درست ؟

---

(1)- ذم الكلام (3/ 124)

(2)- كتاب الإيمان (ص260)

الدرس الواحد والعشرون
فِي تَمامِ اَلْإِيمان وَزِيادَتِهِ وَنُقْصَانِهِ

وَمِنْ قَوْلِ أَهْلِ اَلسُّنَّةِ: إِنَّ اَلْإِيمَانَ دَرَجَاتٌ وَمَنَازِلُ يَتِمُّ وَيَزِيدُ وَيَنْقُصُ، وَلَوْلَا ذَلِكَ اِسْتَوَى فِيهِ اَلنَّاسُ،وَلَمْ يَكُنْ لِلسَّابِقِ فَضْلٌ عَلَى اَلْمَسْبُوقِ.

وَبِرَحْمَةِ اَللَّهِ وَبِتَمَامِ اَلْإِيمَانِ يَدْخُلُ اَلْمُؤْمِنُونَ اَلْجَنَّةَ، وَبِالزِّيَادَةِ فِيهِ يَتَفَاضَلُونَ فِي اَلدَّرَجَاتِ انْظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَلَلْآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا وَمِثْلُ هَذَا فِي اَلْقُرْآنِ كَثِيرٌ.

وَحَدَّثَنِي إِسْحَاقُ عَن أَحْمَدَ عَنْ اِبْنِ وَضَّاحٍ عَنْ اِبْنِ شَيْبَةَ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ بِشْرٍ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرٍو، عَنْ أَبِي سَلَمَةَ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اَللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: أَكْمَلُ اَلْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا

حديث صحيح

وَحَدَّثَنِي وَهْبٌ عَن اِبْنِ أَبِي مَرْيَمَ، عَنْ أَسَدٍ قَالَ: حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ سَلَمَةَ، عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ الْخَطْمِيِّ، عَنْ عُمَيْرِ بْنِ حَبِيبٍ صَاحِبِ اَلنَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ: اَلْإِيمَانُ يَزِيدُ وَيَنْقُصُ قَالُوا: وَمَا زِيَادَتُهُ وَنُقْصَانُهُ؟ قَالَ: إِذَا ذَكَرْنَا اَللَّهَ وَصُمْنَا وَصَلَّيْنَا زَادَ، وَإِذَا غَفَلْنَا وَسَهَوْنَا نَقَصَ . مقبول

وَحَدَّثَنِي وَهْبٌ عَن اِبْنِ وَضَّاحٍ عَنْ مُوسَى بْنِ مُعَاوِيَةَ، عَنْ اِبْنِ مَهْدِيٍّ قَالَ: حَدَّثَنَا إِسْرَائِيلُ بْنُ يُونُسَ، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ عَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ قَالَ:(كُنَّا لَا نَقُولُ فِي رَجُلٍ شَيْئًا حَتَّى نَنْظُرَ عَلَى أَيِّ حَالٍ يَمُوتُ، فَإِنْ خُتِمَ لَهُ بِخَيْرٍ رَجَوْنَا أَنْ يُصِيبَ خَيْرًا، وَإِنْ خُتِمَ لَهُ بِغَيْرِ ذَلِكَ خِفْنَا عَلَيْهِ).

ابْنُ وَضَّاحٍ قَالَ: أَخْبَرَنِي زُهَيْرُ بْنُ عَبَّادٍ قَالَ: كُلُّ مَنْ أَدْرَكْتُ مِنَ الْمَشَايِخِ مَالِكِ بْنِ أَنَسٍ وَسُفْيَانَ بْنِ عُيَيْنَةَ وَعِيسَى بْنِ يُونُسَ، وَفُضَيْلِ بْنِ عِيَاضٍ وعَبْد الله بْنِ الْمُبَارَكِ وَوَكِيعِ بْنِ الْجَرَّاحِ وَغَيْرِهِمْ (لَا يُكَفِّرُونَ أَحَدًا بِذَنْبٍ، وَلَا يَشْهَدُونَ لِأَحَدٍ أَنَّهُ فِي الْجَنَّةِ) حديث حسن.

الشرح

أراد المصنف -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- في هذا الباب أن يبين أن الإيمان درجات ومنازل وشعب لا يستوي فيها الناس ، فبعضهم أعلى من بعض بالإيمان والعلم والعمل، قال تعالى: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١١﴾﴾ [المجادلة].، وقال سبحانه: ﴿ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ ۗ وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴿٧٦﴾﴾ [يوسف] يرفعهم سبحانه درجات على حسب أعمالهم،قال تعالى: ﴿هُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿١٦٣﴾﴾ [آل عمران].

قال ابْن عَبَّاسٍ: أي «بِأَعْمَالِهِمْ»[1] وقال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٢٠﴾﴾ [التوبة].

فاكتساب الدرجات واستكمالها يكون بالاجتهاد في الأعمال الصالحات وقد بين النبي - صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: شعب الإيمان في قوله: (الإيمان بضع وسبعون شعبةفأعلاها قول لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق والحياء شعبة من الإيمان)[2].

فالإيمان له درجات وله شعب قال ابن عبد البر: (الإيمان مراتب بعضها فوق بعض، فليس الناقص فيه كالكامل)[3]، ثم بين -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- أن الإيمان يزيد وينقص وهذا مأخوذ من آيات قرآنية كثيرة وأحاديث نبوية صحيحة قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿لِيَزْدَادُوٓا۟ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ﴾

---

[1]- الطبري (6 /210)

[2]- متفق عليه وقد تقدم تخريجه

[3]- التمهيد (9/ 244)

[الفتح: 4] وقوله ﴿وَزِدۡنَٰهُمۡ هُدٗى ١٣﴾ [الكهف]. ﴿وَيَزِيدُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱهۡتَدَوۡاْ هُدٗىۗ﴾ [مريم: 76]. وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱهۡتَدَوۡاْ زَادَهُمۡ هُدٗى وَءَاتَىٰهُمۡ تَقۡوَىٰهُمۡ ١٧﴾ [محمد]. وقال سبحانه: ﴿وَيَزۡدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِيمَٰنٗا﴾ [المدثر31]. وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا زَادَهُمۡ إِلَّآ إِيمَٰنٗا وَتَسۡلِيمٗا ٢٢﴾ [الأحزاب].

قال الإمام ابن بطَّال المالكي: (مذهب جماعة أهل السنة من سلف الأمة وخلفها: أن الإيمان قول وعمل؛ يزيد وينقص، والحجة على زيادته ونقصانه؛ ما أورده البخاري في كتاب الله من ذكر الزيادة في الإيمان، وبيان ذلك أنه من لم تحصل له بذلك الزيادة؛ فإيمانه أنقص من إيمان من حصلت له)[1]، وكل شيء يزيد فهو ينقص ومن الأدلة نقصان الإيمان قوله - صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ -: (من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه،وذلك أضعف الإيمان)[2].

فقوله في الحديث: (وذلك أضعف الإيمان) تصريح بأن الإيمان ينقص ولهذا قال النووي في شرحه صحيح مسلم "باب بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان، وأن الإيمان يزيد وينقص ..."[3].

ثم بين المصنف أن الناس يتفاضلون على حسب إيمانهم وسبقهم في مرضات ربهم ومن الأدلة على ذلك قوله تعالى: ﴿أَفَمَن كَانَ مُؤۡمِنٗا كَمَن كَانَ فَاسِقٗاۚ لَّا يَسۡتَوُۥنَ ١٨﴾ [السجدة].

وقوله: ﴿أَمۡ نَجۡعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلۡمُفۡسِدِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَمۡ نَجۡعَلُ ٱلۡمُتَّقِينَ كَٱلۡفُجَّارِ ٢٨﴾ [ص].

وقال تعالى في بيان فضل السابق في الإيمان والطاعة على اللاحق فيه :﴿لَا يَسۡتَوِي مِنكُم مَّنۡ أَنفَقَ مِن قَبۡلِ ٱلۡفَتۡحِ وَقَٰتَلَۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَعۡظَمُ دَرَجَةٗ مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُواْ مِنۢ بَعۡدُ وَقَٰتَلُواْۚ وَكُلّٗا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلۡحُسۡنَىٰ﴾ [الحديد: 10].

---

[1]- شرح ابن بطال على البخاري(1/ 56)

[2]- صحيح مسلم (1/ 69)

[3]- شرح النووي على مسلم(21/2)

ثم اعلم -أيها الطالب- أن دخول الجنة يكون برحمة الله سبحانه فليست الأعمال أثمانا لدخولها ، فالجنة لا يسويها عمل مهما كان صالحا ،ومهما كان كثيرا ، فسلعة الله غالية أغلى من الأعمال كلها ، والأعمال إنما هي أسباب لدخول الجنة فقط ، وأما ثمن دخولها هو رحمة الله وجوده؛ ولهذا قال - صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ- : (لن يدخل الجنة أحد منكم بعمله، قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟! قال: ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمته)[1]

وقوله (وبتمام الإيمان يدخل المؤمنون الجنة): أي أن أهل تمام الإيمان يدخلون الجنة و كذلك أهل الإيمان الناقص و نقصان الإيمان يكون بالذنوب والمعاصي ، فمن عصا ربه وأذنب - بما دون الكفر- فهو تحت مشيئة الله ، قد يعاقب على قدر ذنبه ومعصيته ثم يدخل الجنة وقد يغفر له ذنبه ابتداء فيدخل الجنة بغير عقوبة ، وليس معناه أن من نقص إيمانه لفرط ذنب أو معصية أنه يدخل النار حتما أو يخلد فيها كما زعمت الخوارج أبدا!

هذا ليس من منهج السلف- أيها الطالب -

بل هو تحت مشيئة الله -عَزَّوَجَلَّ- قد يدخل الجنة من غير حساب ولا سابقة عذاب وقد يعاقب على ذنبه ثم بعد ذلك يدخل الجنة لإيمانه وتوحيده

إذن فقوله (وبتمام الإيمان) : ليس شرطا بل يقصد الإمام ابن زمنين أن أول من يدخل الجنة هم أصحاب الإيمان التام الكامل من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين والطائعين

ومن نقص إيمانه فهذا من أهل الجنة سواء عوقب أم لم يعاقب على التفصيل السابق

---

[1] - رواه أحمد (3599) صحيح لغيره [الترغيب والترهيب]

واستدل المصنف أيضا بحديث النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : (أكمل المؤمنين عند الله إيمانا أحسنهم خلقا)[1]

فدل هذا القول على أن حسن الخلق إيمان، وأن عدمه نقصان وقد روي عن بعض الصحابة التصريح بذلك فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ: "اَلْإِيمَانُ يَزِيدُ وَيَنْقُصُ" ولكنه ضعيف جدا [2]

لكن الآثار بهذا عن السلف مستفيضة في كتب السنة، وهذا ما أجمع عليه سلف هذه الأمة كما مر ذكر إجماعاتهم عن الشافعي وأبي عمر الطلمنكي وغيرهم من أهل العلم

مسألة : هل الإيمان يزيد وينقص؟

والجواب على ذلك:

1: - أن مذهب السلف: أن الإيمان يزيد وينقص ويتفاضل أهله فيه، ومر ذكر الأدلة على ذلك

2 : - وقالت المرجئة والخوارج والمعتزلة:: الإيمان لا يزيد ولا ينقص،

فأما المرجئة : فلأن الإيمان عندهم لا يتجزأ بل هو قاصر على القلب وبعضهم جعله قاصرا على اللسان ، والزيادة والنقصان تكون بالأعمال وهم ينكرون دخول الأعمال في الإيمان

فلما أنكروا دخول العمل في الإيمان حملهم ذلك إلى نفي الزيادة والنقصان بل الإيمان عندهم أصل واحد لا يتجزأ فلا تضره الذنوب والمعاصي، وإيمان الفساق عندهم كإيمان الأبرار

---

[1] - رواه الترمذي (3/ 458)، وأبو داود (4/ 220 رقم 4682) انظر الصحيحة(284)

[2] - (الضعيفة (1123)

-وقالت الخوارج والمعتزلة:لا يزيد ولا ينقص؛ لأنهم يرون أن الإيمان إما أن يوجد كله وإما أن يعدم كله فمن ترك طاعة أو ارتكب معصية فقد خرج عن الإيمان بالكلية إلى الكفر والخلود في النار فيسمى عند الخوارج كافرا

وأما المعتزلة فقالوا لا نسميه كافرا ولا مسلما بل هو قد خرج من الإسلام ولم يدخل في الكفر فهو في (منزلة بين المنزلتين)، وتنطبق عليه أحكام المسلمين في الدنيا، وتنطبق عليه أحكام الكفار في الآخرة من الخلود في النار وعدم الشفاعة له ونحو ذلك من الأحكام المتناقضة وسيأتي مزيد إيضاح ذلك في الأبواب الآتية

مسألة : هل يكفر المسلم بارتكاب الذنوب والمعاصي ؟

ج : اعلم أيها الطالب أن المسلم لا يخرج عن الإسلام بالذنوب والمعاصي التي هي دون الشرك ولكن إيمانه ينقص بفعلها ويسمى مسلما عاصيا أو فاسقا، وهو يوم القيامة معرض للعقوبة والعذاب ، فإن مات على ارتكاب المعاصي والوقوع في الكبائر، خفنا عليه، ودعونا له، فأهل السنة

لا يكفرون المسلمين بل يرجون للمحسن ويخافون على المسيء

الدرس الثاني والعشرون
باب فِي اَلِاسْتِغْفَارِ لِأَهْلِ اَلْقِبْلَةِ وَالصَّلَاةِ عَلَى مَنْ مَاتَ مِنْهُمْ

قَالَ مُحَمَّدٌ: وَأَهْلُ اَلسُّنَّةِ لَا يَحْجُبُونَ اَلِاسْتِغْفَارَ عَنْ أَحَدٍ مِنْ أَهْلِ اَلْقِبْلَةِ، وَلَا يَرَوْنَ أَنْ تُتْرَكَ اَلصَّلَاةُ عَلَى مَنْ مَاتَ مِنْهُمْ، وَإِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ اَلْإِسْرَافِ عَلَى نَفْسِهِ. وَقَالَ -عَزَّوَجَلَّ- لِنَبِيِّهِ عَلَيْهِ اَلصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ

الشرح

فصل :الاستغفار لأهل القبلة

بين المصنف في هذا الباب أن من عقيدة السلف الاستغفار لأهل القبلة يعني(المسلمين) لأن أهل الأديان الأخرى، لا تستقبل قبلتنا، وتنكرها فأهل القبلة تطلق ويراد بها أهل الإسلام

والصلاة على من مات منهم لأنه من المسلمين مهما ارتكب من الذنوب والمعاصي فهو مسلم تنطبق عليه أحكام المسلمين - مالم يرتكب ناقضامن نواقض الإسلام - فصلاة الجنازة من حقوق المسلم ، ومن فروض الكفاية التي تجب علينا اتجاهه ، خلافا للخوارج الذين يكفرون المسلم بالمعاصي ويحكمون بردته عن الإسلام ، ويستحلون دمه وماله وعرضه نسأل أن يجنبنا شرهم

قال الإمام أحمد :يُصَلِّي عَلَيْهِ ويستغفر لَهُ وَلَا يحجب عَنهُ الاسْتِغْفَار وَلَا تتْرك الصَّلَاة عَلَيْهِ لذنب أذنبه صَغِيرا كَانَ أَو كَبِيرا وأمره إِلَى الله تَعَالَى) [1]

إذن: فالحاصل أن اَلسُّنَّةُ أن يُصَلَّى عَلَى كُلِّ مَنْ وَحَّدَ اَللَّهَ، وَإِنْ مَاتَ مُسْرِفًا عَلَى نَفْسِهِ بِالذُّنُوبِ، وَإِنْ كَانَتْ كَبَائِرَ، إِذَا كَانَ مُسْتَمْسِكًا بِالتَّوْحِيدِ مُقِرًّا بِمَا جَاءَ مِنْ عِنْدِ اَللَّهِ، فَإِنَّهُ يُصَلَّى عَلَيْهِ، وَإِثْمُهُ عَلَى نَفْسِهِ وَحِسَابُهُ عَلَى رَبِّهِ، وَهُوَ عِنْدَنَا مُؤْمِنٌ بِذَنْبِهِ، إِنْ شَاءَ اَللَّهُ عَذَّبَهُ وَإِنْ شَاءَ غَفَرَ لَهُ، وَلَا نُخْرِجُهُ بِالذُّنُوبِ مِنْ اَلْإِسْلَامِ، وَلَا يُوجِبُ لَهُ بِهَا اَلنَّارَ حَتَّى يَكُونَ اَللَّهُ اَلَّذِي يَحْكُمُ فِيهِ بِعِلْمِهِ، وَيُصَيِّرُهُ إِلَى حَيْثُ شَاءَ مِنْ جَنَّةٍ أَوْ نَارٍ، إِلَّا أَنَّا نَرْجُو لِلْمُحْسِنِ وَنخْشَى عَلَى الْمُسِيءِ اَلْمُذْنِبِ

❁❁❁❁❁❁

التقويم

س1 – ما الطائفة التي تركت الاستغفار والصلاة على العصاة المسلمين ؟

س2– أهل السنة والجماعة يصلون على عصاة المسلمين ما لم يرتكبوا ناقضا من نواقض الإسلام . ناقش ذلك ؟

❁❁❁❁❁❁

(1) – أصول السنة ص60

الدرس الثالث والعشرون
باب فِي اَلْأَحادِيثِ اَلَّتِي فِيهَا نَفْيُ اَلْإِيمَان بالذُّنُوبِ

سْحاقُ عَنْ أَحْمَدَ، عَنْ اِبْنِ وَضَّاحٍ عَنْ أَبِي بَكْرِ بْنِ أَبِي شَيْبَةَ قَالَ: حَدَّثَنَا يَزِيدُ بْنُ هَارُونَ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَمْرٍو، عَنْ أَبِي سَلَمَةَ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اَللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: لَا يَزْنِي اَلزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَا يَسْرِقُ حِينَ يَسْرِقُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَا يَشْرَبُ اَلْخَمْرَ حِينَ يَشْرَبُهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَا يَنْتَهِبُ نُهْبَةً يَرْفَعُ اَلنَّاسُ أَبْصَارَهُمْ إِلَيْهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ حديث صحيح

أَبُو بَكْرٍ قَالَ: حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ عَبْد الله عَنْ أَبِي بَكْرٍ عَنْ اَلْحَسَنِ بْنِ عَمْرٍو، عَنْ عَبْد الرَّحْمَنِ بْنِ يَزِيدَ، عَنْ عَبْد الرَّحْمَنِ عَنْ عَبْدِ الله قَالَ: قَالَ رَسُولُ اَللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: لَيْسَ اَلْمُؤْمِنُ بِاللَّعَّانِ وَلَا اَلطَّعَّانِ، وَبِالْفَاحِشِ وَلَا بِالْبَذِي حديث صحيح

أَبُو بَكْرٍ قَالَ: وَحَدَّثَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ عَنْ اَلْأَعْمَشِ، عَنْ عَدِيٍّ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، عَنْ اِبْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اَللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: وَلَا يُبْغِضُ اَلْأَنْصَارَ رَجُلٌ يُؤْمِنُ بِاَللَّهِ وَالْيَوْمِ اَلْآخِرِ حديث صحيح

قَالَ مُحَمَّدٌ: فَهَذِهِ اَلْأَقْوَالُ اَلْمَذْمُومَةُ فِي هَذِهِ اَلْأَحَادِيثِ لَا تُزِيلُ إِيمَانًا وَلَا تُوجِبُ كُفْرًا، وَقَدْ قَالَ بَعْضُ اَلْعُلَمَاءِ مَعْنَاهَا: اَلتَّغْلِيظُ لِيَهَابَ اَلنَّاسُ اَلْأَفْعَالَ اَلَّتِي ذَكَرَ اَلْحَدِيث أَنَّهَا تَنْفِي اَلْإِيمَانَ وَتُجَانِبُهُ. وَقَالَ بَعْضُهُمْ: اَلْمُرَادُ بِهَا أَنَّهَا تَنْفِي مِنْ اَلْإِيمَانِ حَقِيقَتَهُ وَإِخْلَاصَهُ فَلَا يَكُونُ إِيمَانُ مَنْ يَرْتَكِبُ هَذِهِ اَلْمَعَاصِيَ خَالِصًا حَقِيقِيًّا كَحَقِيقَةِ إِيمَانِ مَنْ لَا يَرْتَكِبُهَا. لِأَهْلِ اَلْإِيمَانِ عَلَامَةٌ يُعْرَفُونَ بِهَا، وَشُرُوطٌ أُلْزِمُوهَا، يَنْطِقُ بِهَا اَلْقُرْآنُ وَالْآثَارُ فَإِذَا نُظِرَ إِلَى مَنْ خَالَطَ

إِيمَانُهُ هَذِهِ اَلْمَعَاصِي قِيلَ لَيْسَ مِمَّا وُصِفَ بِهِ أَهْلُ اَلْإِيمَانِ فَنفَيَتْ هَذِهِ حِينَئِذٍ حَقِيقَةَ اَلْإِيمَانِ وَتَمَامَهُ، وَهَذَا اَلتَّاوِيلُ أَشْبَهُ. وَاَللَّهُ أَعْلَمُ

الشرح

أراد المصنف -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- أن يبين أن الأحاديث التي فيها نفي الإيمان ليس معناها أن ارتكاب المعاصي يخرج عن الإيمان بالكلية ، بل معناه الوعيد الشديد والخطر والتغليظ والمبالغة في الزجر على من ارتكبها

(فلا يفعل هذه المعاصي مؤمن كامل الإيمان فالنفي الوارد في الأحاديث معناه نفي الكمال لا نفي الصحة فانتبه أيها الطالب !

ولأن من القواعد الشرعية المقررة أن الألفاظ التي تطلق و يراد بها نفي الشيء فإن كان المنفي ثابتا شرعا بيقين فيكون النفي نفيا لكماله ، [كما يقال لا علم إلا ما نفع ، ولا مال إلا الإبل ، ولا عيش إلا عيش الآخرة فهذه هي القاعدة في النفي أن المنفي إن ثبت بطرق أخرى فإن النفي يكون للكمال وهنا أحديث تبين بقاء الإيمان لمرتكبي الذنوب والمعاصي كحديث أبي ذر وغيره:"من قال: لا إله إلا الله دخل الجنة وإن زنى وإن سرق"، وحديث عبادة بن الصامت الصحيح والمشهور: "أنهم بايعوه - صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - على أن لا يسرقوا ولا يعصوا. . . " إلى آخره، ثم قال لهم - صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: "فمن وفي منكم فأجره على الله، ومن فعل شيئاً من ذلك فعوقب في الدنيا فهو كفارته، ومن فعل ولم يعاقب فهو إلى الله تعالى عفا عنه وإن شاء عذبه"، فهذان الحديثان ونظائرهما في الصحيح مع قول الله -عَزَّوَجَلَّ-: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ﴾ [النساء: 48]. ،وهذا إجماع أهل الحق أن الزاني والسارق والقاتل وغيرهم من أصحاب الكبائر لا يكفرون بذلك بل هم مؤمنون ناقصو الإيمان إن تابوا أسقطت عقوبتهم، وإن ماتوا مصرين على الكبائر كانوا في المشيئة، فإن شاء الله تعالى عفا عنهم وأدخلهم الجنة أولا، وإن شاء عذبهم ثم

أدخلهم الجنة. ، فإذا ورد حديثان مختلفان ظاهراً وجب الجمع بينهما كما هو المقرر عند أهل العلم][1]

قال الحافظ الحكمي : فهذا يدل على أنه لم ينف عن الزاني والسارق والشارب والقاتل مطلق الإيمان بالكلية مع التوحيد فإنه لو أراد ذلك لم يخبر بأن من مات على لا إله إلا الله دخل الجنة وإن فعل تلك المعاصي، فلن يدخل الجنة إلا نفس مؤمنة، وإنما أراد بذلك نقص الإيمان ونفي كماله.[2]

إذن : فالنفي في هذه الأحاديث إنما هو لنفي الكمال لا لنفي الأصل كما زعمت الخوارج

س: مسالة ما خطر التكفير و ما الذي يترتب عليه ؟

التكفير خطره عظيم جدا قال عليه الصلاة والسلام : "أَيُّمَا امْرِئٍ قَالَ لِأَخِيهِ: يَا كَافِرُ، فَقَدْ بَاءَ بِهَا أَحَدُهُمَا إِنْ كَانَ كَمَا قَالَ، وَإِلَّا رَجَعَتْ عَلَيْهِ"[3]

ومن كفر مسلما فكأنما قتله قال عليه الصلاة والسلام:(وَمَنْ رَمَى مُؤْمِنًا بِكُفْرٍ فَهُوَ كَقَتْلِهِ) [4] ولما يترتب علي التكفير من استحلال الدم والمال والعرض وترك الصلاة عليه إن مات وعدم دفنه في مقابر المسلمين ، ولا يرث ، ولا يورث إلى غير ذلك من الأمور المترتبة على التكفير

وقال القاضي عياض:(اَلخَطَأُ فِي تَرْكِ أَلْفِ كَافِرٍ أَهْوَنُ مِنَ الْخَطَأِ فِي سَفْكِ مِحْجَمَةٍ مِنْ دَمٍ مُسْلِمٍ وَاحِدٍ)[5].

مسألة ما الطائفة التي تكفر بالذنوب؟ وما الرد عليها؟

ج : الخوارج هم من يكفرون بالمعاصي

---

[1] - شرح النووي على مسلم بتصرف(2 /41- 42)

[2] -أعلام السنة المنشورة ص99- 100)

[3] - مسلم (1/ 79)

[4] - رواه البخاري (8/ 26)

[5] - الشفا بتعريف حقوق المصطفى(2/ 596)

والرد عليهم : بقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾ [النساء: 48].

وبحديث عُبَادَةَ بْنَ الصَّامِتِ -رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ- وفيه انهم بَايِعُوا النبي -صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- عَلَى أَنْ لاَ يشْرِكُوا بِاللهَّ شَيْئًا، وَلاَ يسْرِقُوا، وَلاَ يزْنُوا، وَلاَ يقْتُلُوا أَوْلاَدَهمْ ، ولا يعصوا فِي مَعْرُوفٍ، فَمَنْ وَفَى مِنْكُمْ فَأَجْرُهُ عَلَى اللهَّ، وَمَنْ أَصَابَ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا فَعُوقِبَ فِي الدُّنْيَا فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ، وَمَنْ أَصَابَ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا ثُمَّ سَتَرَهُ اللهُّ فَهُوَ إِلَى اللهَّ، إِنْ شَاءَ عَفَا عَنْهُ وَإِنْ شَاءَ عَاقَبَهُ» فَبَايَعْنَاهُ عَلَى ذَلِكَ.[1]

والمعنى: أن العبد يوم القيامة إن عصى ربه – بما دون الشرك بالله – فإنه تحت مشيئة الله سبحانه قد يعاقب بعدل الله سبحانه ثم يدخل الجنة، وقد يدخل الجنة بعفو الله سبحانه وكرمه من غير عقاب ومن المعلوم أنه لو كان كافرا لكن مخلدا في النار فعَن أبي ذَر -رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ- عَن النَّبِي -صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ : (مَا من عبد قَالَ لَا إِلَه إِلَّا الله ثمَّ مَاتَ على ذَلِك إِلَّا دخل الْجنَّة قلت وَإِن زنى وَإِن سرق قَالَ وَإِن زنى وَإِن سرق قلت وَإِن زنى وَإِن سرق قَالَ وَإِن زنى وَإِن سرق ثَلَاثًا ثمَّ قَالَ فِي الرَّابِعَة على رغم أنف أبي ذَر قَالَ فَخرج أَبُو ذَر وَهُوَ يَقُول وَإِن رغم أنف أبي ذَر)[2]

فمن عصى ربه فهو تحت المشيئة ولا يحكم بكفره بل هو مؤمن بإيمانه فاسق بكبيرته

مسألة : هل بغض الأنصار يعتبر كفرا ؟

ج : نعم سب الصحابة يعتبر كفرا وزندقة لأنه بغض لمن أحبه الله ، وكره لمن دافع عن رسول الله -صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وعن دين الله تعالى وسيأتي كلام الإمام مالك عن ذلك في بابه – إن شاء الله –

❀❀❀❀❀❀

[1] – رواه البخاري (1/ 12)

[2] – رواه البخاري (2/ 71)،ومسلم (1/ 94)

التقويم

س1 – ما مراد الشرع بنفي الإيمان بفعل الكبائر ؟

س2 – كيف تعامل السلف مع النصوص التي فيها نفي الإيمان بارتكاب بعض الكبائر التي هي دون الشرك ؟

س3 – تكلم عن خطورة التكفير ؟ وما الذي يترتب عليه ؟



الدرس الرابع والعشرون
باب فِي اَلْأَحَادِيثِ اَلَّتِي فِيهَا ذِكْرُ اَلشِّرْكِ وَالْكُفْرِ

قَالَ مُحَمَّدٌ: حَدَّثَنِي وَهْبٌ عَن اِبْنِ وَضَّاحٍ، عَن الصُّمَادِحِيِّ، عَن اِبْنِ مَهْدِيٍّ حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَن اَلْأَعْمَشِ، عَنْ أَبِي اَلضُّحَى، عَنْ مَسْرُوقٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اَللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: لَا تَرْجِعُوا بَعْدِي كُفَّارًا يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ مرسل صحيح

وَحَدَّثَنِي إِسْحَاقُ عَن أَحْمَدَ بْنِ خَالِدٍ، عَن اِبْنِ وَضَّاحٍ، عَن اِبْنِ أَبِي شَيْبَةَ قَالَ: حَدَّثنا جَرِيرٌ عَن عَبْد اللهِ، عَن مَنْصُورٍ، عَن أَبِي خَالِدٍ، عَن اَلنُّعْمَانِ بْنِ عُمْرِو بْنِ مُقْرِنٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اَللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: سِبَابُ اَلْمُسْلِمِ فُسُوقٌ، وَقِتَالُهُ كُفْرٌ حديث صحيح

قَالَ مُحَمَّدٌ: فَهَذِهِ اَلْأَحَادِيثُ وَمَا أَشْبَهَهَا مَعْنَاهَا أَنَّ هَذِهِ اَلْأَفْعَالَ اَلْمَذْكُورَةَ فِيهَا مِنْ أَخْلَاقِ اَلْكُفَّارِ وَالْمُشْرِكِينَ وَسُنَنِهِمْ مَنْهِيٌّ عَنْهَا لِيَتَحَاشَهَا اَلْمُسْلِمُونَ، وَأَمَّا أَنْ يَكُونُ مَنْ فَعَلَ شَيْئًا مِنْهَا مُشْرِكًا بِاَللَّهِ أَوْ كَافِرًا فَلَا يَدُلُّك عَلَى ذَلِكَ قَوْلُ اَلنَّبِيِّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: اَلشِّرْكُ أَخْفَى مِنْ دَبِيبِ اَلنَّمْلِ عَلَى اَلْحَجَرِ فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ اَلصِّدِّيقُ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-: إِنَّا للهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ، قَالَ رَسُولُ اللهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: قُلْ اَللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ أَنْ أُشْرِكَ بِكَ وَأَنَا أَعْلَمُ، وَأَسْتَغْفِرُكَ مِمَّا لَا أَعْلَمُ

الشرح

هذا الباب من الأبواب المهمة لطالب العلم ، كيف يتعامل المسلم مع النصوص الشرعية التي فيها ذكر الكفر والشرك ، ولأن الخوارج زلوا وضلوا لما لم يعرفوا كيفية التعامل مع هذه النصوص فحملوها على الكفر الأكبر فكفروا ودمروا وفجروا، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

اعلم – رحمك الله – أن الكفر كفران: كفر أكبر وهو المخرج عن الملة .

وكفر أصغر غير مخرج عن الملة وكذلك الشرك والنفاق كلهما ينقسم إلى أكبر مخرج عن الملة، وأصغر غير مخرج عن الملة

والكفر الأصغر هو كل معصية أطلق عليها الشارع اسم الكفر مع بقاء اسم الإيمان على عامله، كقول النبي – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ –: «لا ترجعوا بعدي كفارا، يضرب بعضكم رقاب بعض»[1] وقوله – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ –: «سباب المسلم فسوق وقتاله كفر» " [2]

فأطلق – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – على قتال المسلمين بعضهم بعضا أنه كفر، وسمى من يفعل ذلك كفارا، مع قول الله تعالى: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُواْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَا﴾ [الحجرات: 9].

إلى قوله: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾ [الحجرات: 10].

فأثبت الله تعالى لهم الإيمان وأخوة الإيمان ولم ينف عنهم شيئا من ذلك. وقال تعالى في آية القصاص: ﴿فَمَنْ عُفِيَ لَهُۥ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَٱتِّبَاعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ وَأَدَآءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَٰنٍ﴾ [البقرة: 178].

، فأثبت تعالى له أخوة الإسلام ولم ينفها عنه.

إذن : فيراد بهذا التقرير الدقيق أن كلمة كفر لا تعني دائما الكفر الأكبر بل تتناول الكفر بنوعيه الأكبر والأصغر وأن هذه الأعمال لا تخرج من الملة مع شدة جرمها وعظيم خطرها ، وهي من أفعال الكافرين فلا يجوز الإقدام عليها

فمن فعل هذه المعاصي فإنه وقع في الكفر الأصغر الذي لا يخرج عن الملة وهو آثم في فعله ، ولكن لا نخرجه عن الإسلام ، فهو مسلم عاص فاسق .

❁❁❁❁❁❁

[1] – رواه البخاري (1/ 35)،ومسلم (1/ 81)

[2] – رواه البخاري (1/ 19)،ومسلم (1/ 81)

التقويم

س1 – اذكر أنواع الكفر مع تعريف كل نوع ؟

س2 – كيف تعامل السلف مع نصوص التي فيها وصف بعض الكبائر بأنها كفر ؟

س3 – ما معنى قوله – صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – (لا ترجعوا بعدي كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض – سباب المسلم فسوق وقتاله كفر) وهل يؤخذ منها كفر من يفعل ذلك ؟ ناقش ذلك؟



الدرس الخامس والعشرون
باب فِي ذِكْرِ اَلْأَحَادِيثِ اَلَّتِي فِيهَا ذِكْرُ اَلنِّفَاقِ

حَدَّثَنِي إِسْحَاقُ عَن أَحْمَدَ عَن اِبْنِ وَضَّاحٍ عَن اِبْنِ أَبِي شَيْبَةَ قَالَ: حَدَّثَنِي عَبْدُ اللهِ بْنُ نُمَيْرٍ قَالَ: حَدَّثَنَا اَلْأَعْمَشُ عَن عَبْدِ اللهِ بْنِ أَبِي مُرَّةَ عَن مَسْرُوقٍ عَن عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو قَالَ: قَالَ رَسُولُ اَللَّهِ - صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ مُنَافِقًا خَالِصًا، وَمَنْ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنْهُنَّ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنْ اَلنِّفَاقِ حَتَّى يَدَعَهَا، إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ، وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ حديث صحيح

وَحَدَّثَنِي وَهْبٌ عَن اِبْنِ وَضَّاحٍ عَن الصُّمَادِحِيِّ عَن اِبْنِ مَهْدِيٍّ عَن أَبِي اَلْأَحْوَصِ سَلَامِ بْنِ سُلَيْمٍ عَن أَبِي إِسْحَاقَ عَن عَرِيبٍ اَلْهَمْدَانِيِّ قَالَ قُلْتُ لِاِبْنِ عُمَرَ: إِنَّا إِذَا دَخَلْنَا عَلَى اَلْأُمَرَاءِ زَكَّيْنَاهُمْ بِمَا لَيْسَ فِيهِمْ، فَإِذَا خَرَجْنَا مِنْ عِنْدِهِمْ دَعَوْنَا عَلَيْهِمْ، قَالَ: كُنَّا نَعُدُّ ذَلِكَ اَلنِّفَاقَ. صحيح

قَالَ مُحَمَّدٌ: وَالنِّفَاقُ لَفْظٌ إِسْلَامِيٌّ لَمْ تَكُن اَلْعَرَبُ قَبْلَ اَلْإِسْلَامِ تَعْرِفُهُ وَهُوَ مَاخُوذٌ مِنْ "نَافِقِ اَلْيَرْبُوعِ" وَهُوَ جُحْرٌ مِنْ جُحُورِهِ يَخْرُجُ مِنْهُ إِذَا أُخِذَ عَلَيْهِ اَلْجُحْرُ اَلَّذِي فِيهِ دَخَلَ. فَيُقَالُ قَدْ نَفَقَ وَنَافَقَ وَمُنَافِقٌ يَدْخُلُ فِي اَلْإِسْلَامِ بِاللَّفْظِ وَيَخْرُجُ مِنْهُ بِالْعَقْدِ شَبِيهٌ بِفِعْلِ اَلْيَرْبُوعِ؛ لِأَنَّهُ يَدْخُلُ مِنْ باب وَيَخْرُجُ مِنْ باب، فَمَا كَانَ مِنْ اَلْأَحَادِيثِ فِيهَا ذِكْرُ اَلنِّفَاقِ وَلَيْسَ مَعْنَاهَا أَنَّ مَنْ فَعَلَ شَيْئًا مِمَّا ذُكِرَ فِيهَا فَهُوَ مُنَافِقٌ كَنِفَاقِ مَنْ يُظْهِرُ اَلْإِسْلَامَ وَيُسِرُّ اَلْكُفْرَ أَنَّهَا مَعْنَاهَا أَنَّ هَذِهِ اَلْأَفْعَالَ وَالْأَخْلَاقَ مِنْ أَخْلَاقِ اَلْمُنَافِقِينَ وَشِيَمِهِمْ وَطَرَائِقِهِمْ، هَذَا وَمِثْلُهُ. يَدُلُّك عَلَى ذَلِكَ.

الشرح

أراد المصنف –رَحِمَهُ ٱللَّهُ– أن يبين أن النفاق منه ما هو أصغر لا يخرج عن الملة، مثل إخلاف الوعد، والكذب، والخيانة، والفجور في الخصومة فهذا نفاق أصغر لا يخرج عن الملة فتنبه !

فليس كل ذنب يسمى صاحبه منافقا يكون نفاقا أكبر يخرج عن الملة .

ومن النفاق ما هو أكبر يخرج عن الملة (كما سيأتي إن شاء الله)

فصل : تعريف النفاق

النفاق فى اللغة : (أن يظهر المرء خلاف ما يبطن، وهذا المعنى موجود فى الكذب، وخلف الوعد، والخيانة)[1]

والنفاق شرعا: ينقسم إلى قسمين

1 :- نفاق أكبر (مخرج عن الملة) وهو أن يظهر إيمانه بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وهو في الباطن منسلخ من ذلك كله مكذّب به (يوجب الخلود في الدرك الأسفل من النار)[2]

2 :- نفاق أصغر وهو عمل شيء من أعمال المنافقين مع بقاء الإيمان في القلب، وهذا لا يخرج من الملة – لكنه وسيلة إلى ذلك. وصاحبه يكون فيه إيمان ونفاق، وإذا كثر صار بسببه منافقا خالصًا .

قال النووي: معنى الحديث أن يَكُون نِفَاقُهُ فِي حَقِّ مَنْ حَدَّثَهُ وَوَعَدَهُ وَائْتَمَنَهُ وَخَاصَمَهُ وَعَاهَدَهُ مِنَ النَّاسِ لَا أَنَّهُ مُنَافِقٌ فِي الْإِسْلَامِ فَيُظْهِرُهُ وَهُوَ يُبْطِنُ الْكُفْرَ . [3]

---

[1] – شرح البخاري لابن بطال(91/1)

[2] – صفات النافقين لابن القيم ص 4

[3] – شرح النووي على مسلم(2/ 47).

وقال الإمام الخطابي -رَحِمَهُ ٱللَّهُ-: هذا القول إنما خرج على سبيل الإنذار للمرء المسلم، والتحذير له أن يعتاد هذه الخصال، فتفضي به إلى النفاق، لا أنّ من بدرت منه هذه الخصال، أو فعل شيئاً من ذلك من غير اعتياد أنه منافق.[1]

فالواجب على كل مسلم أن يخاف على نفسه النفاق و يبتعد عن خصاله ، قال : ابن أبي مليكة: (أدركت ثلاثين من أصحاب النبي - صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - كلهم يخاف النفاق على نفسه)[2]

قال شيخ الاسلام : (والنفاق شعب كثيرة، وقد كان الصحابة يخافون النفاق على أنفسهم)[3]

❁❁❁❁❁❁

التقويم

س - عرف النفاق ؟

س - اذكر أقسام النفاق ؟

س- ما معنى قوله - صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- (أربع من كن فيه كان منافقا خالصا) ؟ وما مدى خطورة النفاق الأصغر ؟

---

[1] - أعلام الحديث شرح صحيح البخاري (91/1)

[2] - أخرجه البخاري معلقا (1/18)

[3] - الإيمان ص168

الدرس السادس والعشرون
باب مِنْ اَلْأَحَادِيثِ اَلَّتِي فِيهَا ذِكْرُ اَلْبَرَاءَةِ

حدثني اِبْنُ أَبِي شَيْبَةَ قَالَ: حَدَّثَنَا عَفَّانُ قَالَ: حَدَّثَنَا جَرِيرُ بْنُ حَازِمٍ، عَن يَعْلَى بْنِ حَكِيمٍ، عَن أَبِي لَبِيدٍ، عَن عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ سُمْرَةَ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اَللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يَقُولُ: مَنْ اِنْتَهَبَ نُهْبَةً فَلَيْسَ مِنَّا حديث حسن

اِبْنُ أَبِي شَيْبَةَ قَالَ: حَدَّثَنَا خَالِدُ بْنُ مَخْلَدٍ عَن سُلَيْمَانَ بْنِ بِلَالٍ عَن سُهَيْلِ بْنِ أَبِي صَالِحٍ عَن أَبِيهِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اَللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: مَنْ غَشَّنَا فَلَيْسَ مِنَّا حديث صحيح

اِبْنُ أَبِي شَيْبَةَ قَالَ: حَدَّثَنَا وَكِيعٌ عَن اَلْوَلِيدِ بْنِ ثَعْلَبَةَ، عَن اِبْنِ بُرَيْدَةَ،عَنْ أَبِيهِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اَللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: لَيْسَ مِنَّا مَنْ حَلَفَ بِالْأَمَانَةِ، وَمَن خَبَّبَ عَلَى اِمْرِئٍ زَوْجَتَهُ أَوْ مَمْلُوكَهُ فَلَيْسَ هُوَ مِنَّا حديث صحيح

قَالَ مُحَمَّدٌ: مِن اَلْعُلَمَاءِ مَنْ قَالَ: مَعْنَى هَذِهِ اَلْأَحَادِيثِ لَيْسَ مِثْلَنَا، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: مَعْنَاهَا أَنَّهُ مَنْ فَعَلَ هَذِهِ اَلْأَفْعَالَ فَلَيْسَ مِن اَلْمُطِيعِينَ لَنَا وَلَيْسَ مِن اَلْمُقْتَدِينَ بِنَا وَلَا مِن اَلْمُحَافِظِينَ عَلَى شَرَائِعِنَا. هَذِهِ اَلنُّعُوتُ وَمَا أَشْبَهَهَا، إِمَّا أَنْ يَكُونَ اَلْمُرَادُ بِهَا اَلتَّبَرُّؤ مِمَّنْ فَعَلَهَا، وَأَمَّا أَنْ يَتَبَرَّأَ مِنْهُ فَيَكُونَ مِنْ غَيْرِ أَهْلِ اَلْمِلَّةِ فَلَا.

الشرح

فصل بيان مراد المصنف بذكر نصوص البرآءة

أراد المصنف -رَحِمَهُ اللَّهُ- بيان أن البراءة التي جاءت في هذه النصوص وأمثالها لا يراد بها البراءة الكاملة ،المستلزمة للخروج عن الملة، بل يراد بها الزجر والردع، والتخويف، لأن المسلم

عندما يسمع أن من عمل هذه الأعمال فقد تبرأ منه رسول الله – صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يحمله ذلك على الترك لهذه الأعمال المحرمة، وليس معنا هذه النصوص أن يصير من فعل شيئا منها كافرا بل معنا قوله صل الله عليه وسلم (فليس منا) ليس من طريقتنا وهدينا

قال القرطبيّ –رَحِمَهُ ٱللَّهُ- تعالى-: مذهب أهل الحقّ أنه لا يُكفّر أحدٌ من المسلمين بارتكاب كبيرة ما عدا الشرك، وعدى هذا فيُحمل قوله – صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: "ليس منّا" في مِثلِ هذا على معنى: ليس على طريقتنا، ولا على شريعتنا، إذ سنّة المسلمين، وشريعتهم التواصل والتراحم، لا التقاطع والتقاتل كما يقول الوالد لولده إذا سلك غير سبيله: لستُ منك، ولستَ مني .[1] وقال النوويّ –رَحِمَهُ ٱللَّهُ- : مذهب أهل السنّة والفقهاء أن من حمل السلاح على المسلمين بغير حقّ ولا تأويل ولم يستحلّه فهو عاص ولا يكفر بذلك، فإن استحلّه كفر.

فأما تأويل الحديث، فقيل: هو محمولٌ على المستحلّ بغير تأويل، فيكفر، ويخرُج من الملّة . [2]

❁❁❁❁❁❁



التقويم

س1– ما معنى قوله – صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- (ليس منا) في النصوص التي أوردها المصنف في هذا الباب ؟ وهل يلزم منها الخروج من الإسلام ؟

❁❁❁❁❁❁

[1] – المفهم على صحيح مسلم بواسطة ذخيرة العقبى في شرح المجتبى(32/ 84)

[2] – شرح مسلم(2/ 108)

الدرس السابع والعشرون
باب فِي اَلْوَعْدِ وَالْوَعِيدِ

وَقَدْ حَدَّثَنِي إِسْحَاقُ عَنِ أَحْمَدَ بْنِ خَالِدٍ، عَن اِبْنِ وَضَّاحٍ عَن اِبْنِ أَبِي شَيْبَةَ قَالَ: حَدَّثَنِي اِبْنُ عُيَيْنَةَ عَن اَلزُّهْرِيِّ، عَن أَبِي إِدْرِيسَ عَن عُبَادَةَ قَالَ: بَايَعْنَا رَسُولَ اَللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فَقَالَ: بَايِعُونِي عَلَى أَنْ لَا تُشْرِكُوا بِاَللَّهِ شَيْئًا، وَلَا تَسْرِقُوا وَلَا تَزْنُوا، فَمَنْ وَفَّى مِنكُمْ فَأَجْرُهُ عَلَى اَللَّهِ، وَمَنْ أَصَابَ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا فَعُوقِبَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَتُهُ، وَمَنْ أَصَابَ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا فَسَتَرَهُ اَللَّهُ فَذَلِكَ إِلَى اَللَّهِ إِنْ شَاءَ عَذَّبَهُ وَإِنْ شَاءَ غَفَرَ لَهُ حديث صحيح

اِبْنُ أَبِي شَيْبَةَ قَالَ: حَدَّثَنَا يَزِيدُ بْنُ هَارُونَ قَالَ: أَخْبَرَنِي يَحْيَى بْنُ سَعِيدٍ، عَن مُحَمَّدِ بْنِ يَحْيَى بْنِ حِبَّانَ أَخْبَرَهُ عَن اِبْنِ مُحَيْرِيزٍ اَلْقُرَشِيِّ أَخْبَرَهُ عَن اَلْمُخْدَجِيِّ رَجُلٍ مِنْ بَنِي كِنَانَةَ أَنَّهُ قَالَ: سَمِعْتُ عُبَادَةَ بْن اَلصَّامِتِ يَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اَللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يَقُولُ: خَمْسُ صَلَوَاتٍ كَتَبَهُنَّ اَللَّهُ عَلَى اَلْعِبَادِ، مَنْ جَاءَ بِهِنَّ لَمْ يُضَيِّعْ مِنْهُنَّ شَيْئًا جَاءَ وَلَهُ عِنْدَ اَللَّهِ عَهْدٌ أَنْ يُدْخِلَهُ اَلْجَنَّةَ، وَمَنْ اِنْتَقَصَ مِنْ حَقِّهِنَّ شَيْئًا جَاءَ وَلَيْسَ لَهُ عِنْدَ اَللَّهِ عَهْدٌ، وَإِنْ شَاءَ أَدْخَلَهُ اَلْجَنَّةَ حديث صحيح

قَالَ مُحَمَّدٌ: وَمِنْ قَوْلِ أَهْلِ اَلسُّنَّةِ أَنَّ اَلْوَعْدَ فَضْلُ اَللَّهِ -عَزَّ وَجَلَّ- وَنِعْمَتُهُ، وَالْوَعِيدَ عَدْلُهُ وَعُقُوبَتُهُ وَأَنَّهُ جَعَلَ اَلْجَنَّةَ دَارَ اَلْمُطِيعِينَ بِلَا اِسْتِثْنَاءٍ، وَجَهَنَّمَ دَارَ اَلْكَافِرِينَ بِلَا اِسْتِثْنَاءٍ، وَأَرْجَى لِمَشِيئَتِهِ مِنَ اَلْمُؤْمِنِينَ اَلْعَاصِينَ مَنْ شَاءَ وَاَللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ وَلَا يُسْأَلُ عَنْ فِعْلِهِ، وَقَالَ عَزَّ مِنْ قَائِلٍ فِيمَا وَعَدَ بِهِ اَلْمُؤْمِنِينَ اَلْمُطِيعِينَ ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٣﴾﴾ [النساء].

قَالَ فِي اَلْعُصَاةِ وَالْكَافِرِينَ: ﴿وَمَن يَعۡصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدۡخِلۡهُ نَارًا خَٰلِدٗا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٞ مُّهِينٞ ١٤﴾ [النساء].

وَقَالَ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِنَا سَوۡفَ نُصۡلِيهِمۡ نَارٗا كُلَّمَا نَضِجَتۡ جُلُودُهُم بَدَّلۡنَٰهُمۡ جُلُودًا غَيۡرَهَا لِيَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمٗا ٥٦ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَنُدۡخِلُهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ لَّهُمۡ فِيهَآ أَزۡوَٰجٞ مُّطَهَّرَةٞۖ وَنُدۡخِلُهُمۡ ظِلّٗا ظَلِيلًا ٥٧﴾ [النساء].

وَقَالَ: ﴿وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيۡطَٰنَ وَلِيّٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَقَدۡ خَسِرَ خُسۡرَانٗا مُّبِينٗا ١١٩ يَعِدُهُمۡ وَيُمَنِّيهِمۡۖ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ١٢٠ أُوْلَٰٓئِكَ مَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُ وَلَا يَجِدُونَ عَنۡهَا مَحِيصٗا ١٢١ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَنُدۡخِلُهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٗاۚ وَمَنۡ أَصۡدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلٗا ١٢٢﴾ [النساء].، وَقَالَ فِي اَلْمُرَجِّينَ لِمَشِيئَتِهِ مِنْ اَلْمُؤْمِنِينَ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: 48].

وَقَالَ: ﴿رَّبُّكُمۡ أَعۡلَمُ بِكُمۡۖ إِن يَشَأۡ يَرۡحَمۡكُمۡ أَوۡ إِن يَشَأۡ يُعَذِّبۡكُمۡۚ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ عَلَيۡهِمۡ وَكِيلٗا ٥٤﴾ [الإسراء]، فَوَعْدُهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لِلْمُؤْمِنِينَ اَلْمُطِيعِينَ صِدْقٌ، وَوَعِيدُهُ لِلْكُفَّارِ وَالْمُشْرِكِينَ حَقٌّ، وَمَنْ مَاتَ مِنْ اَلْمُؤْمِنِينَ مُصِرًّا عَلَى ذَنْبِهِ فَهُوَ فِي مَشِيئَتِهِ وَخِيَارِهِ، وَلَيْسَ لِأَحَدٍ أَنْ يَتَسَوَّرَ عَلَى اَللَّهِ فِي عِلْمِ غَيْبِهِ وَبِجُحُودِ قَضَائِهِ فَيَقُولُ أَبَى رَبُّكَ أَنْ يَغْفِرَ لِلْمُصِرِّينَ، كَمَا أَبَى أَنْ يُعَذِّبَ اَلتَّائِبِينَ، مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ.

الشرح

أي باب ما جاء :(عن السلف في تعاملهم مع نصوص) الوعد والوعيد

فصل تعريف الوعد والوعيد لغة واصطلاحا :-

(الوعد اللغة : يكون بالخير والشر)[1]

---

[1] - معجم مقاييس اللغة (6/ 125)

وشرعا : هي نصوص التي وعد الله بها المؤمنين من الثواب وسعة المغفرة والتجاوز عن السيئات

(والوعيد اللغة : فلا يكون إلا بالشر)[1]

وشرعا :- هي النصوص التي فيها توعد للعصاة بالعذاب والنكال.

معنى الإجمالي :

أراد المصنف -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- أن يبين كيفية تعامل أهل السنة والجماعة مع نصوص الوعد والوعيد التي جآءت في القرآن والسنة، وأنهم يخالفون طائفتين ضلتا في هذا الباب

(1) :- الطائفة الأولى الوعيدية من (الخوارج والمعتزلة) وهم الذين غلبوا نصوص الوعيد والعقاب، على نصوص الوعد والثواب، فحكموا على العصاة والمذنبين بالخلود في النار .

(2):- الطائفة الثانية (المرجئة) وهم الذين غلبوا آيات الوعد والجزاء والرحمة والغفران على نصوص الوعيد، فحملهم ذلك على ترك العمل والإسراف في الذنوب اتكالا منهم على سعة رحمة الله وعفوه ولم ينظروا إلى غضبه وعقابه

وأهل السنة في هذا الباب وسط بين الفرقتين وحق بين الضلالتين حيث يقولون :- بأن العاصي مستحق لدخول النار ، وإن دخلها لا يخلد فيها بل يعذب على قدر ذنبه ومعصيته، ثم يدخل الجنة لما وقر في قلبه من التوحيد والإيمان، وهذا فيه الجمع بين النصوص

مسألة : الرد على الوعيدية الذين غلبوا نصوص الوعيد : بأن الله سبحانه يغفر الذنوب جميعا إلا الشرك به كما قال سبحانه ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: 48].

ففي هذه الآية بيان سعة غفرانه سبحانه لجميع الذنوب إلا الشرك به سبحانه، وقد رد النبي - صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ- الذي أوتي جوامع الكلم على الطائفتين في كثير من الأحاديث فمنها ما جاء عَنْ أَنَسٍ -رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ - صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ-:

---

[1] - معجم مقاييس اللغة (6/ 125)

(مَنْ وَعَدَهُ اللهُ عَلَى عَمَلٍ ثَوَابًا فَهُوَ مُنْجِزُهُ لَهُ وَمَنْ وَعَدَهُ عَلَى عَمَلٍ عِقَابًا فَهُوَ فِيهِ بالخيار).[1]

ومنها حديث حديث عُبَادَةَ بْنَ الصَّامِتِ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- وفيه أنهم بَايعوا النبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- عَلَى أَنْ لاَ يشْرِكُوا بِاللهَّ شَيْئًا وَلاَ يسْرِقُوا وَلاَ يزْنُوا وَلاَ يقْتُلُوا أَوْلاَدَهمْ ولا يعصوا فِي مَعْرُوفٍ، فَمَنْ وَفَى مِنْكُمْ فَأَجْرُهُ عَلَى اللهَّ، وَمَنْ أَصَابَ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا فَعُوقِبَ فِي الدُّنْيَا فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ، وَمَنْ أَصَابَ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا ثُمَّ سَتَرَهُ اللهُ فَهُوَ إِلَى اللهَّ، إِنْ شَاءَ عَفَا عَنْهُ وَإِنْ شَاءَ عَاقَبَهُ» فَبَايَعْنَاهُ عَلَى ذَلِكَ رواه البخاري . وقد تقدم، فهذا الحديث فيه إعمال نبوي لنصوص الوعد والوعيد، وأن العبد إن عصا ربه فأمره في الآخرة إليه، إن شاء عذبه [خلافا للمرجئة الذين قالوا لا يضر مع الإيمان ذنب] وإن شاء عفا عنه [خلافا للخوارج القائلين بوجوب العذاب وبأنه مخلد في النار)]

وكذلك حديث الشفاعة وفيه (أخرجوا من النار من كان في قلبه مثقال حبة من إيمان)[2]، وحديث (شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي)[3]، وحديث الأقوام الذين يخرجون من النار وقد صاروا فحما فيطرحون في نهر الحياة ثم يدخلون الجنة ويسمون بالجهنميين، وكلها ترد على الطائفتين بإثبات أن المعاصي قد تدخل صاحبها النار لعدله سبحانهوإن دخلها لا يخلد فيها، وقد يغفرها الله له من غير عقاب ولا حساب ؛ لسعة مغفرته ورحمته، ومر ذكر شيء من هذه الأدلة في الأبواب السابقة

❁❁❁❁❁❁

(1) - السنة لابن أبي عاصم (2/ 466 رقم 960) حسنه الألباني بشواهده انظر الصحيحة (2463)

(2) - أخرجه البخاري في باب تفاضل الاعمال (1/ 13 - رقم 22)

(3) - رواه الترمذي(4/ 625) وصححه الألباني في المشكاة رقم (5598)

التقويم

س 1 – عرف الوعد والوعيد لغة وشرعا ؟

س 2 – ما الطوائف التي انحرفت في نصوص الوعد والوعيد ؟

س 3 – تكلم عن عقيدة أهل السنة في باب الوعد والوعيد ؟

س 4 – ما الرد على الوعيدية الذين حكموا بتخليد العصاة في النار ؟

س 5 – حديث عبادة بن الصامت فيه الرد على الطائفتين . ما وجه الدلالة منه ؟



الدرس الثامن والعشرون
باب في محبة أصحاب النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -

قَالَ مُحَمَّدٌ -رَحِمَهُ اللَّهُ-: وَمِنْ قَوْلِ أَهْلِ السُّنَّةِ أَنْ يَعْتَقِدَ الْمَرْءُ الْمَحَبَّةَ لِأَصْحَابِ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَأَنْ يَنْشُرَ مَحَاسِنَهُمْ وَفَضَائِلَهُمْ، وَيُمْسِكَ عَنِ الْخَوْضِ فِيمَا دَارَ بَيْنَهُمْ .

وَقَدْ أَثْنَى اللهُ -عَزَّ وَجَلَّ- فِي غَيْرِ مَوْضِعٍ مِنْ كِتَابِهِ ثَنَاءً أَوْجَبَ التَّشْرِيفَ إِلَيْهِمْ بِمَحَبَّتِهِمْ وَالدُّعَاءِ لَهُمْ فَقَالَ:

﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ ۚ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا ۖ سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٩﴾﴾ [الفتح].

وقال سبحانه: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴿٨﴾ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾﴾ [الحشر].

وَقَالَ النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: خَيْرُ أُمَّتِي قَرْنِي مِنْهُمْ ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ

حَدَّثَنِي بِذَلِكَ وَهْبٌ عَنِ ابْنِ وَضَّاحٍ عَنِ الصُّمَادِحِيِّ عَنِ ابْنِ مَهْدِيٍّ، عَنْ أَبِي عَوَانَةَ، عَنْ أَبِي بِشْرٍ جَعْفَرِ بْنِ إِيَاسٍ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ شَقِيقٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَذَكَرَ الْحَدِيثَ. حديث صحيح

يَحْيَى قَالَ: وَحَدَّثَنَا جَعْفَرُ بْنُ بُرْقَانَ عَنْ مَيْمُونِ بْنِ مِهْرَانَ قَالَ: ثَلَاثَةٌ اُرْفُضُوهُنَّ مُجَادَلَةُ أَصْحَابِ اَلْأَهْوَاءِ، وَشَتْمُ أَصْحَابِ رَسُولِ اَللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَالنَّظَرُ فِي اَلنُّجُومِ. حديث صحيح

يَحْيَى قَالَ: وَحَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ عَيَّاشٍ عَنْ اَلْأَعْمَشِ، عَنْ أَبِي صَالِحٍ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ اَلْخُدْرِيِّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اَللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: دَعُوا لِي أَصْحَابِي، لَا تَسُبُّوا أَصْحَابِي، فَإِنَّ أَحَدَكُمْ لَوْ أَنْفَقَ كُلَّ يَوْمٍ مِثْلَ أُحُدٍ لَمْ يَبْلُغْ مُدَّ أَحَدِهِمْ وَلَا نَصِيفَهُ حديث صحيح

الشرح

أي: باب في وجوب محبة أصحاب النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -

لأن من تمام محبة الله محبة أوليائه، وأهل طاعته، ومحل رضاه، وهم أصحاب محمد - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وهذا الباب الذي اختاره المصنف فيه عدة مسائل

فصل : التعريف بالصحابة

الصّحابيّ لغة:

مشتقّ من الصّحبة، وليس مشتقّا من قدر خاصّ منها، بل هو جار على كل من صحب غيره قليلا أو كثيرا.[1]

الصحابة : جمع صحابي: وهو من لقي النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - مؤمناَ به ومات على ذلك.[2]

فصل : مكانتهم وثناء الله عليهم

هذا الباب عقده المصنف لبيان مكانة الصحابة - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ - في قلوب المؤمنين، ومنزلتهم في الدين، وأن الإسلام ما أظهره الله إلا بهم ، وبصبرهم، وجهادهم، ونصرتهم لنبيهم - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فهم الذين كتبوا الوحي بين يدي رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -، وحفظوا

---

[1] - الإصابة في تمييز الصحابة (7/1)

[2] - الإصابة (8/1)

شريعة الله، وبلغوا سنة رسول الله، وفتحوا الأمصار، وعمروا الديار، نشروا العدل والقسط، أرشدوا إلى الأخلاق العظيمة، والآداب الكريمة، عرفوا التفسيرَ والتأويلَ، وهم الذين اختارهم اللهُ -عَزَّوَجَلَّ- لصحبة نبيِّه - صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ- ونصرتِه وإقامةِ دينه وإعلاءِ كلمته، فرضيهم له صحابةً، وجعلهم لنا أعلاماً وقدوةً، فحفظوا عنه - صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ- ما بلَّغهم عن الله -عَزَّوَجَلَّ- ، ووعَوْه وأتقنوه، فهم سادات الأمة، وقدوة الأئمة، أخبرنا الله برضاه عنهم فقال : سبحانه وتعالى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلۡأَوَّلُونَ مِنَ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحۡسَٰنٖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُ وَأَعَدَّ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي تَحۡتَهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ١٠٠﴾ [التوبة].

فرضي عن السابقين الأولين رضا مطلقا ورضي عن التابعين لهم بإحسان

فصل :بيان منزلتهم في كتاب الله سبحانه

وصف الله الصحابة - رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُمۡ -فقال ﴿مُّحَمَّدٞ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡۖ تَرَىٰهُمۡ رُكَّعٗا سُجَّدٗا يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٗاۖ سِيمَاهُمۡ فِي وُجُوهِهِم مِّنۡ أَثَرِ ٱلسُّجُودِۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمۡ فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِۚ وَمَثَلُهُمۡ فِي ٱلۡإِنجِيلِ كَزَرۡعٍ أَخۡرَجَ شَطۡـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسۡتَغۡلَظَ فَٱسۡتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعۡجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلۡكُفَّارَۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنۡهُم مَّغۡفِرَةٗ وَأَجۡرًا عَظِيمَۢا ٢٩﴾ [الفتح]. ، وأخبرنا الله برضاه عنهم فقال : ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلۡأَوَّلُونَ مِنَ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحۡسَٰنٖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُ وَأَعَدَّ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي تَحۡتَهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ١٠٠﴾ [التوبة].

وقوله : ﴿۞لَّقَدۡ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذۡ يُبَايِعُونَكَ تَحۡتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمۡ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيۡهِمۡ وَأَثَٰبَهُمۡ فَتۡحٗا قَرِيبٗا ١٨﴾ [الفتح].

ووعدهم بالجنة فقال: ﴿لَا يَسۡتَوِي مِنكُم مَّنۡ أَنفَقَ مِن قَبۡلِ ٱلۡفَتۡحِ وَقَٰتَلَۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَعۡظَمُ دَرَجَةٗ مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُواْ مِنۢ بَعۡدُ وَقَٰتَلُواْۚ وَكُلّٗا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلۡحُسۡنَىٰ﴾[الحديد: 0].

والحسنى هي الجنة قال ابن حزم عن هذه الآية الصحابة كلهم في الجنة وذلك أن الله يقول: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتۡ لَهُم مِّنَّا ٱلۡحُسۡنَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ عَنۡهَا مُبۡعَدُونَ ١٠١﴾ [الأنبياء].

فتبين أن الجميع في الجنة وأنه لا يدخل أحد منهم النار لأنهم المخاطبون في الآية السابقة.[1]

وصفهم الله بالإيمان الحق فقال جلا وعلا ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ حَقّٗاۚ لَّهُم مَّغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ ٧٤ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنۢ بَعۡدُ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ مَعَكُمۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ مِنكُمۡۚ وَأُوْلُواْ ٱلۡأَرۡحَامِ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلَىٰ بِبَعۡضٖ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمُۢ ٧٥﴾ [الأنفال].

وأن الهداية في اتباعهم فقال : ﴿فَإِنۡ ءَامَنُواْ بِمِثۡلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهۡتَدَواْ﴾ [البقرة: 137].

وقال تعالى ﴿وَٱتَّبِعۡ سَبِيلَ مَنۡ أَنَابَ إِلَيَّ﴾ [لقمان: 15].

، قال ابن القيم –رَحِمَهُ ٱللَّهُ– : وَكُلٌّ مِنْ الصَّحَابَةِ مُنِيبٌ إلَى اللهِ فَيَجِبُ اتِّبَاعُ سَبِيلِهِ([2]).

فقد تضمنت هذه الآيات ثناء الله –عَزَّوَجَلَّ– العظيم على الصحابة

كما أثنى الله على المستغفرين لهم فقال سبحانه :{﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ ١٠﴾ [الحشر].

فصل: بيان منزلتهم من السنة والآثار

اعلم – أيها الطالب الموفق – أن السنة المطهرة مليئة بالثناء عليهم، والإشادة بذكرهم، وأنهم خير القرون وصمام الأمان، إذا ذهبوا، وترك الناس علمهم أتاهم ما يوعدون

وقد بين النبي أنهم خير القرون فقال – صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ –: (خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ)[3]

وأنهم صمام الأمان فقال – صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ –: (وأصحابي أمنة لأمتي فإذا ذهب أصحابي أتى أمتي ما يوعدون)[4]

---

[1] - الإصابة (12/1)

[2] - إعلام الموقعين (4/ 100)

[3] - صحيح مسلم (4/ 1963)

[4] - صحيح مسلم (4/ 1963)

وأنهم خير العالمين فقال رَسُولُ اللهَّ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: (إِنَّ اللهَّ –عَزَّ وَجَلَّ- اخْتَارَ أَصْحَابِي عَلَى جَمِيعِ الْعَالَمِينَ ، إِلَّا النَّبِيِّينَ وَالْمُرْسَلِينَ)[1]

فالواجب علينا التأسي بهم قال ابْنُ مَسْعُودٍ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - : (مَنْ كَانَ مِنْكُمْ مُؤْتَسِيًا فَلْيَأْتَسِ بِأَصْحَابِ مُحَمَّدٍ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فَإِنَّهُمْ كَانُوا أَبَرَّ هَذِهِ الْأُمَّةِ قُلُوبًا وَأَعْمَقَهَا عِلْمًا وَأَقَلَّهَا تَكَلُّفًا وَأَقْوَمَهَا هَدْيًا وَأَحْسَنَهَا أَخْلَاقًا اخْتَارَهُمُ اللهُّ تَعَالَى لِصُحْبَةِ نَبِيِّهِ وَإِقَامَةِ دِينِهِ فَاعْرِفُوا لَهُمْ فَضْلَهُمْ وَاتَّبِعُوهُمْ فِي آثَارِهِمْ فَإِنَّهُمْ كَانُوا على هدى مُسْتَقِيم) [2]والأخذ بفهمهم وعلمهم كما قال ابْنُ مَسْعُودٍ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - : (لا يزال الناس بخير ما أتاهم العلم من أصحاب محمد – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ومن أكابرهم، فإذا أتاهم العلم من قبل أصاغرهم وتفرقت أهواؤهم هلكوا)[3]

واعتقاد طهارة قلوبهم الزكية كما قال ابْنُ مَسْعُودٍ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أيضا : (إن الله نظرَ في قلوب العباد، فوجَد قلبَ محمّدٍ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- خيرَ قلوب العباد، فاصطفاهُ لنفسه، فابتعثه برسالته، ثم نظر في قلوب العباد بعد قلب محمد – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ، فوجد قلوب أصحابه خير قلوب العباد، فجعلهم وزراء نبيِّه، يقاتِلون على دينه) [4]

قال القاضي عياض المالكي: (وَمِنْ تَوْقِيرِهِ وَبِرِّهِ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- تَوْقِيرُ أَصْحَابِهِ وَبِرُّهُمْ، وَمَعْرِفَةُ حَقِّهِمْ، وَالِاقْتِدَاءُ بِهِمْ، وَحُسْنُ الثَّنَاءِ عَلَيْهِمْ، وَالِاسْتِغْفَارُ لَهُمْ ،فلايُذْكَرَ أَحَدٌ مِنْهُمْ بِسُوءٍ ، بَلْ تُذْكَرَ حَسَنَاتُهُمْ وَفَضَائِلُهُمْ وَحَمِيدُ سيرهم)[5]

---

[1] – حسن أخرجه الآجري في الشريعة (1680/4)

[2] – أخرجه الآجري في الشريعة (4/ 1685) ، والهروي في ذم الكلام (4 / 288)

[3] – جامع بيان العلم وفضله(1/ 617)

[4] – رواه الإمام أحمد في (المسند) (379/1) ، وصحّح إسناده الشيخ أحمد شاكر (رقم 3600)

[5] – الشفا بتعريف بحقوق المصطفى (52/2)

فيجب علينا حبهم قال الْفُضَيْلَ بْن عِيَاضٍ يَقُولُ: " حُبُّ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - ذُخْرٌ أَدَّخِرُهُ و رَحِمَ اللهُ مَنْ تَرَحَّمَ عَلَى أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -)

فصل : تفضيل الصحابة

أفضل الصحابة إجمالا هم المهاجرون

الذين وصفهم الله بترك أوطانهم وأموالهم من أجل الله ونصرة دينه وابتغاء فضله ورضوانه، وأنهم في ذلك صادقون

قال تعالى عنهم : ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ۝٨﴾[الحشر].. وقال - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - «لِلْمُهَاجِرِينَ مَنَابِرُ مِنْ ذَهَبٍ يَجْلِسُونَ عَلَيْهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ قَدْ أَمِنُوا مِنَ الْفَزَعِ)[1]، وقال - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -:(فقراء المهاجرين يدخلون الجنة قبل أغنيائهم بخمسمائة عام)[2]

ومن المهاجرين على سبيل الخصوص العشرة المبشرين بالجنة لقول النبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : (أبو بكر في الجنة، وعمر في الجنة، وعثمان في الجنة، وعلي في الجنة، وطلحة في الجنة، والزبير في الجنة، وسعد في الجنة، وسعيد في الجنة، وعبد الرحمن بن عوف في الجنة، وأبو عبيدة بن الجراح في الجنة)[3]

وبعدهم الأنصار

الذين وصفهم الله بأنهم أهل دار الهجرة، والنصرة، والإيمان الصادق، ووصفهم بمحبة إخوانهم المهاجرين، وإيثارهم على أنفسهم، ومواساتهم لهم، وسلامتهم من الشح، وبذلك حازوا على الفلاح قال جلا وعلا ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي

---

[1] - رواه ابن حبان (16/ 253) ، والحاكم (4/ 86) الصحيحة (3584)

[2]- رواه الترمذي (4/ 577) صحيح انظر (المشكاة 5243)

[3] - صحيح سنن الترمذي(248/8)

صُدُورِهِمۡ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُواْ وَيُؤۡثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ وَلَوۡ كَانَ بِهِمۡ خَصَاصَةٞۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفۡسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ۝٩﴾ [الحشر].

وقد بين النبي – صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ– أن بغضهم علامة نفاق فقال رسول الله – صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ–:(لا يبغض الأنصار رجل يؤمن بالله واليوم الآخر)[1]، وقال عليه الصلاة والسلام (لا يحب الأنصار إلا مؤمن، ولا يبغضهم إلا منافق، من أحبهم أحبه اللهَّ، ومن أبغضهم أبغضه اللهَّ)[2]

وأهل بدر

أي أن أفضل الصحابة من المهاجرين والأنصار هم أهل بدر

لشهودهم أول معركة مع الكفار، وثباتهم في القتال ، وَكَانُوا ثَلاثَ مِائَةٍ وَبِضْعَةَ عَشَر حتى قال فيهم – صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ– : (لعل اللهَّ تعالى اطلع على أهل بدر فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم)[3]، وقال – صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ– :(لن يدخل النار رجل شهد بدرًا والحديبية)[4].

قال الإمام أحمد :(ثم من بعد أَصْحَاب الشورى، أهل بدر من الْمُهَاجِرين ثمَّ أهل بدر من الْأَنْصَار)[5]

وأهل بيعة الرضوان

وقد قال الله فيهم ﴿۞لَّقَدۡ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذۡ يُبَايِعُونَكَ تَحۡتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمۡ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيۡهِمۡ وَأَثَٰبَهُمۡ فَتۡحٗا قَرِيبٗا ۝١٨﴾[الفتح]. وَكَانُوا أَكْثَرَ مِنْ أَلْفٍ وَأَرْبَعِ مِائَة

وقال – صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ–: (لن يلج النار أحد شهد بدرًا أو بيعة الرضوان)[1]

---

[1] - رواه مسلم (رقم 77)

[2] - رواه أحمد (30/ 459) (الصحيحة 1975)

[3] - رواه البخاري (6/ 149) ومسلم(4/ 1941)

[4] - رواه أحمد (23/ 410) (الصحيحة 2160)

[5] - أصول السنة ص38

ثم وَيُفَضِّلُونَ -من الصحابة - مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ - وَهُوَ صُلْحُ الْحُدَيْبِيَةِ - وَقَاتَلَ عَلَى مَنْ أَنْفَقَ مِنْ بَعْدُ وَقَاتَلَ ، وكلهم موعودون بالجنة.[2]

فصل : الإمساك عما جرى بينهم

اعلم -أيها الطالب- أن السلف لا يذكرون الصحابة إلا بالثناء والمدح ، ويمسكون عن الكلام في ما شجر بينهم لقول رسولنا - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: (إِذَا ذُكِرَ أَصْحَابِي فَأَمْسِكُوا)[3]. وقد أمرنا الله سبحانه بالاستغفار لهم فقال سبحانه :

﴿وَالَّذِينَ جَاءُو مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿١٠﴾﴾ [الحشر].

وعن العَوَّام بن حَوْشَبٍ -رَحِمَهُ اللَّهُ- قال :(أَدْرَكْتُ مَنْ أَدْرَكْتُ مِنْ صَدْرِ هَذِهِ الأُمَّةِ بَعْضُهُم يَقُوْلُ لبَعْضٍ: اذْكُرُوا مَحَاسِنَ أَصْحَابِ رَسُوْلِ الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - لِتأْتَلِفَ عَلَيْها القُلُوْبُ، ولا تَذْكُرُوا ما شَجَرَ بَيْنَهم فَتُجَسِّرُوا النَّاسَ عَلَيْهِم)[4]، وقال القاضي عياض(المالكي) -رَحِمَهُ اللَّهُ-: (الْإِمْسَاكُ عَمَّا شَجَرَ بَيْنَهُمْ، وَمُعَادَاةُ مَنْ عَادَاهُمْ، والإضراب عَنْ أَخْبَارِ الْمُؤَرِّخِينَ، وَجَهَلَةِ الرُّوَاةِ، وَضُلَّالِ الشِّيعَةِ وَالْمُبْتَدِعِينَ الْقَادِحَةِ فِي أَحَدٍ مِنْهُمْ)[5]

فصل : النهي عن سبهم وبين حكمه

اعلم -أيها الطالب- أن سب الصحابة من كبائر الذنوب التي تستوجب الطرد والإبعاد من رحمة الله ، وهي علامة من علامات الزندقة والبغض للشريعة عياذا بالله فقد قَالَ رَسُولُ اللهِ، - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: (لَا تَسُبُّوا أَحَدًا مِنْ أَصْحَابِي، فَإِنَّ أَحَدَكُمْ لَوْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا مَا أَدْرَكَ مُدَّ

---

(1) - (الصحيحة 2160)

(2) - العقيدة الواسطية ص 115

(3) - رواه الطبراني في المعجم الكبير (2/ 96) انظر الصحيحة (1/ 75)

(4) - «الجامعُ لأحكامِ القُرآن للقُرْطُبيِّ(374/20). والعوام ثقة ثبت(تقريب (5211)

(5) - الشفا بتعريف بحقوق المصطفى (2/ 52)

أَحَدِهِمْ وَلَا نَصِيفَهُ) [1]، وقال – صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -:(من سب أصحابي فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين)[2]، وعَنِ ابْنِ عُمَرَ يَقُولُ: لَا تَسُبُّوا أَصْحَابَ مُحَمَّدٍ – صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -، فَلَمُقَامُ أَحَدِهِمْ سَاعَةً، خَيْرٌ مِنْ عَمَلِ أَحَدِكُمْ عُمْرَهُ)[3]، وقد انتزع الإمام مالك من قوله سبحانه ﴿ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ﴾ تكفير الرافضة الذين يبغضون الصحابة[4]، وقال الإمام البربهاري: (واعلم أنه من تناول أحدا من أصحاب محمد – صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -، فاعلم أنه إنما أراد محمدا – صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -، وقد آذاه في قبره)[5]

وعن الإمام أحمد أنه قال: (إذا رأيت رجلاً يذكر أحداً من أصحاب رسول الله – صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - بسوء فاتهمه على الإسلام)[6]

وقال أبو زرعة: (إذا رأيت الرجل ينتقص أحداً من أصحاب رسول الله – صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فاعلم أنه زنديق، وذلك أن الرسول – صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - عندنا حق، والقرآن حق، وإنما أدى إلينا هذا القرآن والسنن أصحاب رسول الله – صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -، وإنما يريدون أن يجرحوا شهودنا ليبطلوا الكتاب والسنة، والجرح بهم أولى، وهم زنادقه)[7] والحاصل : (فمن من هذه النصوص تعلم ما عليه الشيعة في زماننا من الكفر بالله حيث جعلوا دينهم مبنيا على تكفير الصحابة والطعن فيهم بل والطعن في زوجات رسول الله – صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -والطعن في أحب زوجاته

---

[1] – رواه البخاري (5 / 8 رقم 3673) ومسلم (4/ 1967)

[2] – رواه الآجري في الشريعة (5/ 2503) انظر الصحيحة (2340)

[3] – رواه ابن ماجة (1/ 57 / رقم 162)،وحسنه الألباني

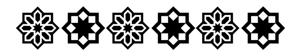
[4] – تفسير ابن كثير لسورة الفتح

[5] – شرح السنة للبربهاري ص 120

[6] – مناقب الإمام أحمد لابن الجوزي ص 216

[7] – رواه الخطيب في الكفاية ص 49

إليه عائشة - رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا -وأرضاها، وادعاء الإمامة، وتأليه علي -رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ - وذريته ، وأنهم يعلمون الغيب ويبغضون السنة ويكفرون الأمة نسأل الله السلامة والعافية .



التقويم

س 1 - من هم الصحابة ؟

س 2 - تكلم عن منزلة الصحابة وما أعده الله لهم جميعا ؟

س 3 - من أفضل الصحابة عموما ؟ ثم اذكر ترتيبهم في الفضل ؟

س 4 - من عقيدة أهل السنة والجماعة الإمساك عما شجر بينهم . ناقش ذلك ؟

س 5 - ما حكم من سب أصحاب النبي - صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ -؟ وما هي الفرقة التي تميزت بذلك ؟

س 6 - ما واجبنا نحو أصحاب المصطفى - صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ -؟



الدرس التاسع والعشرون
باب فِي تَقَدُّمِ أبي بَكْرٍ وَعُمَرَ وَعُثْمَانَ وَعَلِيٍّ

قَالَ مُحَمَّدٌ: وَمِنْ قَوْلِ أَهْلِ اَلسُّنَّةِ أَنَّ أَفْضَلَ هَذِهِ اَلْأُمَّةِ بَعْدَ نَبِيِّنَا - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -أَبُو بَكْرٍ

وَعُمَرُ، وَأَفْضَلَ اَلنَّاسِ بَعْدَهُمَا عُثْمَانُ وَعَلِيٌّ.

وَحَدَّثَنِي وَهْبٌ عَن اِبْنِ وَضَّاحٍ قَالَ: حَدَّثَنَا اِبْنُ أَبِي شَيْبَةَ قَالَ: حَدَّثَنَا شَاذَانُ عَن عَبْد الْعَزِيزِ بْنِ أَبِي سَلَمَةَ عَنْ عُبَيْدِ الله، عَن نَافِعٍ، عَن اِبْنِ عُمَرَ قَالَ: كُنَّا نُفَاضِلُ وَرَسُولُ اَللهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -وَأَصْحَابُهُ مُتَوَافِرُونَ فَنَقُولُ رَسُولُ اَللهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -فَأَبُوبَكْرٍ وَعُمَرُ وَعُثْمَانُ ثُمَّ نَسَكْتُ حديث صحيح

الشرح

هذا الباب عقده المصنف لبيان أن أفضل الصحابة على الإطلاق هم الخلفاء الراشدون خاصة

فصل : تقديم أبو بكر وعمر وعثمان وعلي في الفضل

اعلم -أيها الطالب وفقك الله لاتباع الحق- أن أفضل الصحابة على الإطلاق هم الخلفاء الراشدون أبو بكر، ثم عمر، ثم عثمان، ثم علي ثم باقي العشرة، وكلهم من المهاجرين ، ثم الأنصار، ثم أهل بدر، ثم أهل بيعة الرضوان _ وقيل أهل أحد قبلهم_ والأول هو الأظهر، ثم من أنفق قبل فتح مكة وقاتل، ثم من أنفق بعد الفتح ثم الأسبق فالأسبق (فرضوان الله عليهم أجمعين) .

وهذا الباب عقده المصنف لبيان أفضل الصحابة إطلاقا وهم الخلفاء الراشدون

وأفضلهم أبو بكر الصديق -رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ - وهو الخليفة الراشد الأول

ثم عمر الفاروق -رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ - الخليفة الراشد الثاني

ثم عثمان ذو النورين -رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ - الخليفة الراشد الثالث

ثم علي بن أبي طالب -رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ - الخليفة الراشد الرابع

وترتيبهم في الفضل كترتيبهم في الخلافة

وفضائلهم أشهر من أن تذكر ، أكثر من أن تحصر وقد حث النبي - صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -على اتباعهم وأن لهم سنة تتبع

قال عليه الصلاة والسلام : (عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهدين من بعدي)[1]، وقال ابن عمر -رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ - كُنَّا نُفَاضِلُ وَرَسُولُ اَللَّهِ - صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -وَأَصْحَابُهُ مُتَوَافِرُونَ فَنَقُولُ رَسُولُ اَللَّهِ - صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -فَأَبُوبَكْرٍ وَعُمَرُ وَعُثْمَانُ ثُمَّ نَسَكْتُ [2]

فقوله (وَرَسُولُ اَللَّهِ - صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -والصحابة متوافرون) أي أن هذا إقرار من الرسول صل الله عليه وسلم وإجماع من الصحابة من غير نكير ولا اختلاف

قال الإمام الشافعي: أجمع الصحابة وأتباعهم على أفضلية أبي بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي [3].

فصل : الرد على الروافض والخوارج الذين يطعنون في الخلفاء الراشدين - رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ - ، وحكم من طعن في خلافة عثمان .

اعلم -أيها الطالب - أن الروافض الملاعين هم ألد أعداء الصحابة - رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ - ، حيث كفروهم ، ولعنوهم ، وجعلوا عقيدتهم مبنية علي تكفير الصحابة ، ولعنهم حتى قالوا : (لعنة الله على أبي بكر ، وعمر ولعنة الله على من لم يلعنهما عياذا بالله تعالى من هذه المقالة الكفرية

---

[1] - رواه الترمذي (5/ 55 رقم 2676)

[2] - صحيح ظلال الجنة في تخريج السنة(2/ 566 رقم1190)

[3] - فتح الباري (17/7)

وقد مر معنا أن الذي يغتاظ من الصحابة ويسبهم يخرج من الإسلام فما بالك بمن يطعن في أفضل الصحابة وهم الخلفاء الراشدون رضوان الله عليهم أجمعين

والخوارج أبغضوا عثمان، طعنوا في حتى خرجوا عليه، وقتلوه ظلما في داره -رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ -

وأثر ابن عمر دليل على إجماع الصحابة على أفضلية عثمان حيث قال :

كنا نقول، ورسولُ اللهَّ - صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -حَيٌّ: [أفضل خلافته أمَّةِ] النبي - صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -بعده: أبو بكر، ثم عمر، ثم عثمانُ - رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ -أجمعين". تقدم تخريجه

وهو الخليفة الثالث الذي أجمع عليه الصحابة من المهاجرين والأنصار بعد عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ- -وقد جاء عن السلف أهم قالوا: (من طعن في خلافة عثمان؛ فقد أزرى بالمهاجرين والأنصار)[1].

قال شيخ الإسلام :(يُؤْمِنُونَ أي أهل السنة : بِأَنَّ الْخَلِيفَةَ بَعْدَ رَسُولِ اللهَّ - صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- : أَبُو بَكْرٍ، ثُمَّ عُمَرُ، ثُمَّ عُثْمَانُ، ثُمَّ عَلِيٌّ، - رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ -، وَمَنْ طَعَنَ فِي خِلَافَةِ أَحَدٍ مِنْ هَؤُلَاءِ الْأَئِمَّةِ؛ فَهُوَ أَضَلُّ مِنْ حِمَارِ أَهْلِهِ).[2]



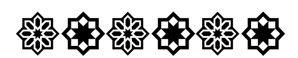
[1] - مجموع الفتاوى (4/ 426)

[2] - العقيدة الواسطية

التقويم

س 1 – من أفضل الصحابة على الإطلاق ؟

س 2 – الخلفاء الراشدون لهم سنة متبعة اذكر الدليل على ذلك ؟



الدرس الثلاثون
باب في وُجُوبِ السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ

قَالَ مُحَمَّدٌ: وَمِنْ قَوْلِ أَهْلِ اَلسُّنَّةِ أَنَّ اَلسُّلْطَانَ ظِلُّ اَللَّهِ فِي اَلْأَرْضِ، وَأَنَّهُ مَنْ لَمْ يَرَ عَلَى نَفْسِهِ سُلْطَانًا بَرًّا كَانَ أَوْ فَاجِرًا فَهُوَ عَلَى خِلَافِ اَلسُّنَّةِ، وَقَالَ -عَزَّوَجَلَّ-: ﴿أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡ﴾ [النساء: 59].

وَفَسَّرَ أَهْلُ اَلْعِلْمِ هَذِهِ اَلْآيَةَ بِتَفَاسِيرَ تَئُولُ إِلَى مَعْنًى وَاحِدٍ إِذَا تَعَقَّبَهَا مُتَعَقِّبٌ، كَانَ اَلْحَسَنُ يَقُولُ: هُمْ اَلْعُلَمَاءُ، وَكَانَ اِبْنُ عَبَّاسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا- يَقُولُ: هُمْ أُمَرَاءُ اَلسَّرَايَا كَانَ رَسُولُ اَللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-إِذَا بَعَثَ سَرِيَّةً أَمَّرَ عَلَيْهِمْ رَجُلًا، وَأَمَرَهُمْ أَنْ لَا يُخَالِفُوهُ وَأَنْ يَسْمَعُوا لَهُ وَيُطِيعُوا وَكَانَ زَيْدُ بْنُ أَسْلَمَ يَقُولُ: هُمْ اَلْوُلَاةُ أَلَّا تَرَى أَنَّهُ بَدَأَ بِهِمْ فَقَالَ:{ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّواْ الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا }[1] يَعْنِي: اَلْفَيْءَ وَالصَّدَقَاتِ اَلَّتِي اِسْتَامَنَهُمْ عَلَى جَمْعِهَا وَقَسْمِهَا ﴿وَإِذَا حَكَمۡتُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحۡكُمُواْ بِٱلۡعَدۡلِ﴾ [النساء:58].

) قَالَ: فَأَمَرَ اَلْوُلَاةَ ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْنَا نَحْنُ فَقَالَ: ﴿أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡ﴾ ، إِذَا لَمْ يَكُنْ فِيكُمْ مَالٌ، قَالَ: ثُمَّ خَرَجَ فَقَالَ:{إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً عَاقِبَةً }[2].

---

(1) – [سورة النساء آية 57]

(2) – [سورة النساء آية 58]

قَالَ مُحَمَّدٌ: فَالسَّمْعُ وَالطَّاعَةُ لِوُلَاةِ اَلْأَمْرِ أَمْرٌ وَاجِبٌ وَمَهْمَا قَصَّرُوا فِي ذَاتِهِمْ فَلَمْ يَبْلُغُوا اَلْوَاجِبَ عَلَيْهِمْ، غَيْرَ أَنَّهُمْ يُدْعَوْنَ إِلَى اَلْحَقِّ، وَيُؤْمَرُونَ بِهِ، وَيَدُلُّونَ عَلَيْهِ، فَعَلَيْهِمْ مَا حُمِّلُوا وَعَلَى رَعَايَاهُمْ مَا حُمِّلُوا مِنْ اَلسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ لَهُمْ.

وَحَدَّثَنِي إِسْحَاقُ عَنْ أَحْمَدَ بْنِ خَالِدٍ، عَن اِبْنِ وَضَّاحٍ عَن اِبْنِ أَبِي شَيْبَةَ قَالَ: حَدَّثنَا مُعَاذُ بْنُ مُعَاذٍ عَنْ عَاصِمِ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَن اِبْنِ عُمَر - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا- قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اَللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -يَقُولُ: لَا يَزَالُ هَذَا اَلْأَمْرُ فِي قُرَيْشٍ مَا بَقِيَ مِنْ اَلنَّاسِ اِثْنَانِ حديث صحيح

اِبْنُ أَبِي شَيْبَةَ قَالَ: حَدَّثَنِي اَلْفَضْلُ بْنُ دُكَيْنٍ عَنْ عَبْدِ الله بْنِ مُبَشِّرٍ، عَنْ زَيْدِ بْنِ أَبِي عَتَّابٍ قَالَ: قَامَ مُعَاوِيَةُ عَلَى اَلْمِنْبَرِ فَقَالَ: قَالَ اَلنَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: اَلنَّاسُ تَبَعٌ لِقُرَيْشٍ فِي هَذَا اَلْأَمْرِ خِيَارُكُمْ فِي اَلْجَاهِلِيَّةِ خِيَارُكُمْ فِي اَلْإِسْلَامِ حديث صحيح

ابْنُ أَبِي شَيْبَةَ قَالَ: وَحَدَّثَنَا شَبَابَةُ بْنُ مَسْعُورٍ قَالَ: حَدَّثَنَا شُعْبَةُ عَن سِمَاكٍ، عَنْ عَلْقَمَةَ بْنِ وَائِلٍ اَلْحَضْرَمِيِّ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: سَأَلَ يَزِيدُ بْنُ سَلَمَةَ الْجُعْفِيُّ رَسُولَ اَللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -فَقَالَ: يَا رَسُولَ اَللَّهِ: أَرَأَيْتَ لَوْ كَانَتْ عَلَيْنَا أُمَرَاءُ يَسْأَلُونَا حَقَّهُمْ وَيَمْنَعُونَا حَقَّنَا فَمَاذَا تَامُرُنَا؟ فَأَعْرَضَ عَنْهُ، ثُمَّ سَأَلَهُ فَأَعْرَضَ عَنْهُ، فَجَذَبَهُ اَلْأَشْعَثُ بْنُ قَيْسٍ فِي اَلثَّالِثَةِ أَوْ فِي اَلثَّانِيَةِ، فَقَالَ رَسُولُ اَللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: اِسْمَعُوا وَأَطِيعُوا، إِنَّمَا عَلَيْهِمْ مَا حُمِّلُوا وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ حديث صحيح

اِبْنُ أَبِي شَيْبَةَ قَالَ: وَحَدَّثَنَا وَكِيعٌ عَن اَلْأَعْمَشِ، عَنْ زَيْدِ بْنِ وَهْبٍ، عَنْ عَبْدِ الله بْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اَللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: إِنَّهَا سَتكُونُ بَعْدِي أَثَرَةٌ وَأُمُورٌ تُنْكِرُونَهَا قُلْنَا: فَمَا تَامُرُ مَنْ أَدْرَكَ مِنَّا ذَلِكَ؟ قَالَ: تُؤَدُّونَ اَلْحَقَّ اَلَّذِي عَلَيْكُمْ وَتَسْأَلُونَ اَللَّهَ اَلَّذِي لَكُمْ . حديث صحيح

اِبْنُ أَبِي شَيْبَةَ قَالَ: حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ آدَمَ عَنْ حَمَّادِ بْنِ زَيْدٍ، عَنْ اَلْجَعْدِ أَبِي عُثْمَانَ أَنَّهُ سَمِعَ أَبَا رَجَاءٍ الْعُطَارِدِيَّ يُحَدِّثُ أَنَّهُ سَمِعَ اِبْنَ عَبَّاسٍ يَرْوِيهِ عَنْ اَلنَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- .قَالَ: مَنْ رَأَى مِنْ أَمِيرِهِ شَيْئًا يَكْرَهُهُ فَلْيَصْبِرْ فَإِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَحَدٍ يُفَارِقُ اَلْجَمَاعَةَ شِبْرًا فَيَمُوتُ إِلَّا مِيتَةً جَاهِلِيَّةً حديث صحيح

وَحَدَّثَنِي وَهْب عَن اِبْنِ وَضَّاحٍ عَنْ الصُّمَادِحِيِّ عَنْ اِبْنِ مَهْدِيٍّ قَالَ: حَدَّثَنَا أَبَانُ بْنُ يَزِيدَ عَنْ يَحْيَى بْنِ أَبِي كَثِيرٍ، عَنْ زَيْدِ بْنِ سَلَّامٍ أَنَّهُ حَدَّثَهُ أَنَّ أَبَا سَلَّامٍ حَدَّثَهُ أَنَّ اَلْحَارِثَ اَلْأَشْعَرِيَّ حَدَّثَهُ أَنَّ رَسُولَ اَللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-قَالَ: وَأَنَا آمُرُكُمْ بِخَمْسٍ أَمَرَنِي اَللَّهُ بِهِنَّ؛ اَلْجَمَاعَةِ وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ، وَالْهِجْرَةِ وَالْجِهَادِ فِي سَبِيلِ اَللَّهِ فَمَنْ فَارَقَ اَلْجَمَاعَةَ قِيدَ شِبْرٍ فَقَدْ خَلَعَ اَلْإِسْلَامَ مِنْ رَاسِهِ إِلَّا أَنْ يَرْجِعَ وَمَنْ اِدَّعَى دَعْوَى جَاهِلِيَّةٍ فَإِنَّهُ مِنْ جُثَا جَهَنَّمَ

فَقَالَ رَجُلٌ وَإِنْ صَامَ وَصَلَّى؟ قَالَ: وَإِنْ صَامَ وَصَلَّى؟ تَدَاعَوْا بِدَعْوَى اَللَّهِ اَلَّذِي سَمَّاكُمْ اَلْمُسْلِمِينَ اَلْمُؤْمِنِينَ عِبَادَ اَللَّهِ حديث صحيح

اِبْنُ مَهْدِيٍّ قَالَ: حَدَّثَنَا إِسْرَائِيلُ بْنُ يُونُسَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ عَبْد الْأَعْلَى عَنْ سُوَيْدِ بْنِ غَفَلَةَ قَالَ: أَخَذَ عُمَرُ بِيَدِي فَقَالَ: يَا أَبَا أُمَيَّةَ إِنِّي لَا أَدْرِي لَعَلَّنَا لَا نَلْتَقِي بَعْدَ يَوْمِنَا هَذَا، اِتَّقِ اَللَّهَ رَبَّك إِلَى يَوْمٍ تَلْقَاهُ كَأَنَّكَ تَرَاهُ وَأَطِعْ اَلْإِمَامَ وَإِنْ كَانَ عَبْدًا حَبَشِيًّا مُجَدَّعًا، إِنْ ضَرَبَكَ فَاصْبِرْ، وَإِنْ أَهَانَك فَاصْبِرْ، وَإِنْ أَمَرَكَ بِأَمْرٍ يُنْقِصُ دِينَكَ فَقُلْ طَاعَةُ دَمِي دُونَ دِينِي، وَلَا تُفَارِقْ اَلْجَمَاعَةَ. حديث صحيح

اِبْنُ مَهْدِيٍّ قَالَ: حَدَّثَنَا سُفْيَانُ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ اَلْمُنْكَدِرِ قَالَ: لَمَّا بُويِعَ لِيَزِيدَ بْنِ مُعَاوِيَةَ ذَكَرَ ذَلِكَ اِبْنُ عُمَرَ فَقَالَ: إِنْ كَانَ خَيْرًا رَضِينَا وَإِنْ كَانَ شَرًّا صَبَرْنَا.

الشرح

هذا الباب عقده المصنف لبيان أصل عظيم من أصول اعتقاد أهل السنة ، وهو طاعة ولاة الأمر في غير معصية الله -عَزَّوَجَلَّ- ، خلافا لأهل البدع الذين انحرفوا عن هذا الأصل، واتبعوا

مذهب الخوارج ، وحملوا السيف على أمة محمد - صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -، وسفكوا الدماء ، ونهبوا الأموال ، وهتكوا الأعراض ، وكل أهل البدع مع اختلاف فرقهم ومسمياتهم يرون وجوب الخروج على ولاة الأمر الجائرين، وأما أهل السنة يرون وجوب السمع والطاعة لحكام المسلمين وإن ظلموا وجاروا مالم يكفروا بالله -عَزَّوَجَلَّ- وسيأتي ذكر الأدلة على عقيدتهم التي بها يتمسكون، وعليها ثابتون

واعلم أن جميع أهل البدع يختلفون في الأسماء ، ويجتمعون على السيف والخروج ، كما جاء عن أيوب السختياني أنه كان يسمي أهل البدع (خوارج) ويقول: (إن الخوارج اختلفوا في الاسم، واجتمعوا على السيف)[1] وقد ذكر المصنف في هذا الباب عدة مسائل :

فصل : أهمية ولاة الأمر وأنه سلطان الله في الأرض

لا شك أن ولاة الأمور، وحكام المسلمين، لهم شأن عظيم في الإسلام، حيث يقومون بواجبات كثيرة، وعلى عواتقهم أعباء ثقيلة، منها إقامة دين الله -عَزَّوَجَلَّ- -وهو أعظمها- ، وتوفير الأمن والأمان، والقيام بحقوق الرعية، وأخذ حق المظلوم من ظالمه، وحماية الوطن من عدوه، فكان من الواجبات الشرعية لحصول هذه المصالح المرعية ، طاعتهم في معروف ، وعدم الخروج عليهم ، لتجتمع عليهم كلمة المسلمين، ولهذا عظم الشرع شأنهم، ونهى عن الخروج عليهم أو سبهم أو الطعن فيهم ، فقال عليه الصلاة والسلام :(السلطان ظل الله في الأرض)[2]وقال عليه الصلاة والسلام :«من أهان سلطان الله في الأرض أهانه الله)[3]، عن أنس -

[1] - الاعتصام الشاطبي (1/ 113)

[2] - حسن بمجموع طرقه السنة لابن أبي عاصم (2/ 492) انظر الصحيحة رقم (2297)

[3] - الصحيحة (2296)

-رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال نهانا كبراؤنا من أصحاب محمد فقالوا : (لا تَسُبُّوا أُمَرَاءَكُمْ وَلا تَغِشُّوهُمْ وَلا تَبْغَضُوهُمْ وَاتَّقُوا اللهَ واصبروا فإن الأمر قريب).[1]

مسألة : ما حكم من مات ولم ير عليه بيعة للسلطان ؟

اعلم -أيها الطالب- أن خلع البيعة ، والخروج على حكام المسلمين من منهج الخوارج المارقين وهو مخالف للسنة والإجماع ، ومن مات وليس في عنقه بيعة للحاكم مات ميتة جاهلية

واعلم أن الصبر على ظلمه مع الحفاظ على الجماعة، خير من الخروج عليه لعظم مفسدة الفرقة ، وقد ذكر المصنف حديث ابن عباس -رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ - أن النبي - صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ-.قَالَ: (مَنْ رَأَى مِنْ أَمِيرِهِ شَيْئًا يَكْرَهُهُ فَلْيَصْبِرْ عَلَيْهِ فَإِنَّهُ مَنْ فَارَقَ الجَمَاعَةَ شِبْرًا فَمَاتَ، إِلَّا مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً) [2]

فصل : تفسير قوله تعالى:﴿أَطِيعُواْٱللَّهَوَأَطِيعُواْٱلرَّسُولَوَأُوْلِيٱلۡأَمۡرِمِنكُمۡ﴾.

اعلم - أيها الطالب - أن هذه الآية حجة دامغة في وجوه أهل الباطل، الذين لا يعرفون للسلطان حقا، فهذه الآية دليل على وجوب طاعة ولاة الأمر من الحكام والأمراء والعلماء، ولكن طاعتهم تابعة لطاعة الله وطاعة رسوله مقيدة بكونها في معروف كما دلت عليها النصوص الأخرى منها قوله - صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ-: (لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق)[3]، ومنها قوله - صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ-: (لَا طَاعَةَ فِي مَعْصِيَةِ اللهِ، إِنَّمَا الطَّاعَةُ فِي الْمَعْرُوفِ)[4]

---

[1] - رواه البيهقي في شعب الإيمان (10 / 27) وقال الألباني في ظلال الجنة تخريج السنة (1015)إسناده جيد ورجاله ثقات وفي بعضهم كلام لا يضر.

[2] - البخاري (9/ 47)، ومسلم (3/ 1477)

[3] - رواه الطبراني (18 / 170)، والبغوي في شرح السنة (10 / 44) انظر الصحيحة (179)

[4] - رواه مسلم (3/ 1469)

فصل : طاعتهم وإن جاروا وظلموا الرعية ما لم يكفروا بالله .

ومن الأمور المهمة التي بينها المصنف -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- أن طاعة ولاة الأمر لا تكون للحاكم العادل فقط ، بل يطاع حتى وإن كان ظالما جائرا ، -ما لم يكفر بالله عزو جل - و لأن طاعته خير من الخروج عليه لما في الخروج عليه من المفاسد العظيمة من سفك الدماء وخروج الدهماء وقد جاءت الأحاديث النبوية تأمر بطاعتهم وتنهى عن الخروج عليهم وقد أورد المصنف بعضها :

منها حديث يَزِيدُ بْنُ سَلَمَةَ الْجُعْفِيُّ حيث سأل رَسُولَ اللهَّ - صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -عن الأمراء يطلبون حَقَّهُمْ ، ويمنعون حق الناس، فَقَالَ له رَسُولُ اللهَّ - صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: (اِسْمَعُوا وَأَطِيعُوا، إِنَّمَا عَلَيْهِمْ مَا حُمِّلُوا وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ) [1]

منها حديث ابن مسعود -رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ - أن النبي - صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -قال: (إِنَّهَا سَتَكُونُ بَعْدِي أَثَرَةٌ وَأُمُورٌ تُنْكِرُونَهَا قُلْنَا: فَمَا تَأْمُرُ مَنْ أَدْرَكَ مِنَّا ذَلِكَ؟ قَالَ: تُؤَدُّونَ اَلْحَقَّ اَلَّذِي عَلَيْكُمْ وَتَسْأَلُونَ اَللهَّ اَلَّذِي لَكُمْ)[2]

والأثرة : أن يستأثر السلطان بالثروة والمال دون رعيته ويمنعهم حقهم فيها ، ومع ذلك انظر إلى الإرشاد النبوي الكريم حيث قال :(تُؤَدُّونَ اَلْحَقَّ اَلَّذِي عَلَيْكُمْ) أي من السمع والطاعة (وَتَسْأَلُونَ اَللهَّ اَلَّذِي لَكُمْ) ولا تخرجوا عليهم بل تطلبوا حقكم من الله سبحانه، ولأن الخروج عليهم مفسدته أعظم

ومنها حديث اِبْنَ عَبَّاسٍ - رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا- يَرْوِيهِ عَنْ اَلنَّبِيِّ - صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -.قَالَ: مَنْ رَأَى مِنْ أَمِيرِهِ شَيْئًا يَكْرَهُهُ فَلْيَصْبِرْ فَإِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَحَدٍ يُفَارِقُ اَلْجَمَاعَةَ شِبْرًا فَيَمُوتُ إِلَّا مِيتَةً جَاهِلِيَّةً تقدم تخريجه

---

[1] - رواه مسلم (3/ 1474)

[2] - رواه مسلم (3/ 1472)

ومنها وصية عمر – رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا– السُوَيْدِ بْنِ غَفَلَةَ قائلا له ،(اِتَّقِ اَللَّهَ رَبَّك إِلَى يَوْمٍ تَلْقَاهُ كَأَنَّكَ تَرَاهُ وَأَطِعْ اَلْإِمَامَ وَإِنْ كَانَ عَبْدًا حَبَشِيًّا مُجَدَّعًا، إِنْ ضَرَبَكَ فَاصْبِرْ، وَإِنْ أَهَانَك فَاصْبِرْ)[1]

ومنها قول ابن عمر – رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا– لَمَّا بُويِعَ لِيَزِيدَ بْنِ مُعَاوِيَةَ ذَكَرَ ذَلِكَ اِبْنُ عُمَرَ فَقَالَ: إِنْ كَانَ خَيْرًا رَضِينَا وَإِنْ كَانَ شَرًّا صَبَرْنَا.[2]

ومنها قول رسول الله – صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ–لحذيفة بن اليمان –رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ – : (اسمع وأطع للأمير وإن ضرب ظهرك وأخذ مالك فاسمع وأطع)[3]

وقد أجمع السلف على هذا الأصل العظيم ، وخالفت فيه سائر الفرق وعلى رأسها في هذا العصر الحالي جماعة (الإخوان المجرمون ، وتنظيم القاعدة ، وداعش ، والجماعة الإسلامية المقاتلة وغيرهم الكثير)

قال ابن أبي زيد القيرواني والطَّاعَةُ لأئمَّة المسلمين مِن وُلاَة أمورِهم وعُلمائهم، واتِّباعُ السَّلَفِ الصَّالِح واقتفاءُ آثارِهم

والحاصل :

أن أهل الحق أهل السنة و الجماعة السلفيين هم أصحاب العقيدة الصحيحة لأن عقيدتهم مبنية على قال الله ، قال رسوله – صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ–، قال الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين ، بخلاف الجماعات التي جعلت الدين مطية لأغراضها الخبيثة ، فشوهوا الدين ، وصدوا الناس عنه ، بخروجهم على الحكام ، وتسببهم في المفاسد العظام ، فكن منهم على حذر، والسلامة لا يعدلها شيء ، ولا سلامة إلا باتباع الكتاب والسنة ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم

ثم اعلم أن طاعة لولاة الأمر ليست مطلقة بل طاعته لا تكون إلا بشرطين

---

[1] – رواه ابن أبي شيبة في مصنفه (544/6)

[2] –. رواه ابن أبي شيبة في مصنفه (6/ 190)

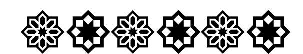
[3] – صحيح مسلم (3/ 1476)

الشرط الأول : على حسب استطاعتك وقدرتك لقوله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - :(فيما استطعت).[1]

الشرط الثاني : أن تكون طاعتهم في غير معصية لقوله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: (إنما الطاعة في المعروف ليست الطاعة في معصية) تقدم تخريجه

مسألة : كيف تكون نصيحة الرعية للولاة والحكام ؟

قد بين الرسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -كيفية التعامل مع الحاكم إن أخطأ أو ظلم أو فسق ، كما بين أيضا الطريقة المثلى لنصيحته فقال عليه الصلاة والسلام : (من أراد أن ينصح لذي سلطان فلا يبدها علانية، ولكن يأخذ بيده، فيخلو به فإن قبل منه فذلك، وإلا كان قد أدى الذى عليه).[2]



[1] - صحيح البخاري (9/ 77)

[2] - ظلال الجنة في تخريج السنة (2/ 522) قال الألباني فالحديث صحيح بمجموع طرقه. والله أعلم

التقويم

س 1 – ما عقيدة أهل السنة والجماعة اتجاه ولاة الأمر ؟

س 2–ما تفسير قول الله تعالى :{ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ }[1] .

س 3 – هل يشترط لطاعة السلطان أن يكون عادلا ؟

س 4 – ما شروط طاعة السلطان عند أهل السنة ؟



[1] – [سورة النساء آية 58]

الدرس الواحد والثلاثون
باب فِي اَلصَّلَاةِ خَلْفَ اَلْوُلَاةِ

قَالَ مُحَمَّدٌ: وَمِنْ قَوْلِ أَهْلِ اَلسُّنَّةِ أَنَّ صَلَاةَ اَلْجُمُعَةِ وَالْعِيدَيْنِ وَعَرَفَةَ مَعَ كُلِّ أَمِيرٍ بَرٍّ أَوْ فَاجِرٍ، مِنْ اَلسُّنَّةِ وَالْحَقِّ وَأَنَّ مَنْ صَلَّى مَعَهُمْ ثُمَّ أَعَادَهَا فَقَدْ خَرَجَ مِنْ جَمَاعَةِ مَنْ مَضَى مِنْ صَالِحِ سَلَفِ هَذِهِ اَلْأُمَّةِ، وَذَلِكَ أَنَّ اَللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى قَالَ: ﴿إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوۡمِ ٱلۡجُمُعَةِ فَٱسۡعَوۡاْ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلۡبَيۡعَ﴾ [الجمعة: 9].

وَقَدْ عَلِمَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ حِينَ اِفْتَرَضَ عَلَيْهِمْ اَلسَّعْيَ إِلَيْهَا وَإِجَابَةَ اَلنِّدَاءِ لَهَا أَنَّهُ يُصَلِّيهَا بِهِمْ مِنْ مُجْرِمِي اَلْوُلَاةِ وَفُسَّاقِهَا مَنْ لَمْ يَجْهَلْهُ فَلَمْ يَكُنْ لِيَفْتَرِضَ عَلَى عِبَادِهِ اَلسَّعْيَ إِلَى مَا لَا يُجْزِيهِمْ شُهُودُهُ وَيَجِبُ عَلَيْهِمْ إِعَادَتُهُ، وَقُضَاتِهِمْ وَحُكَّامِهِمْ وَمَنْ اِسْتَخْلَفُوهُ عَلَى اَلصَّلَاةِ، وَالصَّلَاةُ وَرَاءَهُمْ جَائِزَةٌ.

حَدَّثَنِي أَبِي عَنْ سَعِيدِ بْنِ فَحْلُونَ عَنْ يُوسُفَ بْنِ يَحْيَى اَلْعِنَاقِيِّ عَنْ عَبْدِ اَلْمَلِكِ -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- أَنَّهُ قَالَ: فِي تَفْسِيرِ مَا جَاءَتْ بِهِ اَلْآثَارُ وَأَنَّ اَلصَّلَاةَ جَائِزَةٌ وَرَاءَ كُلِّ بَرٍّ وَفَاجِرٍ إِنَّمَا يُرَادُ بِذَلِكَ اَلْإِمَامُ اَلَّذِي تُؤَدَّى إِلَيْهِ اَلطَّاعَةُ؛ لِأَنَّهُ لَوْ لَمْ تَكُنْ اَلصَّلَاةُ وَرَاءَهُ جَائِزَةً وَرَاءَهُ مَنْ اِسْتَخْلَفَ عَلَيْهَا وَخُلَفَاؤُهُمْ لِمَا فِي ذَلِكَ مِنْ سَفْكِ اَلدِّمَاءِ وَاسْتِبَاحَةِ اَلْحَرِيمِ وَتَفَتُّحِ اَلْفِتَنِ. فَالصَّلَاةُ وَرَاءَهُمْ جَائِزَةٌ اَلْجُمُعَةُ وَغَيْرُهَا مَا صَلَّوْا اَلصَّلَاةَ لِوَقْتِهَا، وَمَنْ عُرِفَ مِنْهُمْ بِبَعْضِ اَلْأَهْوَاءِ اَلْمُخَالِفَةِ لِلْجَمَاعَةِ مِثْلَ الْإِبَاضِيَّةِ وَالْقَدَرِيَّةِ فَلَا بَاسَ بِالصَّلَاةِ خَلْفَهُ أَيْضًا، قَالَ عَبْدُ اَلْمَلِكِ -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- وَهُوَ اَلَّذِي عَلَيْهِ أَهْلُ اَلسُّنَّةِ.

الشرح

اعلم أيها الطالب أن من محاسن عقيدة أهل السنة و الجماعة الدالة على حرصهم على جمع الكلمة أنهم يرون عدم الخروج على الولاة وإن كانوا ظلمة أو فجرة، ويرون الصلاة خلفهم، والجهاد معهم، ونصحهم والدعاء لهم بالتوفيق والهداية ؛ ولأن الخروج عليهم فتنة تسفك فيها الدماء ولا طائل منها، متمثلين في ذلك بهدي السلف من الصحابة ومن بعدهم.

ومن الأدلة على الصلاة خلفهم ما أخرجه البخاري في "تاريخه" عن عبد الكريم البكاء أنه قال: "أدركتُ عشرة من أصحاب محمد - صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- كلهم يصلي خلف أئمة الجور ويؤيد ذلك أيضًا حديث مسلم: "كيف أنت إذا كان عليك أمراء يؤخرون الصلاة عن وقتها، أو يميتون الصلاة عن وقتها؟ قال: قلتُ: فما تأمرني؟ قال: الصلاة لوقتها، فإنْ أدركتها معهم فصل، فإنها لك نافلة) [1]

و قال الشافعي: صلى ابن عمر خلف الحجاج، وكفي به فاسقًا .[2]

وَقَالَ أَحْمَد بن حَنْبَل -رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ - : وَأرى الصَّلَاة خلف كل بر وَفَاجِر وَقد صلى ابْن عمر خلف الْحجَّاج يَعْنِي الْجُمُعَة وَالْعِيدَيْن .[3]



---

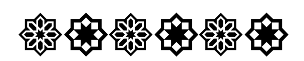
[1] - فتح الباري لابن رجب (6/ 188)

[2] - التوضيح لشرح الجامع الصغير لابن الملقن(6 / 538)

[3] - العقيدة رواية أبي بكر الخلال ص 124

التقويم

س 1 – تكلم عن منهج السلف في الصلاة خلف الحكام ؟



الدرس الثاني والثلاثون
باب اَلنَّهْيِ عَنْ مُجَالَسَةِ أَهْلِ اَلْأَهْوَاءِ

قَالَ مُحَمَّدٌ: وَلَمْ يَزَلْ أَهْلُ اَلسُّنَّةِ يَعِيبُونَ أَهْلَ اَلْأَهْوَاءِ اَلْمُضِلَّةِ، وَيَنْهَوْنَ عَنْ مُجَالَسَتِهِمْ وَيُخَوِّفُونَ فِتْنَتَهُمْ وَيُخْبِرُونَ بِخَلَاقِهِمْ، وَلَا يَرَوْنَ ذَلِكَ غِيبَةً لَهُمْ وَلَا طَعْنًا عَلَيْهِمْ.

عَائِشَةَ أَنَّ رَسُولَ اَللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - تَلَا هَذِهِ اَلْآيَةَ: ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۡهُ ءَايَٰتٞ مُّحۡكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٞۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمۡ زَيۡغٞ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنۡهُ﴾ [آل عمران: 7].

اَلْآيَةَ. ثُمَّ قَالَ: إِذَا رَأَيْتُمْ اَلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ فَاحْذَرُوهُمْ حديث صحيح

فَإِذَا رُؤُوسٌ مِنْ رُؤُوسِ اَلْخَوَارِجِ مَنْصُوبَةٌ، فَقَالَ: مَا هَذِهِ اَلرُّؤُوسُ؟ فَقَالُوا: رُؤُوسُ خَوَارِجَ جِيءَ بِهَا مِنْ اَلْعِرَاقِ. فَقَالَ: "كِلَابُ أَهْلِ اَلنَّارِ كِلَابُ أَهْلِ اَلنَّارِ، كِلَابُ أَهْلِ اَلنَّارِ شَرُّ قَتْلَى تَحْتَ ظِلِّ اَلسَّمَاءِ شَرُّ قَتْلَى تَحْتَ ظِلِّ اَلسَّمَاءِ شَرُّ قَتْلَى تَحْتَ ظِلِّ اَلسَّمَاءِ طُوبَى لِمَنْ قَتَلَهُمْ أَوْ قَتَلُوهُ، طُوبَى لِمَنْ قَتَلَهُمْ أَوْ قَتَلُوهُ، طُوبَى لِمَنْ قَتَلَهُمْ أَوْ قَتَلُوهُ، ثُمَّ بَكَى قُلْتُ: مَا يُبْكِيكَ؟ قَالَ: رَحْمَةً لَهُمْ، إِنَّهُمْ كَانُوا مِنْ أَهْلِ اَلْإِسْلَامِ فَخَرَجُوا مِنْ اَلْإِسْلَامِ، ثُمَّ قَرَأَ:{﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۡهُ ءَايَٰتٞ مُّحۡكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٞۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمۡ زَيۡغٞ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنۡهُ﴾ إِلَى آخِرِ اَلْآيَةِ، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَٱخۡتَلَفُواْ مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُ﴾ [آل عمران: 105].

[1] إِلَى قَوْلِهِ ﴿فَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَ بِمَا كُنتُمۡ تَكۡفُرُونَ ٣٠﴾ [الأنعام].

فقلت: هُمْ هَؤُلَاءِ يَا أَبَا أُمَامَةَ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: فَقُلْتُ شَيْءٌ تَقُولُهُ بِرَايِكَ أَمْ سَمِعْتَ رَسُولَ اَللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يَقُولُ؟ فَقَالَ: إِنِّي إِذًا لَجَرِيءٌ إِنِّي إِذًا لَجَرِيءٌ، إِنِّي إِذًا لَجَرِيءٌ لَقَدْ سَمِعْتُ رَسُولَ اَللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - غَيْرَ مَرَّةٍ وَلَا مَرَّتَيْنِ حَتَّى بَلَغَ سَبْعًا، وَوَضَعَ

---

[1] - [سورة آل عمران آية 105]

أُصْبُعَهُ فِي أُذُنِيهِ، ثُمَّ قَالَ: وَإِلَّا فَصُمَّتَا، ثُمَّ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اَللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يَقُولُ: تَفَرَّقَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ عَلَى سَبْعِينَ فِرْقَةً، فَوَاحِدَةٌ فِي اَلْجَنَّةِ وَسَايِرُهَا فِي اَلنَّارِ فَقُلْتُ: وَلَتَزِيدُ هَذِهِ اَلْأُمَّةُ عَلَيْهِمْ وَاحِدَةً، فَوَاحِدَةٌ فِي اَلْجَنَّةِ وَسَايِرُهَا فِي اَلنَّارِ، فَقُلْتُ: فَمَا تَامُرُنِي؟ قَالَ: عَلَيْكَ بِالسَّوَادِ اَلْأَعْظَمِ قَالَ: فَقُلْتُ فِي اَلسَّوَادِ اَلْأَعْظَمِ مَا قَدْ تَرَى؛ قَالَ: اَلسَّمْعُ وَالطَّاعَةُ خَيْرٌ مِنَ اَلْفُرْقَةِ وَالْمَعْصِيَةِ حديث حسن

اِبْنُ وَهْبٍ قَالَ: وَأَخبَرَنِي مَالِكٌ أَنَّ عُمَرَ بْنَ عَبْد الْعَزِيزِ كَانَ يَكْتُبُ فِي كُتُبِهِ أَنِّي أُحَذِّرُكُمْ مَا قَالَتْ إِلَيْهِ اَلْأَهْوَاءُ وَالزَّيْغُ اَلْبَعِيدُ.

قَالَ اِبْنُ وَهْبٍ: وَسَمِعْتُ مَالِكًا يَقُولُهُ، وَسُئِلَ عَنْ خُصُومَةِ أَهْلِ اَلْقَدَرِ وَكَلَامِهِمْ؟ فَقَالَ: مَا كَانَ مِنْهُمْ عَارِفًا بِمَا هُوَ عَلَيْهِ فَلَا يُوَاضَعُ اَلْقَوْلَ وَيُخْبَرُ بِخَلَاقِهِمْ، وَلَا يُصَلَّى خَلْفَهُمْ وَلَا أَرَى أَنْ يُنَاكَحُوا.

قَالَ اِبْنُ وَهْبٍ: وَسَمِعْتُهُ يَقُولُ: كَانَ ذَلِكَ اَلرَّجُلُ إِذَا جَاءَهُ بَعْضُ أَهْلِ اَلْأَهْوَاءِ قَالَ: أَمَّا أَنَا فَعَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي، وَأَمَّا أَنْتَ فَشَاكٌّ فَاذْهَبْ إِلَى مَنْ هُوَ شَاكٌّ مِثْلُك فَخَاصِمْهُ.

اِبْنُ وَهْبٍ قَالَ: وَأَخْبَرَنِي أَبُو صَخْرٍ عَنْ حَبِيبِ بْنِ أَبِي حَبِيبٍ عَنْ يَزِيدَ اَلْخُرَاسَانِيِّ قَالَ: سَمِعْتُ وَهْبَ بْنَ مُنَبِّهٍ يَقُولُ: قَرَأتُ اِثْنَيْنِ وَسَبْعِينَ كِتَابًا مَا مِنْهَا كِتَابٌ إِلَّا وَحَذَّرَ فِيهِ: مَنْ أَضَافَ إِلَى نَفْسِهِ شَيْئًا مِنْ قَدَرِ اَللَّهِ فَقَدْ كَفَرَ بِاَللَّهِ اَلْعَظِيمِ. صحيح

اِبْنُ مَهْدِيٍّ قَالَ: حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ زَيْدٍ عَنْ أَيُّوبَ اَلسِّخْتِيَانِيِّ قَالَ: قَالَ أَبُو قِلَابَةَ وَكَانَ مِنْ اَلْفُقَهَاءِ ذَوِي اَلْأَلْبَابِ: لَا تُجَالِسُوا أَهْلَ اَلْأَهْوَاءِ وَلَا تُجَادِلُوهُمْ، فَإِنِّي لَا آمَنُ أَنْ يَغْمِسُوكُمْ فِي ضَلَالَتِهِمْ أَوْ يُلَبِّسُوا عَلَيْكُمْ كَمَا كُنْتُمْ تَعْرِفُونَ. صحيح

اِبْنُ مَهْدِيٍّ قَالَ: وَحَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ زَيْدٍ عَنْ عَمْرِو بْنِ مَالِكٍ عَنْ أَبِي اَلْجَوْزَاءِ قَالَ: لَئِنْ يُجَاوِرُنِي فِي دَارِي هَذِهِ قِرَدَةٌ وَخَنَازِيرُ أَحَبُّ إِلَيَّ مَنْ أَنْ يُجَاوِرَنِي رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ اَلْأَهْوَاءِ،

وَلَقَدْ دَخَلُوا فِي هَذِهِ الْآيَةِ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّواْ مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ﴾[آل عمران: 18].٠ حسن

الشرح

أي: باب ما جاء عن السلف في ذمهم لأهل الأهواء والبدع ، والتحذير منهم، والحث على اجتنابهم وتركهم، حفاظا على الشريعة، وصيانة للديانة، ولكي لا ينشروا بدعهم، ويلبسوا على الناس دينهم، وما أكثر من ضل بسببهم، ولهذا كان من كمال الشريعة التحذير من كل من يريد أن يدخل فيها ما ليس منها، فكان من الواجبات الشرعية التحذير من كل مبتدع ضال، ولهذا تواترت النصوص الشرعية وأقوال الصحابة والتابعين في التحذير من الفرق والجماعات وذكر أسماء بعض مؤسسيهم كما سيأتي إن شاء الله تعالى

تعريف البدعة وأقسامها :

فصل: تَعْرِيفُ الْبدْعَةِ وَبَيَانُ مَعْنَاهَا

والبدعة لغة : قال الشاطبي أَصْلُ الْمَادَّةِ " بَدَعَ " لِلِاخْتِرَاعِ عَلَى غَيْرِ مِثَالٍ سَابِقٍ.[1]

والبدعة في الشرع: طريقة في الدين مخترعة تضاهي الشرعية يقصد بالسلوك عليها المبالغة في التعبد لله سبحانه.[2]

الفرق بين البدعة في الدين والبدعة في أمور الدنيا:

البدعة المذمومة ما كانت في أمور الدين ؛ لأن الدين كمُل لقوله تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ المائدة: ٣ ، أما أمور الدنيا ليس فيها بدع، وإن سميت بدعا، كاختراع الناس السيارات أو الطائرات، أو الحاسب الآلي، أو شبه ذلك ، كل ذلك لا يسمى بِدَعا وإن سميت بدعاً من حيث اللغة، فهي غير داخلة في بدع الدين.

---

[1] - الاعتصام للشاطبي (1/ 49)

[2] - الاعتصام للشاطبي (1/ 51)

المبتدع: هو الذي يحدث البدعة، ويدعو إليها، ويوالي ويعادي عليها.

والبدعة: قد تكون مكفّرة، وغير مكفّرة :

وضابط البدعة المكفرة : من أنكر أمرًا مجمعًا عليه، متواترًا من الشرع، معلوما من الدين بالضرورة، من جحود مفروض، أو فرض ما لم يفرض، أو إحلال محرم، أو تحريم حلال، أو اعتقاد ما ينزه الله ورسوله - صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -وكتابه عنه.

والبدعة غير المكفرة : هي ما لم يلزم منه تكذيب بالكتاب، ولا بشيء من مما أرسل به رسله .[1]

وقد برأ الله رسوله من أهل البدعة و الفرقة فقال تَعَالَى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِى شَىْءٍ ﴾[الأنعام: 159].

وقد كان الرسول - صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -ينهى عن البدع في كل خطبة ويبين أنها ضلالة تفضي بأهلها إلى النار كما في قوله "كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار" [2] و كما بين - صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -أن البدعة لا يقبلها الله فقال (من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد)[3]

وهذا الباب عقده المصنف لبيان خطورة أهل البدع والأهواء على أهل الإسلام ، وكيف تعامل معهم السلف ، وكيف حذروا منهم

و يتضمن هذا الباب فصلين :

---

[1] - معارج القبول (3/ 1228)

[2] - رواه النسائي (3/188) وابن خزيمة في صحيحه (2/ 864) انظر صحيح الجامع (1353)

[3] - رواه مسلم (3/ 1343)

فصل : التحذير من أهل البدع صيانة للشريعة وليس من الغيبة

اعلم أيها الطالب أن النبي – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ –حذر من أهل الزيغ والضلال الذين يدعون الناس لغير شرع الله سبحانه يدعونهم للبدع والخرافات والعقائد الباطلة فقال – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ –: (سَيَكُونُ فِي آخِرِ أُمَّتِي أُنَاسٌ يُحَدِّثُونَكُمْ بِمَا لَمْ تَسْمَعُوا أَنْتُمْ وَلَا آبَاؤُكُمْ فَإِيَّاكُمْ وإياهم)[1]

كما حذر من الخوارج فقال – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ –: يخرج من ضئضئي هذا الرجل قوام تحقرون صلاتكم إلى صلاتهم

وقال لعائشة بعد أن تلا عليه قوله تعالى ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ﴾[آل عمران: 7].، فَإِذَا رَأَيْتِ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ فَأُولَئِكِ الَّذِينَ سَمَّى اللهُ فَاحْذَرُوهُمْ.[2]

إذن فتفسير هذه الآية التي أوردها المصنف تدل على أن التحذير من أهل الأهواء نزل به القرآن وعمل به خير الأنام عليه أفضل الصلاة والسلام ، (ولا يزال علماء المسلمين – والحمد لله – ينكرون البدع، ويردون على المبتدعة من خلال الصحف والمجلات والإذاعات وخط الجمع والندوات والمحاضرات؛ مما له كبير الأثر في توعية المسلمين والقضاء على البدع وقمع المبتدعين).[3]

وقد ألفت كتب للأئمة المالكية في الرد على المبتدعة منها :

1 – كتاب "الاعتصام" للإمام الشاطبي.

2 – كتاب"إنكار الحوادث والبدع" لابن وضاح

---

[1] – مقدمة صحيح مسلم (1/ 12)

[2] – رواه البخاري (6/ 33) ومسلم (4/ 2053)

[3] – الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد ص 332

3- كتاب "الحوادث والبدع" للطرطوشي.

وغيرها الكثير، ومن العجب أنك ترى بعض أهل الزيغ والضلال ينبزون أهل السنة عندما يحذرون من شيوخ الفتن والضلال ومن الجماعات المنحرفة.

ثم اعلم – أيها الطالب – أن التحذير من أهل الباطل جهاد في سبيل الله لمن قصد حماية الشريعة ، وصيانة الديانة

قيل لأحمد بن حنبل: الرجل يصوم ويصلي ويعتكف أحب إليك أو يتكلم في أهل البدع؟ فقال: إذا قام وصلَّى واعتكف فإنما هو لنفسه، وإذا تكلم في أهل البدع فإنما هو للمسلمين، هذا أفضل.[1]

وقال الإمام ابن تيمية: "فالراد على أهل البدع مجاهد، حتى كان يحي بن يحي يقول: الذب عن السنة أفضل من الجهاد.[2]

فصل : تحذير السلف من الفرق الضالة

اعلم – أيها الطالب – أن السلف كانوا غيورين على هذا الدين ، من عبث العابثين، فكانوا يحذرون المسلمين من الفرق المنحرفة التي ظهرت في عصرهم فقد حذر الصحابة من الخوارج والقدرية والروافض

ففي حديث أبي أمامة -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- أنه حذر من الخوارج وقال عنهم كلاب أهل النار ولما سئل عن كلامه قال سمعته عن رسول الله – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بل إن عليا -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- قاتلهم ، وحاربهم ، لشدة خطرهم على الأمة ، كما حذر من الروافض لما غلو فيه ، وقتلهم ، وعاقبهم عقابا شديدا

---

[1] - مجموع الفتاوى (28/ 231)

[2] - مجموع الفتاوى (4/ 13)

وهذا ابن عمر - رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا- لما أخبروه بظهور القدرية حذر منهم وقال : (إذا لقيتَ أولئك فأخبرْهم أني بريءٌ منهم، وهُمْ برآء منّي)[1]

وهنا ذكر المصنف -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- كلام عُمَرَ بْن عَبْد الْعَزِيزِ أنه كَانَ يَكْتُبُ فِي كُتُبِهِ أَنِّي أُحَذِّرُكُمْ مَا قَالَتْ إِلَيْهِ اَلْأَهْوَاءُ وَالزَّيْغُ اَلْبَعِيدُ، وهذا من حرصهم على سلامة عقيدة الناس من هذه الأهواء

وانظر كيف كان يعامل الإمام مالك القدرية وهي :(فرقة أنكرت أن الله يعلم الأشياء قبل وقوعها) ولما سُئِلَ عَنْ خُصُومَتهِم والكلام معهم ؟ فكان يقول يجب أن يُخْبَر الناس بِخَلَاقِهِمْ، أي بهلاكهم وضلالهم ، وَلَا يُصَلَّى خَلْفَهُمْ وَلَا أَرَى أَنْ يُنَاكَحُوا، وَقَالَ أَشْهَبُ سُئِلَ مَالِكٌ عَنْ اَلْقَدَرِيَّةِ فَقَالَ: قَوْمُ سُوءٍ فَلَا تُجَالِسُوهُمْ ، وكَانَ مالك إذا جَاءَهُ بَعْضُ أَهْلِ اَلْأَهْوَاءِ ليناظروه يقول لهم: أَمَّا أَنَا فَعَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي، وَأَمَّا أَنْتَ فَشَاكٌّ فَاذْهَبْ إِلَى مَنْ هُوَ شَاكٌّ مِثْلُك فَخَاصِمْهُ،

ليبين لك – أيها الطالب – أن أهل الأهواء والبدع أهل شك في دينهم

وكذلك استدل المصنف بما جاء عن وَهْبَ بْنَ مُنَبِّهٍ أنه قرأ كتبا للسلف كثيرة مَا مِنْهَا كِتَابٌ إِلَّا وَحَذَّرواَ فِيهِ من القدرية ، وهذا دليل على حرص السلف وتحذيرهم من أهل الباطل ، وأنهم يصنفون في ذلك الكتب لتقرير هذا الأصل العظيم

ومنها تحذيرهم من مجالسة أهل الأهواء فقد جاء عن أبي قِلَابَةَ الجرمي -رَحِمَهُ ٱللَّهُ-

أنه قال : لَا تُجَالِسُوا أَهْلَ اَلْأَهْوَاءِ وَلَا تُجَادِلُوهُمْ، فَإِنِّي لَا آمَنُ أَنْ يَغْمِسُوكُمْ فِي ضَلَالَتِهِمْ أَوْ يُلَبِّسُوا عَلَيْكُمْ كَمَا كُنْتُمْ تَعْرِفُونَ)

وما جاء عن الحسن أنه قال : (لا تجالس صاحب هوى فيقذف في قلبك ما تتبعه عليه فتهلك، أو تخالفه فيمرض قلبك)[2]

---

[1] - سنن أبي داود(7/ 80)

[2] - رواه ابن وضاح في البدع (2/ 101)

وكان مالك يرى أن قوله سبحانه: ﴿يَوۡمَ تَبۡيَضُّ وُجُوهٞ وَتَسۡوَدُّ وُجُوهٞ﴾ [آل عمران: 106].

نزل في أهل البدع ، وكان يقول -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- : مَا آيَةٌ فِي كِتَابِ اَللَّهِ أَشَدُّ عَلَى أَهْلِ اَلْأَهْوَاءِ مِنْ هَذِهِ اَلْآيَة، وكان ابْن عَبَّاسٍ - رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا- يقول في تفسيرها : تَبْيَضُّ وُجُوهُ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالِائْتِلَافِ وَتَسْوَدُّ وُجُوهُ أَهْلِ الْبِدَعِ وَالِاخْتِلَافِ ،[1] وكما ورد عن مالك أنه حذر من بعض أهل البدع بأعيانهم

فقد أخرج الهروي من طريق عبد الرحمن بن مهدي عن مالك أنه قال في عمرو بن عبيد :(لعن الله عمرو بن عبيد فإنه ابتدع هذه البدعة من الكلام، ولو كان الكلام علمًا لتكلم فيه الصحابة والتابعون كما تكلموا في الأحكام والشرائع)[2] وكما نهى مالك -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- عن استئجار كتب أهل الأهواء فقال (-رَحِمَهُ ٱللَّهُ-) : (لا تجوز الإجارات في شيء من كتب أهل الأهواء والبدع ، والتنجيم، وكتب أصحاب الكلام من المعتزلة وغيرهم وتفسخ الإجارة في ذلك)[3]

والحاصل: أن من الأمور المتقررة عند أهل السنة والجماعة الحذر والتحذير والتنفير من أهل البدع والأهواء وترك مجالستهم، وأن التحذير منهم من جنس الجهاد في سبيل الله لأظهار الحق ودحض الباطل، وأنه ليس من الغيبة الممقوتة كما نص على ذلك المصنف -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- فيجب عليك يا طالب الحق الحذر منهم، وعدم مجالستم، حتى تسلم لك عقيدتك، ولا يزيغ قلبك، وتفتن في دينك فتهلك نسأل الله لك السلامة والعافية .

❁❁❁❁❁❁

[1] - الاعتصام للشاطبي (1 / 75)

[2] - ذم الكلام (2 / 72)

[3] - جامع بيان العلم (2 / 942)

التقويم

س 1 – عرف البدعة لغة وشرعا ؟

س 2 – منهج السلف في معاملة أهل البدع هو التحذير منهم وترك مجالستهم ناقش ذلك

س 3 – البدعة نوعان اذكرهما ؟

س 4 – اذكر موقف الإمام مالك من القدرية ؟



الدرس الثالث والثلاثون
باب فِي اِسْتِتَابَةِ أَهْلِ اَلْأَهْوَاءِ

قال اِبْنُ وَهْبٍ قَالَ: وَحَدَّثَنِي مَالِكٌ عَنْ عَمِّهِ قَالَ: سَأَلَنِي عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ فَقَالَ: مَا تَرَى فِي هَؤُلَاءِ اَلْقَدَرِيَّةِ؟ فَقُلْتُ: أَسْتَتِيبُهُمْ فَإِنْ قَبِلُوا ذَلِكَ وَإِلَّا فَأَعْرِضُهُمْ عَلَى اَلسَّيْفِ، فَقَالَ عُمَرُ: وَأَنَا أَرَى ذَلِكَ صحيح

قَالَ اَلْعُتْبِيُّ: وَسُئِلَ سَحْنُونُ عَمَّنْ قَالَ: إِنَّ جِبْرِيلَ أَخْطَأَ بِالْوَحْيِ، وَإِنَّمَا كَانَ لِعَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ إِلَّا أَنَّ جِبْرِيلَ أَخْطَأَ اَلْوَحْيِ، أَهَلْ يُسْتَتَابُ أَوْ يُقْتَلُ وَلَا يُسْتَتَابُ؟

قَالَ: بَلْ يُسْتَتَابُ فَإِنْ تَابَ وَإِلَّا قُتِلَ، قِيلَ: فَإِنْ شَتَمَ أَحَدًا مِنْ أَصْحَابِ اَلنَّبِيِّ -صَلَّى ٱللَّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ أَوْ عُثْمَانَ أَوْ عَلِيًّا أَوْ مُعَاوِيَةَ أَوْ عَمْرِو بْنَ الْعَاصِ؟ فَقَالَ لِي: أَمَّا إِذَا شَتَمَهُمْ فَقَالَ: إِنَّهُمْ كَانُوا عَلَى ضَلَالٍ وَكُفْرٍ قُتِلَ، وَإِنْ شَتَمَهُمْ بِغَيْرِ هَذَا -كَمَا يَشْتُمُ اَلنَّاسُ- رَأَيْتُ أَنْ يُنَكَّلَ نَكَالًا شَدِيدًا.

قَالَ اَلْعُتْبِيُّ: قَالَ الصُّمَادِحِيُّ قَالَ مَعْنٌ: وَكَتَبَ إِلَى مَالِكٍ رَجُلٌ مِنْ اَلْعَرَبِ يَسْأَلُ عَنْ قَوْمٍ يُصَلُّونَ رَكْعَتَيْنِ وَيَجْحَدُونَ اَلسُّنَّةَ وَيَقُولُوا: مَا نَجِدُ إِلَّا صَلَاةَ رَكْعَتَيْنِ.

قَالَ مَالِكٌ: أَرَى أَنْ يُسْتَتَابُوا فَإِنْ تَابُوا وَإِلَّا قُتِلُوا.

لْعُتْبِيُّ عَنْ عِيسَى، عَنْ اِبْنِ اَلْقَاسِمِ قَالَ: وَمَنْ سَبَّ أَحَدًا مِنْ اَلْأَنْبِيَاءِ وَالرُّسُلِ مِنْ اَلْمُسْلِمِينَ قُتِلَ وَلَمْ يُسْتَتَبْ، وَهُوَ بِمَنْزِلَةِ اَلزِّنْدِيقِ اَلَّذِي لَا يُعْرَفُ لَهُ تَوْبَةٌ، فَلِذَلِكَ لَا يُسْتَتَابُ؛ لِأَنَّهُ يَتُوبُ بِلِسَانِهِ وَيُرَاجِعُ ذَلِكَ فِي سَرِيرَتِهِ فَلَا تُعْرَفُ مِنْهُ تَوْبَةٌ، وَهُوَ بِمَنْزِلَةِ مَنْ سَبَّ رَسُولَ اَللَّهِ -صَلَّى ٱللَّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-؛ لِأَنَّ اَللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَقُولُ فِي كِتَابِهِ: آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ

وقال: وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللهِّ وَرُسُلِهِ وَلَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ أَحَدٍ وَقَالَ: فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللهُّ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ

قَالَ مُحَمَّدٌ: قَدْ أَعْلَمْتُكَ بِقَوْلِ أَئِمَّةِ اَلْهُدَى وَأَرْبَابِ اَلْعِلْمِ فِيمَا سَأَلْتُ عَنْهُ وَفِي غَيْرِ ذَلِكَ عَمَّا يُسْأَلُ عَنْهُ مِنْ أَصُولِ اَلسُّنَّةِ اَلَّتِي خَالَفَ فِيهَا أَهْلُ اَلْأَهْوَاءِ اَلْمُضِلَّةِ كِتَابَ اَللهَّ وَسُنَّةَ رَسُولِهِ وَنَبِيِّهِ - صَلَّاَللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ-وَلَوْلَا أَنَّ أَكَابِرَ اَلْعُلَمَاءِ يَكْرَهُونَ أَنْ يُسَطِّرَ شَيْءٌ مِنْ كَلَامِهِمْ وَيُخَلَّدَ فِي كِتَابٍ، لَأَنْبَأْتُكَ مِنْ زَيْغِهِمْ وَضَلَالِهِمْ بِمَا يَزِيدُكَ عَنْ رَغْبَةٍ فِي اَلْفِرَارِ عَنْهُمْ، وَنَعُوذُ بِاَللهَّ مِنْ فِتْنَتِهِمْ عَصَمَنَا اَللهُّ وَإِيَّاكَ مِنْ مُضِلاَّتِ اَلْفِتَنِ، وَوَفَّقَنَا لِمَا يُرْضِيهِ قَوْلًا وَعَمَلًا وَقَرَّبَنَا إِلَيْهِ زُلَفًا زُلَفًا.

وَصَلَّى اَللهُّ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا آخِرَهُ، وَحَمِدَ للهَّ وَحَمِدَهُ وَصَلَوَاتُهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ دَائِمًا أَبَدًا إِلَى يَوْمِ اَلدِّينِ آمِينَ.

كَانَ اَلْفَرَاغُ مِنْ هَذَا اَلْكِتَابِ اَلْمُبَارَكِ يَوْمَ اَلْأَحَدِ اَلْمُبَارَكِ عِشْرِينَ مِنْ شَهْرِ مُحَرَّمٍ اَلْحَرَامِ سَنَةَ (1084).

الشرح

ختم المصنف -رَحِمَهُٱللَّهُ- كتابه ب (باب فِي اِسْتِتَابَةِ أَهْلِ اَلْأَهْوَاءِ) ليبين لك - أيها المسلم - خطورة الابتداع في الدين وأنه قد يحمل صاحبه على الخروج عن الشريعة والمروق من السلام، وأن السلف اختلفوا فيهم هل تقبل توبتهم فيستتابوا أم لا تقبل توبتهم ؟

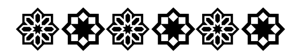
والحاصل أن البدع إذا تمكنت من قلب الإنسان قلما تخرج منه ، وقد جاء عن النبي - صَلَّاَللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ-أنه قال :(إنَّ الله حجب التوبةَ عن كلِّ صاحب بدعة حتى يدَع بدعتَه)[1] ، ولأن البدع خطرُها كبير، وخطْبُها جسيم، والمصاب بها عظيم، وهي أشدُّ خطراً من الذنوب والمعاصي؛ لأنَّ صاحبَ المعصية يعلم أنَّه وقع في أمر حرام، فيتركه ويتوب منه، وأمَّا صاحب

[1]- رواه المنذري في كتاب الترغيب والترهيب انظر الصحيحة (1620)

البدعة : فإنَّه يرى أنَّه على حقٍّ فيستمرّ على بدعته حتى يموت عليها، وهو في الحقيقة متَّبع للهوى قال الله -عَزَّوَجَلَّ-: ﴿أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنًا﴾ [فاطر: 8].

وبين المصنف -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- أن أهل العلم اختلفوا في حكمهم وأن مذهب الإمام مالك عموما أن أهل البدع يستتابوا فإن تابوا وإلا فعلى ولي الأمر أن يعاقبهم عقابا يتناسب مع فعلهم ، ليكبح خطرهم، ويوقف شرهم ويحجر عليهم بما يراه مناسبا، إلا من سَبَّ أَحَدًا مِنْ اَلْأَنْبِيَاءِ وَالرُّسُلِ مِنْ اَلْمُسْلِمِينَ فإنه يقتل من غير استتابة لأن هذا من فعل الزنادقة عياذا بالله تعالى .

فاحذر أيها الطالب من الابتداع في الدين، والتزم نهج خير المرسلين، واقتف سبيل السلف الصالحين فإنه سبيل النجاة وطريق الخلاص وصلى الله وسلم وبارك على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

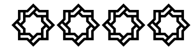


التقويم

س 1 – هل يستتاب المبتدع ؟ وما هو اختيار الإمام مالك ؟

س 2 – إذا دخلت البدعة قلب المسلم قلما تخرج منه ناقش ذلك ؟

س 3 – هل البدعة أشد خطرا من المعصية ؟ لماذا ؟



وفق اللّه الجميع لما يحب ويرضى وباللّه التوفيق

وصلى اللّه وسلم على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم
- تفسير ابن كثير
- تفسير السعدي
- صحيح البخاري
- صحيح مسلم
- سنن أبي داود
- سنن الترمذي
- سنن النسائي
- سنن ابن ماجه
- مسند أحمد بن حنبل
- موطأ الإمام مالك
- أصول السنة لابن أبي زمنيين المالكي

الفهرس